وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -
كلية العلوم الإنسانية
والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ

بعنوان

المسالك والدّروب وأثرها في تفعيل الحركة التجارية والثقافية في المغرب الإسلامي

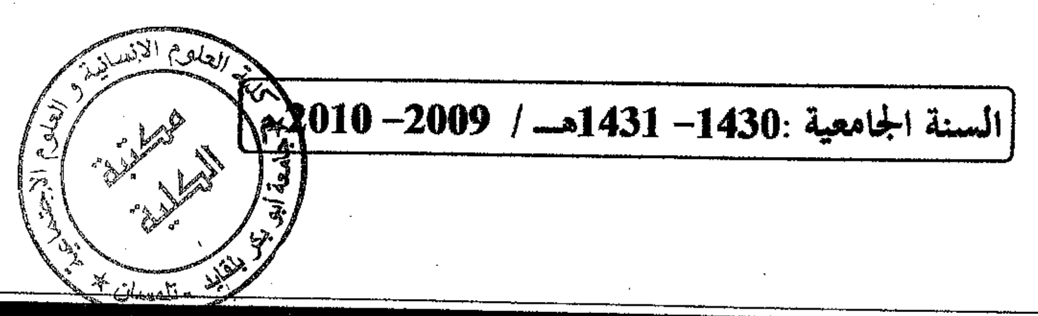
(5هـ- 10هـ) / (11م-16م)

إعداد الطالبة:
خيرة بلعربي

إشراف الدكتور:
مبخوت بودواية

لجنة المناقشة:

أ.د/ عبد الحميد حاجيات	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
د/ مبخوت بودواية	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان	مشرفا
أ.د/ معروف بلحاج	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا
د/ عبدلي لخضر	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان	عضوا
د/ بن حويدقة علي	أستاذ محاضر	جامعة بلعباس	عضوا



السنة الجامعية :1430- 1431هـ / 2009- 2010م

اهداء

أهدي هذا العمل إلى روح والدي الطاهرة

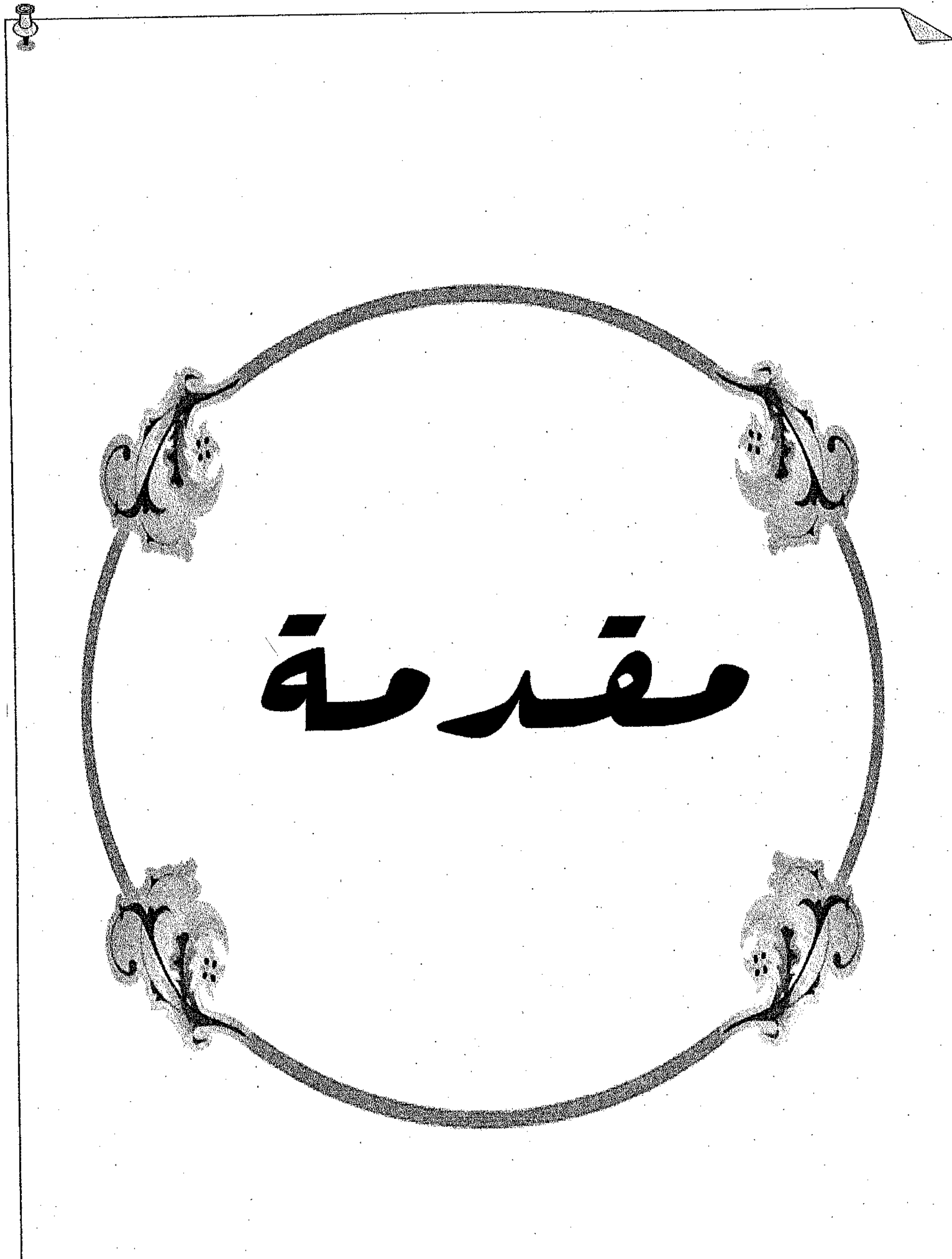
شكر وتقدير

أشكر الله العلي القدير الذي وفقني إلى إنجاز هذا العمل راجية منه سبحانه وتعالى أن يجعله نافعا في الدنيا واجزني ثوابه في الآخرة.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل الدكتور مبخوت بوداوية الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، وكان لي عونا ومرجعا ولم يبخل علي بتوجيهاته القيمة.

كما أتقدم بالشكر إلى كل من ساعدني ووقف إلى جانبي من قريب أو بعيد أساتذتي الكرام وزملائي الطلبة وعمال مكتبة قسم التاريخ بجامعة تلمسان على التسهيلات التي منحوني إياها ليخرج هذا البحث إلى النور.

كما أتقدم بالشكر أيضا إلى السيد خالد عداد مسؤول المكتبة بمتوسطة يغمراسن بن زيان.



مقدمة

عرف المغرب الإسلامي في تاريخه الوسيط نشاطا سياسيا واقتصاديا هاما، نظرا لأهمية موقعه الجغرافي الممتاز الذي ساهم في بروز حركة تجارية سريعة ونشيطة، وذلك بفعل عوامل رئيسية أهمها: يد الإنسان والتبادل التجاري التي كان لها أثر في تفعيل الحركة التجارية بالمنطقة بين دوله والدول الأخرى، وتجسد ذلك من خلال التعامل التجاري بين المراكز المغربية والمراكز الأخرى، خاصة بعد التطور العمراني والسكاني الذي شهده المغرب الإسلامي، ابتداء من النصف الثاني للقرن الثاني للهجرة والثالث والرابع، وما صاحبهما من تطورات وتغيرات في الخمسة قرون اللاحقة، ويتصل هذا التطور العمراني ببروز شبكة من الدروب أغلبها قديم والآخر جديد.

كما أنّ إنشاء المدن واتساعها، صاحبها نشاط اقتصادي كبير، خاصة في المجال التجاري الداخلي والخارجي، وكان لهذا التوسع دورا بارزا في ظهور شبكة من الدروب التجارية الرئيسية والفرعية، وهو ما يدرسه موضوع بحثنا هذا والموسوم بـــ:

المسالــك والــدروب وأثرهــا فــي تفعيــل الحركــة التجاريــة والثقافيــة فــي المغــرب الإسلامــي (5ه-10ه/ 11م-16م).

وتكمن أهمية الموضوع في كونه يمتاز بالجدة ويسلط الضوء على جانب مهم من جوانب التاريخ الاقتصادي، خاصة التجارة والطرق التجارية في المغرب الإسلامي.

وكان اختيارنا له مبنيا على أسس موضوعية، تخص البحث في تاريخ المسالك والدروب التجارية، إضافة إلى نقص الدراسات في هذا الجانب وانطلاقا من ذلك تتحدد إشكالية الموضوع القائمة على مجموعة من التساؤلات منها:

- كيف ساهم الموقع الجغرافي للمغرب في بروز شبكة من الدروب التجارية ؟ وما هي مميزاته الاقتصادية من زراعة وصناعة وكيف أثرت على الأوضاع الاقتصادية في المنطقة ؟

- ما هي أهم المسالك التجارية التي أدت دورا رئيسيا في تنشيط الحركة التجارية ؟

– ما مدى مساهمة هذه الدروب في ربط العلاقات الخارجية بين دول المغرب والأقطار المجاورة كالسودان الغربي ودول المشرق الإسلامي ودول جنوب غرب أوروبا ؟

– كيف أدت دورا حضاريا، إلى جانب دورها الأساسي التجاري ؟

واتبعنا في الإجابة على هذه التساؤلات خطة مكونة من مدخل وثلاثة فصول، حيث تناولنا في المدخل الواقع الجغرافي لبلاد المغرب وأهميته الاقتصادية.

وخصصنا الفصل الأول لدراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فتطرقنا إلى المظاهر الصناعية والزراعية في بلاد المغرب، وتحدثنا عن الحياة الاجتماعية من حيث العناصر المكونة للسكان ونمط معيشتهم.

أما الفصل الثاني، فعالجنا فيه المسالك والدروب التجارية بين المدن المغربية، وركزنا على المسالك البحرية والبرية وتحدثنا عن الحركة التجارية بين المدن المغربية والأندلس.

وجاء الفصل الثالث لدراسة المسالك والدروب التجارية، وعلاقتها بالأقطار الأخرى، فتطرقنا للعلاقات التجارية والتأثير الثقافي بين المدن المغربية وجنوب غرب أوروبا، ثم تعرفنا على المسالك التجارية بين المدن المشرقية والوضعية الثقافية والفكرية بين المركزين، ثم تحدثنا عن الروابط التجارية والثقافية بين المدن المغربية، ومدن السودان الغربي.

وختمنا البحث بخاتمة هي عبارة عن استنتاج عام وإجابة عن تساؤلاتنا، وأرفقنا العمل بملاحق متنوعة.

واعتمدنا على المنهج التاريخي والتحليلي والوصفي من أجل توظيف وتركيب المعلومات الخاصة بالنشاط التجاري والمسالك والدروب.

ولا ننفي وجود صعوبات تواجه أي باحث في عملية بحثه خاصة دراسة المغرب الاقتصادي في جانبه التجاري، لقلة المصادر المتخصصة في هذا المجال، والمراجع التي لم تسلط الضوء على المسالك والدروب التجارية، مما أدى بنا إلى التركيز على مصادر الجغرافيين

والاعتماد عليها في بحثنا، واستغلال ما أمكن من المعلومات والأفكار التي تصب في خدمة الموضوع.

عرض المصادر:

فرضت طبيعة الموضع الاعتماد على مجموعة من المصادر المغربية والمشرقية التي تتكلم بصفة عامة عن الموضوع، ونحاول التركيز في هذه الدراسة على كتب ومصنفات الرحالة والجغرافيين.

أ- المصادر المغربية:

- كتاب " ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " لــ عبد الرحمن بن خلدون(ت: 808ه/ 1406م) خاصة الجزء السابع الذي خصصه للتعريف بدول المغرب الإسلامي وذكر تطورها وعلاقاتها حتى عهد المؤلف، وتكمن أهمية هذا المصدر في كون مؤلفه قد عاصر الأحداث في المغرب والمشرق.
- " تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان " لأبي عبد الله بن عبد الجليل التنسي (ت: 899ه/ 1493م) ، وقد حققه محمود بوعياد ونشر سنة 1985م، وتناول فيه صاحبه الأدوار التاريخية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى عهده، كما اهتم بذكر ملوك بني زيان ومنجزاتهم الثقافية، وقد اعتمد في تأليفه على المؤرخين الذين سبقوه كابن خلدون ، لكنه أورد أحداثا لم تذكرها المصادر الأخرى.

ب- المصادر المشرقية:

- " صبح الأعشى في صناعة الأعشى " لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت: 821ه/ 1481م) ويعتبر هذا الكتاب موسوعة ، ومن أهم ما كتب بالعربية عن تاريخ مصر خلال عصر المماليك وأن كاتبه اشتغل بديوان الإنشاء لفترة طويلة ما مكنه

من الاطلاع على الوثائق الرسمية والمراسلات المملوكية التي قام بتوثيقها في موسوعته، كما سجل لنا مواقع المدن والبلدان والممالك الإسلامية وأحوالها العامة بما فيه الثقافية والعلمية ، واعتنى بذكر المؤسسات التعليمية بمصر.

ج- كتب الطبقات والتراجم:

- " كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان " لأبي عبد الله محمد المليتي التلمساني المعروف بابن مريم، كان حيا سنة (1025ه/ 1611م)، وهو عبارة عن تراجم لعلماء تلمسان والمغرب الأوسط وبعض المغاربة والمشارقة بنوع من التفصيل الذي ذكر فيه شيوخ المترجم له وتلاميذه ورحلاته العلمية ومؤلفاته.
- " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب " لأبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: 1041ه/ 1631م) وهو عبارة عن موسوعة تراجم لأدباء وفقهاء المغرب والأندلس ، وقد خص علماء المغرب الأوسط بقسم وافر من كتابه وترجم لهم تراجم وافية، تعرض من خلالها إلى رحلاتهم نحو مصر، ومن إلتقوه من نظرائهم هناك وأخذوا عنهم ، وذكر مصنفاتهم وتلميذهم، كما تكمن أهمية المصدر في تعرضه للمرتحلين من العلماء من الأندلس باتجاه المشرق ومساهمتهم في توثيق الروابط الثقافية بين أقاليم المشرق والمغرب عموما.
- كتاب " نيل الابتهاج بتطريز الديباج " لأبي العباس أحمد بن أحمد، المعروف ببابا التنبكتي (ت:1032ه/1624م)، الذي ترجم فيه لعلماء المغرب والأندلس والمشرق تراجم وافية، وقد طبع على هامش " الديباج المذهّب في معرفة أعيان علماء المذهب " لبرهان الدين بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري (ت:799ه/ 1397م)، والذي خُصّص لعلماء المالكية بدءا بالإمام مالك حتى عصر المؤلف.

د – كتب البحارة والجغرافيين:

- تكتسي هذه المصادر قيمة توثيقية تاريخية هامة في مثل هذه الدراسات كونها تجسد مدى التواصل الذي كان بين دول المغرب والعلاقات الخارجية.

- " صورة الأرض " لابن حوقل (ت:أواخر القرن 4ه)، يعدّ ابن حوقل أول من أشار إلى استخدام الصكوك في بلاد المغرب، بالإضافة إلى المعلومات القيّمة التي أمدّنا بها عن المراكز التجارية في المغرب الإسلامي.

- " الروض المعطار " للحميري (توفي في القرن 8ه)، بالرغم من أنه ينقل في بعض الأحيان المعلومات التي أوردها الإدريسي مع إضافة بسيطة، إلا أنه يعدّ من المصادر التي يُعتمد عليها في دراسة النشاط التجاري في تلك الفترة.

- " المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب " لأبي عبد الله البكري (ت: 487ه/ 1094م)، يعدّ كتاب البكري من المصادر الجغرافية الهامة التي أفادتنا بالتعريف بالمواقع الجغرافية من مدن وأقاليم، كما أفادنا بوصف الطرق التجارية والأسواق، وحركة التجارة والسلع الصادرة والواردة.

- "كتاب الجغرافيا " لابن سعيد (ت:685ه/1286م)، اعتمدنا على معلوماته عن سكان المدن الساحلية، وما كانوا يتميزون به من ثراء.

- " رحلة ابن بطوطة " المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لمحمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت: 776هــ/ 173م) ، وهي رحلة حافلة بالمشاهدات والأحداث التاريخية، كما تضمنت وصفا لمظاهر الحياة الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للأقطار التي زارها ابن بطوطة .

- " وصف إفريقيا " للحسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي (ت: 957ه/ 1552م) والذي سجل فيها وصف المدن والأقاليم التي مر بها خاصة بالمغرب ومصر.

- " وصف المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس " من كتاب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " لأبي عبد الله الشريف الإدريسي(ت: 548ه/ 1154م)، يعتبر هذا المصدر من أهم المصادر الجغرافية التي اعتمدنا عليها، لأن كتابه يعدّ خير مساعد لدراسة الطرق التجارية والنشاط التجاري في بلاد المغرب والأندلس ، واستخلصنا منه العلاقة الموجودة بين بلاد السودان وبلاد المغرب، وبين المغرب والأندلس، كما أنه

أمدّنا بمعلومات قيّمة عن وصفه لخطط المدن المغربية والأندلسية، وما تشتمله من مرافق.

- " رحلة القلصادي " المسماة تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب لأبي الحسن علي بن محمد القرشي البسطي المعروف بالقلصادي (ت:891هـ/ 1486م)، وتكمن أهميتها في التراجم التي أوردها القلصادي لشيوخه الذين أخذ عنهم بالمغرب ومصر.

بالإضافة إلى مراجع ودراسات حديثة استعنا بها لإثراء الموضوع.

ولا يفوتني أن أوجه جزيل الشكر إلى أستاذي الفاضل الدكتور " مبخوت بودواية" الذي أشرف على المذكرة وأعطاني من وقته، وأفادني بتوجيهاته القيمة طيلة مدة إنجاز البحث، فما جاء في هذا العمل من فضل فإليه يعود وما فيه من تقصير فإليّ ينسب.



مدخل

تطلق كلمة المغرب على كل البلاد الغربية التي تمتد من الحدود المصرية الليبية إلى المحيط، وقد كان يدخل تحت هذا النطاق أيضا صقلية والبلاد الأندلسية بما فيها اسبانيا والبرتغال وكل بقعة دخلها المسلمون في أوروبا الغربية[1].

ويحدِّدُ موقعه الجغرافي ابن حوقل بقوله:" وأمّا المغرب فبعضه ممتد على بحر المغرب في غربيه ولهذا البحر جانبان شرقي وغربي وهما جميعا عامران، وأما الغربي فمن مصر وبرقة إلى افريقية وناحية تنس إلى سبتة وطنجة فللْعرب خاصة وآزيلي وما في أضعاف هذا الإقليم، وأما الشرقي فهو بلد الروم..."[2].

ويقول الإدريسي أن هذا الإقليم مبدؤه من البحر الكبير المحيط بالجهة الغربية من كرة الأرض[3].

كما يعرفه الإصطخري نقلا عن موسى لقبال:" المغرب بتقسيمه إلى نصفين نصف شرقي وهو شمال إفريقيا ونصف غربي وهو الأندلس"[4] ويحدّد أغلب المؤرخين المغرب[5] بالمنطقة الشمالية والمغرب عند الكتاب الأوائل يبدأ مما يلي: إفريقية شرقا إلى سواحل المحيط الأطلسي غربا، فقد ولي يزيد بن عبد المالك يزيد بن أبي مسلم الحجاج بن يوسف الثقفي إفريقية والمغرب وهذا معناه أن إفريقية غير المغرب[6].

[1] - ابن عبد الحكم: فتوح افريقية والأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الصباغ، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1964،ص37.

[2] - ابن حوقل: صورة الأرض، ج1، ج2، دار صادر، بيروت، 1938، ص 60.

[3] - الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،ط1، عالم الكتب، بيروت، 1989،ص217.

[4] - موسى لقبال: المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981،ص15.

[5] - بلاد المغرب: يشتمل على ثلاثة أقاليم، فالمغرب الأدنى يشمل ما بين برقة شرقا وبجاية غربا، المغرب الأوسط يشمل ما بين بجاية وواد ملوية والمغرب الأقصى يشمل ما بين واد ملوية والمحيط الأطلسي، أنظر: يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر،ج1،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999،ص15.

[6] - محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي في المغرب العربي،ط1،دار الفكر العربي، بيروت، 1966،ص14.

وينتهي المؤرخون إلى تحديده بالمنطقة الواقعة غرب مصر من طرابلس شرقا إلى بحر الظلمات غربا، ومن بحر الروم شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا[1].

والغالب أنّ معنى لفظ المغرب انتهى عند المؤرخين والجغرافيين إلى أنه يشمل كل ما يلي مصر غربا حتى المحيط. وقسّموه إلى ثلاثة مناطق: **المغرب الأدنى، المغرب الأوسط والمغرب الأقصى.**

فالأدنى يسمّى إفريقية[2] أيضا يمتد تقريبا من طرابلس إلى بجاية[3] ، والمغرب الأوسط يمتد من بجاية إلى نهر ملوية[4] وراء تلمسان[5]، والمغرب الأقصى يمتد من وادي ملوية حتى طنجة، أما وراء طنجة فهي شبه جزيرة إيبيريا أو الأندلس[6]. وهناك من يقول أن بلاد المغرب تمتد من البحر المتوسط شمالا إلى جبال درن[7] جنوبا و من وادي ملوية

---

[1]- نصر الله سعدون: تاريخ العرب السياسي في المغرب منذ الفتح العربي حتى سقوط غرناطة (20هـ- 798هـ/640م-1492م)، دار النهضة العربية، بيروت، دت ،ص13.

[2]- إفريقية: هو اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية وينتهي آخرها قبالة الأندلس، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، دار صادر، بيروت، 1986، ص227.

[3]- بجاية: مدينة على البحر لكنها على حرف حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمى مسيون........ وهي مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا، أنظر، الإدريسي، المصدر السابق، ص95.

رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ – العهد الإسلامي- من الفتح إلى بداية العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984،ص13.

[4]- نهر ملوية: وادي ملوية يقع إلى وادي صاع فيجتمعان معا ويصبان في البحر ما بين جراوة ابن قيس ومليلة، أنظر الإدريسي، المصدر السابق، ص 247.

[5]- تلمسان: مدينة أزلية ولها سور حصين متقن الوثاقة......... وغلاتها ومزارعها كثيرة وفواكهها جمة وخيراتها شاملة ولحومها شحمية سمينة وهي حسنة لرخص أسعارها.......ومرابح تجارتها.......أنظر: الإدريسي، المصدر نفسه،ص 248.

[6]- رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص13.

[7]- جبال درن: الذي ليس له جبل مثله إلا القليل في السمو وكثرة الخصب وطول المسافة واتصال العمارات ومبدؤه من البحر المحيط في أقصى السوس ويمر مع المشرق مستقيما حتى يصل إلى جبال نقوسة فسمي هناك بجبل نقوسة، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق،ص229.

وممر تازا[1] شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا حتى مدينة آسفي.

كان المغرب وما زال يزخر بثروات طبيعية هامة وهائلة، جعلته مطمع الغزاة، إضافة إلى تموقعه على رأس القارة الإفريقية، كما يمتاز بطبيعة جغرافية صعبة تتمثل في كتلة واحدة تجاور البحر الأبيض المتوسط، يتفرّع منها في الشمال جبال الأطلس الشمالية والغربية من المحيط الأطلسي حتى مدينة تلمسان ، ومن الجنوب تمتد من جبال الأطلس الجنوبية أو الأطلس الصحراوي، من مدينة أغادير إلى البلاد التونسية وتتكون في منخفضاتها سهول خصبة وفيرة المياه[2].

هذا الموقع الاستراتيجي ساهم في نشاط الحركة الاقتصادية لكل الدول التي ظهرت وتأسست بهذه المنطقة، ويصف المؤرخون الجغرافيون بلاد المغرب كثيرا في مؤلفاتهم ويذكر المقديسي:" على أنه إقليم بهي، كبير سري، كثير المدن والقرى، عجيب الخصائص والرخا، به ثغور جبلية[3]........وحصون كثيرة ورياض نزهة."[4]ولقد شهد المغرب ازدهارا اقتصاديا كبيرا شمل جميع الجوانب؛ من زراعة وصناعة وتجارة بعد انفصال الدول الثلاثة: الرستمية والإدريسية والأغلبية عن الخلافة العباسية[5]، فقد شهدت الزراعة ازدهارا قويا في بلاد المغرب بحيث وصف ابن عذارى تاهرت[6]:" **كان حول تيهرت بساتين من أنواع الثمار كثير**

---

[1]- تازا: مدينة كبيرة لا يقل نبلها عن قوتها، وتعيش في رخاء على أرض خصبة، أسسها الأفارقة القدماء على بعد نحو خمسة أميال من الأطلس، وتبعد عن فاس تقريبا بنحو 80 ميلا، وعن البحر المحيط بـــ 250 ميلا، وعن البحر المتوسط بـــ 75 ميلا ...، أنظر: الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ج5، ط2، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 354.

[2]- حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ص ص 4-5.

[3]- المقديسي: أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم، دار الكتب العالمية، لبنان، 2002،ص173.

[4]- نفسه.

[5]- سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين، ج2، منشأة المعارف، الإسكندرية، القاهرة، 1993،ص 494.

[6]- تيهرت: أصبحت في فترة زمنية قصيرة مدينة عامرة بالسكان تتجه نحو النمو والازدهار إذ أصبحت لا ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان البصري، أنظر: ابن الصغير المالكي: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق: محمد الناصر وإبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، 1986،ص 13.

الأشجار وهي شديدة البرد، كثيرة الأمطار قيل الظرفاء من أهلها: كم الشتاء عندهم من شهر في السنة قال ثلاثة عشرة شهرا."[1]

ويصفها البكري:" أنها تحوي بساتين فيها جميع الثمار، وسفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعما ومشمًّا وسفرجلها يسمى بالفارسي وهي كثيرة البرد والغيوم والثلج."[2]

كما تعد مدينة فاس حاضرة المغرب لكثرة زرعها وجناتها ورياضها، وهي في رغدٍ من العيش، طيبة المآكل لرخص الأسعار[3]. ويصفها الإدريسي:" بها ضياع ومعايش ومباني سامية ودور وقصور ولأهلها اهتمام بحوائجهم ومبانيهم ونعمها كثيرة رخيصة الأسعار، ....وفواكهها كثيرة وبها بكل مكان عيون نابعة ومياه جارية... وبساتينها عامرة وحدائقها ملتفة وفي أهلها عزة ومتعة."[4]

وتنوعت المحاصيل ببلاد المغرب؛ من ثروات نباتية وحيوانية منها القمح والشعير إضافة إلى البقول والفواكه بمختلف أنواعها، وغابات تشتمل على مختلف الأشجار البريّة الصنوبر، والبلّوط وغيرها[5]، بالإضافة إلى كثرة منابعها وخصوبة ضواحيها و بداخلها منابع شتى صالحة للرّي و بها مزارع غنية بتربية المواشي.[6]

يقول ابن خلدون: " إن الصناعة تنفق سوقها وتُجلب للبيع، فيجتهد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة، يكون منها معاشهم. وإذا لم تكن للصناعة مطلوبة لم تنفق سوقها و لم يوجه أحد إلى تعلمها فاختصت بالتّرك وفقدان للإهمال، ولهذا يقال عن علي رضي الله عنه

---

[1]– ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تحقيق إحسان عباس،ج2،ط2،دار الثقافة، بيروت، 1980،ص 196.

[2]– البكري أبي عبيد: المغرب في ذكر إفريقية وبلاد المغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (.ت) ،ص 67.

[3]– أبو بكر الزهري:كتاب الجغرافية، اعتنى به محمد حاج الصادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت)، ص 114.

[4]– الإدريسي: المصدر السابق،ص242.

[5]– القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا:ج5، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة،(د.ت، ص ص 112–113.

[6]– عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 110.

قيمة كل امرئ ما يحسن بمعنى أن الصناعة هي قيمته أ ي قيمة عمله "[1]، ومن منطلق هذه المقولة فقد شجع الحكام العمل بالصناعة التي ساهمت في دفع عجلة التقدّم في بلادهم[2] فبالإضافة إلى الازدهار الزراعي فقد صاحبه ازدهار صناعي منه: صناعة سبائخ الصوف والكتان والطين والزجاج والأثاث من الخشب المنحوت والمخروط[3].واشتهر المغرب أيضا بمعادنه خاصة مدينة مجانة[4] التي اشتهرت بمعادنها إذ سميت بمجانة المعدن[5]، ويذكر اليعقوبي: " **بهذه المدينة معادن الفضة والكحل والحديد والزنك والرصاص**"[6]. ويمكننا القول أن الصّناعة المعدنية قد تطورت في دولة الأغالبة، ولوفرة المعادن نلاحظ إنشاء المعامل لصنع الأسلحة والزجاج والبلور والفخار والخزف والمنسوجات ودبغ الجلود[7].

وكل الأقاليم الممتدة ما بين القيروان والساحل والمدن الجنوبية، لها خصائصها الفنية في طريقة النسج، وشكل القطعة، ونوع الزخرفة وتحديد الألوان وتوزيعها[8].

أمّا الصناعة في المغرب الأقصى، فكانت مزدهرة لتوفر المواد الأولية، إذ نجد به مناجم إعادة الصباغة العديدة أهمها منجم درعة، وصناعة المواد الغذائية من طحن الحبوب وعصر الزيتون، فقد اشترت معاصره في كل بقعة عامرة بالتجارة. كما ازدهرت أيضا صناعة النسيج به؛ فأصبح السكان ينسجون ملابسهم من المواد الأولية المحلية كالقطن والكتان والصوف[9].

---

[1]– ابن خلدون: المقدمة، ص 447.

[2]– سعد زغلول: المرجع السابق، ص 449.

[3]– مبارك الميلي:تاريخ الجزائر القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص 449.

[4]– مجانة: أهلها قوم يقال لهم السناجرة يقال أن أولهم من سنجار من ديار الاليغة وهم جند السلطان وبها أصناف من العجم والبربر وغيرهم، أنظر: اليعقوبي: كتاب البلدان، طبع بمطبعة بريل، ليدن، 1891،ص 180.

[5]– سعد زغلول: المرجع السابق،ص 497.

[6]– اليعقوبي: المصدر السابق،ص 188.

[7]– تمامي نفزة: القيروان عبر العصور، طبع كتابة الدولة للشؤون الثقافية والإرشاد، 1964، ص 42.

[8]– سعد زغلول: المرجع السابق،ص 498.

[9]– سعد عباس نصر الله: دولة الأدارسة في المغرب – العصر الذهبي 172- 223ه/ 788- 835م)، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1987، ص141.

بالإضافة إلى صناعة مختلف وسائل البناء الخشبي والأثاث وصناعة السفن[1]، كما انتشرت صناعة الفخار نظرا لتوفر المنطقة على الماء والصلصال.

وبفضل الموقع الممتاز لبلاد المغرب عامة، عرفت التجارة وازدهاراً كبيرا بين المدن المغاربية، ونشيطا مع المدن الشرقية والأندلسية، وفي هذه الفترة وجدت مدن كانت مراكز للتجارة الداخلية والخارجية منها: تاهرت- فاس- القيروان حيث برزت القيروان كمدينة هامة، إذ يصفها ابن حوقل فيقول:" كانت القيروان أعظم مدينة بالمغرب، وأكثرها تجارا وأموالا، وأحسنها منازلا وأسواقا، وكان فيها ديوان جميع المغرب وبها دار سلطانها."[2] فقد كانت نقطة لقاء بين المغرب والمشرق، وبين التجارة المتوسطية وقوافل التجارة الصحراوية[3].

كما برزت تاهرت على الساحة التجارية، حيث كانت تعد معبرا أساسيا لوجود الأسواق العامرة بشتى البضائع. واتصالها بشبكة من الطرق التجارية من كل الجهات؛ زادها ازدهاراً صناعيا وتجاريا، جعل منها سوقا مفتوحة ووجهة التجار الكبار من كل المناطق كالقيروان والعراق[4].

وقد زاحمت هاتين المدينتين في التجارة مدينة فاس التي ضمت العدوتين، عدوة الأندلسيين وعدوة القرويين في المغرب وكل منها سوق كبيرة تكمل بعضها البعض وكانت هذه السوق تمثل محورا رئيسيا تتفرع منه العديد من الطرق والمسالك التجارية[5] وبالتالي احتلّت فاس مركزا تجاريا مرموقا بين الجنوب والشمال والشرق والغرب حيث أنها تقع عند ملتقى طرق القوافل[6].

---

[1]- إسماعيل العربي: دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص ص 111-112.

[2]- ابن حوقل: المصدر السابق،ص 96.

[3]- ابن عذاري: البيان المغرب، المصدر السابق، ج1،ص 51.

[4]- علي دبوز: المغرب الكبير، ج3 ، طبع بدار الإحياء للكتب العلمية، عيسى البابلي الحلبي وشركاءه، 1963،ص 281.

[5]- فتحي زغزوز: العلاقة بين الفاطميين والأمويين، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 2005،ص 158.

[6]- إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص113.

كان للحياة السياسية تأثير على الحياة الاقتصادية فالاستقرار والقوة في الحكم كانا عاملين رئيسيين في نشاط التجارة، ويبدو أنّ المغرب حافظ على مكانته الاقتصادية وخاصة التجارية نظرا لما توفر عليه من ثروات زراعية وصناعية. فرغم الاضطراب وكثرة الحروب، ظل محافظا على مراكزه التجارية في العديد من المناطق. ولقد عرف المغرب في نهاية القرن الخامس الهجري انتعاشا اقتصاديا حيث نجد زراعة مزدهرة، وتجارة منتظمة ونشيطة ولكن الحياة السياسية كانت تعيش ضعفا واضطرابا فقبل وصول المرابطين عرف المغرب شتاتاً، حتى أنه لم يبق فيه أي قوة منظمة[1].

وعلى العموم فقد ظل الانتعاش الاقتصادي ميزة المغرب الإسلامي، خاصة بعد بروز قوة جديدة تحاول توحيده تحت سلطة واحدة، وبعد قيام دولة المرابطين[2] التي وحدته سياسيا وكان لتأسيس تلمسان الجديدة "تاجرارات" على يد "يوسف بن تاشفين" سنة 474ه. أثر في الحياة الاقتصادية خاصة بعد أن أصبحت قاعدة المغرب الأوسط السياسية ومن أهم مدنه التجارية. فقد ازدهرت المنطقة اقتصاديا، وانتعشت تجاريا، فاستطاع المرابطون حماية السهول الزراعية عن طريق تشييد الحصون لتأمينها داخليا وخارجيا[3].كما حافظت المنطقة على ازدهارها في عهد الدولة الموحدية[4] التي ساهمت بقوة في المحافظة على المبادلات التجارية الداخلية والخارجية.

وتعتبر كل من الدولتين رائدتين في مجال توحيد المنطقة سياسيا واقتصاديا وفنيا وثقافيا، حيث شجعت الدولة الموحدية التجارة البحرية الخارجية خاصة مع دول أوروبا

---

[1]– عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2007،ص ص 249-252.

[2]– المرابطين: تنتمي الدولة المرابطية إلى قبيلة لمتونة البربرية وهي إحدى بطون قبيلة صنهاجة البربرية التي تتفرع منها عدة بطون: مسوفة وجدالة ولمطة، أنظر:ابن خلدون : ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد السادس، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968،ص 371.

[3]– عبد الحميد حاجيات: المسالك والدروب في المغرب الأوسط، المجلة العربية للثقافة، العدد 5، ألاسكو تونس، 1983،ص 97.

[4]– الموحدية: ظهرت الدعوة على يد محمد بن عبد الله بن تومرت المعروف بالمهدي وظهرت حوالي 515ه، في منطقة السوس الأقصى، أنظر: مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، 1979، ص 113-114.

المسيحية[1]. وبضعف الدولة الموحدية انقسم المغرب إلى ثلاث دويلات هي: الدولة المرينية، الزيانية[2] والحفصية[3]، حيث سلّطت كل واحدة نفوذها على منطقة معينة من بلاد المغرب، وساهمت كل واحدة منها في ازدهار الاقتصاد وانتعاش التجارة، حيث تحسنت أحوالها ونمت أرباحها[4]، فبرزت مدن أخرى ساهمت في ازدهار الحركة التجارية في بلاد المغرب والصحراء وأوروبا.

والواضح أن كل دولة قامت على أرض بلاد المغرب، إلا واهتمت بالمسالك التجارية والمدن الرئيسية، التي تعتبر مراكزاً تجاريةً هامةً، وحلقة ربط بين الشمال والجنوب، والشرق والغرب؛ فالاهتمام البارز بهذه الدروب يدل على أهمية الاقتصاد خاصة التجارة في تثبيت دعائم هذه الدول.

[1]- عبد الله العروي، المرجع السابق، ص 325.

[2]- الزيانية: تنتمي قبيلة بن عبد الواد إلى زناتة الشرقية، وبضعف دولة الموحدين انتهز بنو عبد الواد الفرصة للسيطرة على مناطق المغرب الأوسط واستطاعوا السيطرة على المنطقة التي ستصبح من أهم دول المغرب بقيادة يغمراسن بن زيان الذي يعد تاريخ تعيينه بداية لتأسيس الدولة، أنظر: يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص ص 199-200.

[3]- الحفصية: ينتسب بنو حفص إلى الشيخ أبي حفص الأول عمر بن يحي بن محمد وانودين بن علية بن أحمد بن ولال بن إدريس بن خالد...،والشيخ أبو حفص من قبيلة هنتاتة من قبائل المصامدة، ومؤسسها هو أبو زكرياء يحي بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي بكر بن أبي حفص الهنتاتي، عُرف بالأمير بويع البيعة الثانية في 634ه، أنظر: عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 189.

[4]- عبد الله العروي: المرجع السابق،ص 384.



الفصل الأول

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمغرب الإسلامي

1- الوضع الاقتصادي:

1-1- الصناعة:

لقد تأثرت الصناعة في المغرب بعوامل ساهمت في دعمها وتنشيطها، من بينها: نظرة المجتمع إلى العمل، حيث كان المغاربة في القرن السادس يحبون الصناعة ويتعلمون حرفها، ولا يتركون الحرفة إلاّ لقلّة عائدها[1]، ونجد أن المغاربة اهتموا بالصناعة حبًّا في العمل، ومن أجل سدّ حاجاتهم، كما أنّ العامل الذي ساهم في دعم الصناعة هو موقف الدول الحاكمة، خاصة عند المرابطين الذين فرضوا الأمن والاستقرار في البلاد المغربية والأندلسية، حيث شجعت الصناعة وتطويرها وتعلُّم الجديد منها[2]. أما الموحدون فقد شجعوا الصناعة لازدياد حاجة الدولة للصناعات العسكرية، واتساع رقعتها، وساهمت الخبرة الأندلسية الصناعية في تطويرها، حيث استفادت الدولة الموحدية من العديد من رجال الصناعة المشهورين أمثال: أحمد بن ياسة[3]، ابن الليث الصقلي وأبي حسن ابن محمد الأزرق وأبي شامة الجياني[4] في البناء، وعمر بن مرجى الإشبيلي في الزخرفة[5]، والحاج يعيش المالقي المعروف بالأحوص في الهندسة والمساحة[6]. كما استفاد الموحدون من ابن النقرات في الكيمياء[7] وابن رشد الحفيد وابن طفيل وغيرهم في الطب والصيدلة[8]، كما برز عدد من أهل المغرب الذين ساهموا بإنتاجهم في

---

[1]- عزالدين عمر موسى: النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص 207.

[2]- مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق عبد الحميد سعد زغلول، الإسكندرية، 1958، ص 130.

[3]- أبي مروان ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، السفر الثاني، تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت، دار الأندلس، 1964، ص 139.

[4]- ابن زرع الفاسي علي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972، ص 151.

[5] القاضي أحمد بن محمد بن أحمد: جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس، فاس، دون تاريخ، ص 45.

[6]- مؤلف مجهول: رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، تحقيق: ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941، ص 97.

[7]- ابن القاضي: جذوة الاقتباس، المصدر السابق، ص 305.

[8]- عمر عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 212.

مختلف الصنائع، حتى أننا نجد استدعاء الحكام الموحدين للمغاربة إذا أرادوا تشييد عمارة في الأندلس أصبحوا يستدعون بنائين من مراكش وسبتة وفاس وبقية مدن المغرب[1]، ومن أبرزهم أبي الحسن علي بن يوسف بن عبد المؤمن في البناء وهندسة الرّي، وعلي الغماري في البناء[2]، وسعيد الغماري في الطب[3].

وكان المغاربة يطلقون على من يعملون في الصناعات لفظ الصّناع[4]، من بينهم صانعي الأواني الحديدية أو الخشبية، ولم يكن الصناع رجالا فقط بل كان بينهم عدد كبير من النساء، وكل صناعتهم في النسيج والغزل[5]، وتميزت كل صنعة في سوق واحد مثل: سوق الوراقين، الفخارين والعطارين والصبّاغين والدبّاغين[6]، وفي كل صنعة نجد المعلم والعامل والمتعلم ويبدو أنّ حالتهم كانت متدنية وحياة كلها تعب وكد.

ازدهرت الصناعة في عصر المرابطين ازدهارا هاما، نظرا لتوفر المواد الخام اللاّزمة للصناعة، كما أنّ النشاط التجاري الضخم بين موانئ المغرب والأندلس ساعد بدوره على انتشار ورواج الصناعة، فأقبل الصناع على مضاعفة الإنتاج. وظهرت في المغرب والأندلس مراكز صناعية ضخمة[7]، تميزت بأنواع مختلفة من الصناعات من بينها:

---

[1]- ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، المصدر السابق، ص 474.

[2]- نفسه: ص 482.

[3]- أبي العباس أحمد ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج7، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1970، 1972، ص 137.

[4]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ص 351- 352.

[5]- المراكشي: المصدر السابق، ص 155.

[6]- عمر عزالدين موسى : المرجع السابق، ص 216.

[7]- محمد حسين حمدي عبد المنعم: تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين- دولة علي بن يوسف المرابطي-، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، ص 363.

* صناعة النسيج:

انفردت الأندلس بصناعة المنسوجات الحريرية، وكانت مراكزها في القرن السادس هي: مالقة[1] وجيان وغرناطة[2] وألمرية[3] ومرسية[4] وجنجالة[5] وحصن بكيران، ويذكر الإدريسي أن كل مدينة اختصت بنوع من النسيج[6]، فقد ازدهرت" ألمرية" بصناعة الحرير[7] ثم خلفتها مرسية ومالقة بصناعته في العهد الموحدي. وتنوعت في مرسية أصناف الحلل والديباج ومنها كانت تجهز العروس في المغرب[8]، وتعددت أنواع القماش الحريري في" مالقة"[9] وكان ثمن الحلل الموشية من إنتاجها يتجاوز آلاف الدنانير، وهذا النوع ينتج برسم الملوك والخاصة[10]، والواضح أن إنتاج هذه الصناعة كان كبيرا، لأن سكان ألمرية جلّهم صناع نسيج وحياكة[11]، وبلغت طرز الحرير فيها **870** طراز[12]، كما كانوا يجيدون تقليد الجرجاني

---

[1]– مالقة: هي مدينة بالأندلس على شاطئ البحر عليها سور صخري والبحر في قبلتها، ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص 517.

[2]– غرناطة: يذكرها الإدريسي أغرناطة بينها نهر يسمى حدروا وعلى جنوبها نهر الثلج، الإدريسي: صفة المغرب،المصدر السابق، ج2، ص ص 569- 570، وأنظر أيضا: علي بن سالم الورداني: الرحلة الأندلسية، تحقيق: عبد الجبار الشريف، مارس 1984، ص 58.

[3]– ألمرية: هي من أشهر مراكز الأندلس بناها عبد الرحمن الناصر عام 334ه، وهي في الجنوب الشرقي للأندلس، ينظر الحميري، المصدر السابق، ص 130.

[4]– مرسية: مدينة على نهر شقورة بناها عبد الرحمن الثاني الأموي، أنظر الحميري: المصدر السابق، ص 118.

[5]– جنجالة: تقع على مسافة 50 ميلا من مرسية وهي متوسطة القدر خصبة، أنظر: الإدريسي:نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 195.

[6]– نفسه: ص 90.

[7]– أبي الحسن ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ص 102.

[8]– أبي العباس أحمد المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ص 221.

[9]– ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، المصدر السابق، ص 93.

[10]– المقري: نفح الطيب، ج3، المصدر السابق، ص 219.

[11]– ابن سعيد المغربي : المصدر السابق، ص 102.

[12]– الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 197.

والأصبهاني والعتابي(وهو البغدادي) .وصنعوا الستور المكللة[1] والمعاجر[2]. وتميزت الأندلس بصناعة الديباج والوشي المذهب من إنتاج مالقة ومرسية وألمرية ولقد تعجب له المشارقة[3]. وافردت مالقة بصناعة القلشاني[4] وغرناطة وبسطة بالملبد المختم ذي الألوان[5]، وكان الصنّاع يزينون إنتاجهم بالصور والزخارف الهندسية[6]. ونلاحظ إختفاء مراكز هذه الصناعة وبروز مراكز جديدة مثل اختفائها من باجة الأندلس[7] وازدهارها في" بلنسية" بين دانية وشاطبة[8]. وفي المدن الساحلية الحصينة مثل تونس والمهدية وبونة وبجاية[9]، وتظهر في مراكش وفاس حيث كثر إنتاج القطن في السهول الغربية ومرتفعات تادلا، وقد كان في فاس وحدها 3064 دارا معدة للحياكة[10]. وتميز الإنتاج المغربي في هذا القرن بالجودة والكمية، فتجد التونسي المعروف بالإفريقي قد يكون رقاعا من القطن والكتان أو الكتان وحده وهو أمتع من النصافي ويضاهي الكتاني منه ثياب الحرير ويباع بأثمان باهضة[11].

ولقد تفرّدت البلاد الأندلسية بصناعة البسط والطنافس طوال القرن السادس الهجري. وانتشرت صناعة الثياب من الصوف في البلاد الشرقية والغربية، وازدهرت هذه الصناعة كثيرا في العصر الموحدي[12].

---

[1]– المعاجر: ما تضعه النساء على رؤوسهن أو يلتحفن به.

[2]– الإدريسي: المصدر السابق، ص 197.

[3]– المقري: المصدر السابق، ج1، ص 201.

[4]– الحميري: المصدر السابق، ص 163.

[5]– المقري: نفح الطيب، ج1، المصدر السابق، ص 201.

[6]– عز الدين عمر موسى: المرجع السابق، ص 219.

[7]– المقري: نفح الطيب، ج1، المصدر السابق، ص 109.

[8]– الإدريسي: المصدر السابق، ص 192.

[9]– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 450، أيضا ابن سعيد، المصدر السابق، ص 109.

[10]– ابن زرع الفاسي علي: المصدر السابق، ص 26.

[11]– ابن سعيد: المصدر السابق، ص 109.

[12]– عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص 220.

وعرفت قفصة[1] بأرديتها وطيالسها وعمائمها الصوفية، والقلعة بأكسيتها[2]. وازدهرت هذه الصناعة في البلاد الغربية في العصرين المرابطي والموحدي في تلمسان ووجدة وجبل مديونة وسلا والسوس وبلاد رجراجة وسجلماسة ولمطة[3]، وأغلب الظن أن إنتاجها كان جيد الصنع، حيث أن " أكسية قفصة" كانت تضاهي ثياب الشرق، وتفاصيل نفزاوة تحمل إلى الإسكندرية، والكساء التلمساني رقيق مختم وغير مختم وقد يزن تسع أواق[4]، وأكسية السوس رقيقة، ولهذا يفضلها بربر مكناسة [5]على غيرها. وبرانس مديونة لا ينفذ منها المطر، وأكسية رجراجة يلتحف بها نساء الحضرة المراكشية، ويباع زوج البرانس اللمطية بـ **50** دينارا[6]. ومن الصوف كان المغاربة يصنعون البسط وعرفت بهذه الصناعة مناطق في جبل الونشريس وكانت البسط تصنع في البلاد الأندلسية في مرسية وكونكة وجنجالة ومالقة[7] وانفردت مرسية بصناعة الحصر وإتقانها[8]، مما يدل على أن شرق الأندلس كان المنطقة الأساسية لإنتاج البسط حيث أمر المنصور بنسج كسى وفرش جامع القيروان لمّا أراد تعميره[9]. وتميزت الطنافس المغربية بطولها ولونها الأحمر وزخرفة متنها وحاشيتها بأشكال هندسية مختلفة[10]. وكانت الجدران تزين بحصر" مرسية" نظرا لجودتها وجمال منظرها وتناسق ألوانها[11].

---

[1]- قفصة: مدينة حسنة ذات سور ونهر جار ماؤه أطيب من ماء قسطيلة، ولها في وسطها العين المسماة بالطرميذ، ولها أسواق عامرة ومتاجر كبيرة وصناعات قائمة وبها نخل كثير، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص ص 277- 287.

[2]- ابن سعيد: المصدر السابق، ص 113.

[3]- الإدريسي : نزهة المشتاق ، المصدر السابق، ص 224-225، وأنظر: ابن سعيد: المصدر السابق، ص 117.

[4]- ابن سعيد: المصدر السابق، ص 113.

[5]- الإدريسي: المصدر السابق، ص ص 62- 78.

[6]- عمر عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 221.

[7]- المقري: المصدر السابق، ج1، ص 201.

[8]- نفسه.

[9]- عمر عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 222.

[10]- نفسه.

[11]- المقري: المصدر السابق، ج3، ص 221.

ولقد شجع على كثرة الإنتاج من المنسوجات وجودته عاملان هما: عادة اللبس المغربية وإقبال دول القرن السادس الهجري على شراء المنسوجات، فكانت عادة المغاربة اتخاذ ثياب الصوف في الشتاء، وثياب القطن والكتان في الصيف[1]، ويبدو أن الناس تفننوا في تفصيل ملابسهم وتعددت أساليبهم في ذلك مما أدى إلى ازدهار الخياطة في تلك الفترة.

أما فيما يخص الدول فقد أقبلت على شراء المنسوجات لاتخاذ البنود ووهب الخلع، وحاجة الموحدين تضاعفت لكثرة البنود والأعلام التي اتخذوها[2]، والخلع التي أخرجوها للعامة والخاصة في الكثير من المناسبات[3]، والكسوات التي جعلوها جزءا من رواتب الجند والفرسان[4].

وهذا لا يعني أن جميع طبقات المجتمع قد نعمت بهذا المستوى الرفيع من المنسوجات، وكثيرا ما كان لبس الجلود والقبطيات دون أكمام مظهرا من مظاهر الفقر والبؤس[5]. كما عرفت مدينة تلمسان العديد من الورشات الحرفية لصناعة الأغطية الملوّنة، والألبسة والأقمشة بمختلف الألوان[6]. والحائك والبرنوس التلمساني المشهور بخفته وجودته ومتانته وهو مطلوب في جميع الأقطار المغربية[7]. كما نجد صناعة الزرابي والفرش والسلال ونسيج الحلفاء والجلود المنقوشة والحقائب والأحذية، وغيرها من الصناعات التقليدية، كما عرفت المصابغ في المدينة حيث يقومون بصبغ الخيوط بالألوان المختلفة، وصباغة الصوف ومختلف أنواع الجلود[8].

1- عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص 222.

2- نفسه: ص 223.

3- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه محمد سعيد العريان ومحمد العلمي، مطبعة الاستقامة، 1949، ص 255.

4- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 291.

5- عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص 223.

6 – Marçais ;(G) ; Tlemcen ville d'art et d'histoire ; publié par les soins de la société historique Algérienne ; tome 1 ;Alger ; 1936 ; P. 93.

7- عبد العزيز الفيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002، ص 221.

8- نفسه: ص 222.

* صناعة الورق والوراقة:

تتصل صناعة الورق بالمنسوجات، لأن الورق كان يصنع في المغرب من القطن والكتان[1] وأغلب الظن أن الورق قد صنع في البلاد الشرقية في عصر الأغالبة، وفي البلاد الأندلسية في العهد الأموي في قرطبة، والمؤكد أن" شاطبة" كانت مختصة بهذه الصناعة في المغرب خلال النصف الأول من القرن 6ه ومنها يصل الورق إلى أقطار المشارقة والمغاربة[2] خاصة وأنه لا تذكر أي إشارة لصناعة الورق في مثل هذه الفترة عند البلاد الشرقية ولا الغربية مع العلم أنها كانت تنتج الورق قبل الغزو الهلالي[3]، ولقد ظهرت مراكز لصناعة الورق مثل: بلنسية في البلاد الأندلسية وسبتة[4] وفاس[5] في البلاد الغربية، وقد كان بها لوحدها أيام الموحدين 400 بيت متخذة لصناعة الورق ويمكن أن تكون بلنسية المركز الرئيسي في البلاد الأندلسية للورق وليست شاطبة ، وذلك من خلال كثرة ووفرة الكتان وجودته فيها وكثرة الوراقين والناسخين وقلته في شاطبة[6].

وقد أنتج الورق الملوّن في عهد المرابطين، إلا أنه ضعيف الجودة ولكنه تغير حيث أصبح في العهد الموحدي ذو جودة عالية، إذ يقول المقري:« أنّ أحد المغاربة كتب إلى الكامل الأيوبي رقعة في ورقة بيضاء إن قرأت في ضوء السراج كانت فضية وإن قرأت في الشمس كانت ذهبية وإن قرأت في الظل كانت حبرا أسودا»[7]. ونظرا لازدياد الطلب على الورق ظهرت مراكز إنتاج جديدة لصناعة الورق، ولاسيما في البلاد الغربية خاصة وأنّ المواد الخام توفرت خلال القرن 6ه مع اتساع زراعة القطن في البلاد الغربية[8].

---

[1]- عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص 223.

[2]- الإدريسي: نزهة المشتاق ، المصدر السابق، ص 192.

[3]- عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص 224.

[4]- نفسه.

[5]- ابن زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 26.

[6]- عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص 224.

[7]- المقري: نفح الطيب، ج4، ص ص 326- 327.

[8]- عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص 225.

وانتشرت صناعة الورق وازدهرت في البلاد الغربية خاصة وأنها أصبحت مركز القيادة السياسية والإدارية، والدول تحتاج إلى الورق لتقييد شؤون الإدارة وخاصة المالية منها، بالإضافة إلى الاهتمام بالكتب، حيث لقيت صناعتا الوراقة والنسخ ازدهاراً والمكتبات انتشاراً[1]. وقد اهتم المغاربة بالكتاب وجمعه حيث تم إنشاء الخزائن العلمية التي يجلب إليها الكتب من كل مكان[2]، وكانت المصاحف أكثر ما ينسخ وما ينسخه ابن عبد عابد البلنسي غالي الثمن وجودته عالية يتنافس عليه الناس[3]. وأدت العناية والاهتمام بالكتب إلى تطوير صناعة (التسفير– التجليد)، ونجد كتاب يتحدث عنها وهو(التسيير في صناعة التسفير) لبكر بن إبراهيم الإشبيلي[4].

* الصناعة الجلدية:

انتشرت الصناعة الجلدية انتشارا واسعا لارتباطها بتربية الماشية[5] خاصة في البلاد الشرقية، حيث كان الجلد أبرز منتوجاتها، وقد تحولت مدينة قابس من مركز نسيج إلى مركز دباغة[6]، أما في الأندلس فقد كانت غرناطة مركز الدباغة الأساسي عوضا عن باجة، والمدابغ عادة ما تكون خارج أسوار المدن[7]، ولقد أدى ازدهار الرعي المختلط بالزراعة في البلاد الغربية إلى استمرار مراكز الدباغة القديمة وبروز مراكز أخرى، فقد استمرت الدباغة في درعة وسجلماسة وأغمات التي احتفظت بهذه الصناعة[8] على الرغم من أن تأسيس مراكش قد جذب الصناعات إلى العاصمة الجديدة، وغدامس التي عدت جلودها« أجود الدباغ كأنها

---

[1]– عمر عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 225.

[2]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 239.

[3]– عمر عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 228.

[4]– نفسه.

[5]– إبراهيم القادري بوتشيش: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الإقتصادي والاجتماعي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2002، ص 95.

[6]– الإدريسي: نزهة المشتاق ، المصدر السابق، ص 106.

[7]– المقري: المصدر السابق، ج1، ص 159، وأنظر: عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 403.

[8]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 388، وأنظر : ياقوت الحموي: ج1، المصدر السابق ص 225.

ثياب الخز النعومة والإشراق»[1]، وظهرت المراكز الجديدة وهي مراكش وسلا وفاس التي كان فيها أيام المنصور الموحدي 86 دارا للدباغة[2]، وكانوا يستعملون القرمز في الدباغة[3]، وهذا لم يمنع من استعمال مواد محلية كثمر شجر التاكوت في درعة[4]. ومراكز المصنوعات الجلدية كانت في قرطبة التي سرعان ما فقدت مكانتها وظهرت مكانها مالقة التي كانت مركزا رئيسيا لصناعة الأغشية والحزم والمدورات الجلدية[5].

أما البلاد الشرقية فاختصت بترت[6] بصناعة الفراء الثمين من جلد طير الحواص، وفي البلاد الغربية كانت تلمسان مركز المصنوعات الجلدية التي يتجهز بها الفارس[7]، وظهرت أزقى ولمطة في صناعة الدرق اللمطية[8]، وبرع سكان بجاية وفاس وإشبيلية وغرناطة في صناعة الأحذية[9].

*** الصباغة:**

انتشرت صناعة الصباغة وغزل الصوف الذي كان من نصيب النساء على الخصوص[10]، حيث كانوا يصبغون النسيج والصناعات الجلدية، وعرفوا الألوان الأولية والمركبة من لون أحمر وأسود وأبيض وأخضر وأصفر وجوزي(هو مركب الأخضر والأسود)[11]. ومن مواد الصباغة النيلة والقرمز والزعفران[12]، وتفاوتت أسعار الصباغ

---

[1]– ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، المصدر السابق، ص 187.

[2]– ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، المصدر السابق، ص 26.

[3]– المقري: نفح الطيب، ج1، المصدر السابق، ص 141.

[4]– أبي عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تحقيق البارون دي سلان، الجزائر، 1857، ص 152.

[5]– ابن سعيد : كتاب الجغرافيا، المصدر السابق، ص 93.

[6]– بترت: هي مدينة على البحر خصبة أصغر من مدينة سوسة، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 288.

[7]– ابن سعيد: المصدر السابق، ص 246.

[8]– نفسه: ص 112.

[9]– عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص 231.

[10]– إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 96.

[11]– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ص 445- 486.

[12]) عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص 231.

بتفاوت ألوانها أو لصعوبة تركيبها أو لعدم وجود مادتها واللجوء إلى استيرادها[1]، وقد بلغت فاس مركزا هاما في الصباغة في العصر الموحدي وقد كان فيها **116** دارا للصباغة وعادة ما تكون دور الصباغة على الأنهار[2].

*** الصناعة الخشبية:**

شهد القرن السادس انتشارا واسعا في الصناعات الخشبية وظهرت مناطق جديدة لإنتاجها، وتميزت بكثرة الإنتاج وجودته وذلك لأن أغراضه مختلفة ومتنوعة منها ما هو للضرورة العسكرية كإقامة الجسور على الأودية وإنشاء المراكب والقوارب[3]، وكان للضرورة العسكرية تأثير كبير على بناء السفن، ولقد استطاع بنو حماد إنتاج السفن في بجاية وذلك لتوفر الخشب في مناطقها[4]، ووجدت مراسي البلاد الأندلسية التي كانت مركزا لإنشاء السفن الحربية والتجارية مثل: طرطوشة ولقنت ودانية وبلنسية وقادس وألمرية وقد شكلت المدينتان الأخيرتان قاعدتين للأسطول المرابطي[5]، واشتهرت المدن المغربية الساحلية مثل سبتة وطنجة بصناعة السفن التي يغلب عليها الطابع التجاري[6] حيث أصبحت سبتة قاعدة للأسطول الموحدي، ووسعوا دور الإنشاء التي كانت قائمة في هذه السواحل مثل: بجاية وجددوا ما أهمل مثل: المهدية وتونس[7] وعنابة، وهران، هنين، وأسسوا دورا أخرى[8] جديدة

---

[1]- عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص 231.

[2]- ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 26.

[3]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص ص 90- 91.

[4]- الإدريسي: نزهة المشتاق ، المصدر السابق، ص 90.

[5]- القلقشندي أبو العباس: المصدر السابق، ص 217.

[6]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 168.

[7]- تونس: مدينة حسنة يحيط بها من جميع جهاتها مزارع للحنطة والشعير، وهي مدينة قديمة أزلية خصبة، اسمها في التواريخ ترشيش، ولما فتحها المسلمون وأحدثوا بها البناء سموها تونس، ومن القيروان إلى تونس مئة ميل ودورها أربعة وعشرون ألف ذراع، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 565.

[8]- عمر عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 233.

مثل: سلا[1] وبالقرب من فاس مستفيدين من خشب الأرز الذي في جبال غمارة[2]. وساهمت عمارة المساجد وبناء القصور والمستشفيات في تطوير الصناعة الخشبية لما تحتاجه من سقوف وشبابيك وأبواب ومنابر ومقصورات وأثاث وتحف زخرفية[3]، واشتهرت تلمسان بصناعة كل ما يتعلق بركوب الخيل من أدوات خشبية[4]، ولمطة بسروج الإبل[5]، وغرناطة بمراوح الحلفا[6]، ومالقة بأطباق الخوص[7]، ومرسية بالأسرة المرصعة[8]، وتونس بالأقلام من قصب طبرقة وخشبها[9]، وفاس بالمخروطات الخشبية، وقد كان يدخل فاس من خشب الأرز كل يوم مالا يعد ولا يحصى[10] ونلاحظ أن مناطق الإنتاج كانت في البلاد الغربية وساحل التل الأطلسي الشرقي وشرق الأندلس[11].

* صناعة الزيوت والصابون:

استخرجت الزيوت في بلاد المغرب من الزيتون والأرقان[12] عن طريق العصر أو الطحن أو الغلي، وأما زيت الأرقان فلا يكون إلا بالطحن[13]، وبرزت صفاقص كمركز

---

[1]– سلا: مدينة بالمغرب الأقصى تبعد عن مدينة مراكش بحوالي تسعة مراحل وهي واقعة على البحر وهي قديمة بها آثار كثيرة، أما سلا الحديثة فمنيعة من جهة البحر ولعبت دورا في النشاط التجاري خاصة بين المغرب والأندلس، الإدريسي، صفة المغرب، المصدر السابق، ص ص 72- 73.

[2]– ابن سعيد: المصدر السابق، ص 139.

[3]– عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص 233.

[4]– ابن سعيد: المصدر السابق، ص 140.

[5]– الإدريسي: نزهة المشتاق ، المصدر السابق، ص 224.

[6]– عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص 233.

[7]– ابن سعيد: المصدر السابق، ص 93.

[8]– المقري: ج1، المصدر السابق، ص 201.

[9]– ابن سعيد: المصدر السابق، ص 143.

[10]– مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 187، وأنظر:ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، للمصدر السابق، ص 17.

[11]– عمر عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 234.

[12]– الأرقان: شجرة كبيرة تشبه شجر الإجاص في أغصانها وفروعها، ولها ثمر شبيه بثمر العيون، قشرته العليا رقيقة خضراء، ...يصفر إذا نضج، يُغسل ويُكسر ويُدق لبّه، ويعصر فيخرج منه دهن كثير صافي اللون، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص 230-231.

[13]– عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص 239.

لمعاصر الزيتون في البلاد الشرقية ومنها يحمل إلى سواحل أوروبا وصقلية وإيطاليا[1]، وظهر مركز جديد وهو مركز قابس[2]، وظلت إشبيلية[3] مصدرا رئيسيا للزيت في البلاد الأندلسية وكان يصدر إلى بلاد المغرب والمشرق. بالإضافة إلى مدن جيان[4]، لقنت ومرسية التي اشتهرت بصناعة الزيت[5]. ومن المناطق التي عُرِفت بزيت أرقان نجد بلاد حاحة والسوس ودرن[6]، وكثرة صناعة الزيتون في مراكش[7] وتينمل[8] ومكناسة[9]، ويبدو أن كمية الإنتاج كثرت في العهد الموحدي مما أدى إلى ازدهار صناعة الصابون في مراكش وفاس التي كان فيها على عهد المنصور سبعة وأربعون داراً لصناعته وكان لونه أسمر.

* صناعة السكر:

اشتهرت صناعة السكر في تارودانت[10] وإيجلي[11] ثم مراكش التي وصل عدد معاصرها أربعون معصرة فاقت بها الكميات المنتجة في السوس[12]، ولكن السكر السوسي[13] يتميز بالجودة والصفاء والطيب، أما السكر المراكشي يتصف بنهاية البياض وكان مكررا وصلبا

1- مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 117.

2- قابس: مدينة صغيرة متحضرة بها سوق وباعة وحريريون كثيرون، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 279.

3- إشبيلية: مدينة كثيرة الخير والفواكه والكروم والتين، أنظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص 115.

4- جيان: مدينة بالأندلس تقع في سفح جبل عال وهي كثيرة الخصب، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 183.

5- ابن سعيد: المصدر السابق، ص 274، وأنظر أيضا: الحميري: المصدر السابق، ص 117.

6- مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 212، وأنظر أيضا: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق ص 230.

7- ابن سعيد: المصدر السابق، ص 116.

8- نفسه: ص 125.

9- الإدريسي: نزهة المشتاق ، المصدر السابق، ص 230.

10- مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 212.

11- البكري: المصدر السابق، ص 261.

12- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 94.

13- السكر السوسي: قصب السكر الذي ليس على فزار الأرض، مثله طولا وعرضا وحلاوة وكثر الماء، ويعمل ببلاد السوس من السكر المنسوب إليها ما يعم أكثر الأرض...وهو على جميع أنواع السكر في الطيب والصفاء، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 227.

لطيف المذاق[1]، وكان أهل السوس يفضلون العسل على السكر فكان هذا الأخير يصدر إلى جميع جهات المغرب[2].

*** الصناعة المعدنية:**

برزت" بجاية" في النصف الأول من القرن السادس الهجري كمدينة الصناعات المعدنية في البلاد الشرقية[3] وشاركتها" تونس" في إنتاج المصنوعات المعدنية[4]، واختصت" فقصة" بصناعة الأواني الذهبية[5] وكانت بسطة وألمرية داري صنعة الأندلس في العصر المرابطي[6]، وظهرت مراكز جديدة فلقد اختصت مرسية ومالقة بصناعة أواني الحفر والنحاس والحديد من سكاكين ومقصات مذهبة وجميع ما يحتاجه المترل من أواني خاصة استعدادا للأعراس، والواضح أن" مرسية" كانت أكثر المدن إنتاجا ومنها تصدر المواد إلى البلاد الشرقية والغربية، وتميزت" إشبيلية" بصناعة الأسلحة[7] و"وشقة" بالدروع[8]، وفي البلاد الغربية بدأت تأخذ مكانها فنجد تلمسان التي تخصصت في إنتاج عدة الخيل[9] و" فاس" في مصنوعات النحاس[10] والتي ازدهرت في العهد الموحدي حيث أصبحت مركزا للصناعات المعدنية في البلاد الغربية وظهرت" إيجلي"[11] التي اشتهرت بصناعتها النحاسية التي تصدر إلى السودان[12]. ويبدو أن

---

[1]– الإدريسي: نزهة المشتاق ، المصدر السابق، ص 230.

[2]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 20، وأنظر أيضا :الاستبصار: المصدر السابق، ص 117.

[3]– الإدريسي: المصدر السابق، ص ص 90- 91.

[4]– مثل صناعة الأسلحة والسكة.

[5]– مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 154.

[6]– المقري: نفح الطيب، ج1، المصدر السابق، ص 163، وأنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 184.

[7]– نفسه: ص ص 201- 202.

[8]– ابن سعيد: المصدر السابق، ص 140.

[9]– نفسه: ص 159.

[10]– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 26.

[11]– أيجلي: قاعدة بلاد السوس، مدينة كبيرة تقع على نهر كبير، كثيرة البساتين والفواكه، مشهورة بقصب السكر والنحاس الذي يتجهز به إلى مختلف الأنحاء، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 71.

[12]– مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 212.

الصناعة المعدنية شملت ثلاثة ميادين كثرة فيها إنتاج الدول منها وانتشرت مراكزها وهي في المعمار والأسلحة والسكة[1].

أما في ميدان المعمار فلقد ازداد الطلب على الصناعة المعدنية في البناء، وفي أثاث المساجد والقصو، وتزيينها مثل تزيين المنتوجات الخشبية بالمعادن وتذهيبها، زيادة على الحلي وتذهيب الأواني الفخارية، وانتشرت الصناعة المعدنية في هذا المجال بفضل استخدام الحديد والرصاص كأنابيب لجرّ المياه إلى المدن وتوزيعها مثل ما هو موجود في فاس[2]، واتخاذ أيضا الشبابيك وثريات للتزيين خاصة المساجد حيث يقول صاحب روض القرطاس:« أن ثرية جامع القرويين في فاس المؤلفة من 509 قنديلا تزن17 ونصف قنطارا و13 رطلا من النحاس وتحمل هذه القناديل قنطارا وسبع قلال من الزيت»[3].

أما ميدان صناعة الأسلحة فقد تطور كثيرا، حيث أصبحت الأسلحة متنوعة ومختلفة وأيضا صناعة الخوذات والدروع والزرد[4]، ويقال أنه« كان يضرب لعبد المؤمن كل يوم عشرة قناطير من الأسلحة في كل بلاده»[5]. بالإضافة إلى استعمال الكرات الحديدية الملتهبة في دك الحصون[6] والمجانيق الكبار[7]، كما أن مجال ضرب العملة في جميع مدن المغرب مثل: إشبيلية- بلنسية- الجزيرة الخضراء- دانية- غرناطة- قرطبة- تلمسان- سجلماسة- فاس- مراكش- سبتة وسلا[8] وإنتاج الذهب والفضة في هذه البلاد مما أدى إلى تنوع العملات من فضية وذهبية.

---

[1]- عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص 251.

[2]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، المصدر السابق، ص ص 45- 46.

[3]- نفسه: ص ص 38- 39.

[4]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 91.

[5]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، المصدر السابق، ص 131.

[6]- رسائل موحدية: المصدر السابق، ص ص 105- 107.

[7]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، المصدر السابق، ص 153.

[8]- عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص 253.

* الصناعة الفخارية:

انتشرت هذه الصناعة في البلاد المغربية نظرا لاتصال الأواني الفخارية والخزفية بحياة الناس اتصالا وثيقا، وهي تعكس تدرج البشرية في سلم الرقي[1] بصورة واضحة، لذلك أصبح لهذه الصناعة مكانة هامة حيث تركزت في جنوب الأندلس، وشرقها بداية في ألمرية ثم مدينتي مالقة ومرسية[2]، وانتشرت في العصر الموحدي في تونس وقفصة التي اشتهرت بخزفها الأبيض المعروف بالريحية[3] وأصبحت فاس منطقة كبرى لإنتاج الفخار وقد كان في أيام المنصور الموحدي 188 معملا لصناعة الفخار[4] وكانت هذه المعامل جميعها خارج نطاق السور بعيدا عن التجمعات السكانية بسبب إحداثها ضررا لما يصدر عنها من دخان أو رائحة كريهة[5].

وإلى جانب الأواني الفخارية المذهبة أو المزججة كان الصّنّاع ينتجون نوعا من المفصص (الفسيفساء)، ونوعا من الزليج المدهون بالألوان المختلفة، ويفرشون به البيوت ويقيمونه مقام الرخام[6] ويزينون به منازلهم ويستعملونه في برك المياه[7] ويزخرفون به القبور[8]. ويذكر القلقشندي أن إشبيلية اشتهرت بهذه الصناعة أي صناعة الفخار، وكانت صناعة ذات جودة عالية بسبب جودة تربتها ويضيف أن ليس في الدنيا مثل فخارها للطبخ[9] بالإضافة إلى مجريط[10] ومالقة.

---

[1]– جمال أحمد طه دنون: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين: 448هـ/ 1056م إلى 668هـ/ 1269م، دراسة سياسية وحضارية، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، 2002، ص 220.

[2]– المقري: نفح الطيب، ج1، المصدر السابق، ص 125، أنظر: ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر ، بيروت، 1960، ص 67.

[3]– مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 154.

[4]– ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، المصدر السابق، ص 26.

[5]– جمال أحمد طه دنون: المرجع السابق، ص 220.

[6]– المقري: نفح الطيب، ج1، المصدر السابق، ص 202.

[7]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 287.

[8]– عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص 254.

[9]– أبو العباس أحمد القلقشندي: المصدر السابق، ص 418.

[10]– مجريط: هي مدينة صغيرة بالأندلس بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن وهي بمقربة من طليطلة، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 523.

كما توجد صناعات أخرى مثل صناعة الزجاج حيث برزت كل من ألمرية ومرسية ومالقة في القرن السادس الهجري بهذه الصناعة بالإضافة إلى قفصة[1]، وتركزت أيضا في فاس حيث كان بها 11 مصنعا لعمل الزجاج[2]، وكان العمل يجري بهذه المعامل تحت الأرض حتى لا تتأثر هذه الصناعة بالريح والغبار ولقد تفنن الفاسيون في صنع أشكال متقنة من أنواع الزجاج بألوان مختلفة مثال ذلك ما ركب بجوار الشمسيات التي بجانب القبلة بمسجد القرويين، كما صنعت قوارير الزجاج التي كانت تسرج في أول الليل وآخره[3].

بالإضافة إلى صناعة الخمور حيث من أهم مراكزها مالقة، بلنسية، إشبيلية، ميورقة[4]، حيث أن الفواكه كانت تعتصر خمورا فالعنب أكثرها استعمالا، واختصت مرسية بخمور من التين والزبيب واشتهر السوس بصناعة الخمر من العسل[5] واشتهرت مدينة جيجل[6] أيضا وفاس ومراكش ودرن والسوس[7] وبلنسية وإشبيلية في الأندلس[8].

1-2- الزراعة:

تعتبر منطقة المغرب من أخصب المناطق في الأراضي وذلك لما تتوفره على أراضي سهلية خصبة وتربة فيضية لكثرة الأنهار في المنطقة، حيث يقول المراكشي:« إن ماء الأنهار لا ينقطع في الصيف أو الشتاء. هذا عدا الأودية الصغار والأنهار التي يجف ماؤها صيفا»[9] وهو يقصد نهر جردة ببلاد تونس ونهر الوادي الكبير ببجاية ونهر وادي ملوية وهو بتلمسان

---

[1]- مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 154.

[2]- ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 154.

[3]- جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص ص 220- 221.

[4]- ميورقة: هي جزيرة في البحر الزقاقي تسامتها من القبلة بجاية ومن الجوف برشلونة من بلاد أراغون ومن الشرق إحدى جزيرتها مترفة، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 567.

[5]- مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 212.

[6]- نفسه: ص 128.

[7]- الإدريسي: المصدر السابق، ص ص 62- 63.

[8]- الحميري: المصدر السابق، ص 171.

[9]- المراكشي: المصدر السابق، ص 243.

بالجزائر ونهر سبو المحيط بمدينة فاس ، ونهر أم الربيع بين سلا ومراكش بالمغرب الأقصى، لهذا تعددت المنتجات والمحاصيل الزراعية وتوفرت وتنوعت من منطقة إلى أخرى ومن فترة لأخرى.

ولقد عرفت الدولة الحمادية[1] استقرارا في المجال الإقتصادي مما أدى إلى تنوع المحاصيل فقد اشتهرت بالزراعة والصناعة. فأما الزراعة اشتهرت بها المدن الشمالية خاصة بزراعة الحبوب منها القمح والشعير[2] الذي كان يشكل الإنتاج الأساسي والمناطق الجنوبية تشتهر بزراعة النخيل والزيتون وأنواع الثمار[3]، حيث تميزت القلعة بجودة إنتاجها، إذ يذكر الإدريسي:« فواكه ونعم يلحقها الإنسان بالثمن اليسير وبلادها جميع ما يضاف إليها تصلح فيها السوائم والدواب لأنها بلاد زرع وخصب وفلاحتهم إذا كثرت أغنت وإذا قلّت كفت»[4]. واشتهرت منطقة القبائل بأشجار الزيتون[5]، واحتلت بجاية المكانة الأولى، حيث تعددت بها المحاصيل الزراعية كالحنطة والشعير والتين المجفف والقمح والفول والعدس والحمص والذرة والبزلاء، ومن الفواكه نجد العنب والرمان والسفرجل والتفاح والزعرور، والخوخ والمشمش والتوت والليمون بالإضافة إلى اللفت واللوبيا والباذنجان، ومن الزهور الرياحين والياسمين والنرجس[6]. وتميزت كل من طولقة والقل وجيجل والخضراء[7]، وقرية بني

---

[1]- الدولة الحمادية: ينتسب الحماديون إلى حماد بن بلكين بن زيري من قبيلة صنهاجة، فبعد وفاة بلكين بن زيري خلفه ابنه المنصور كحليفة للفاطميين على إفريقية والمغرب، ويذكر أن المنصور عقد لأخيه حماد على أشير والمسيلة وقد كان يتداولها مع أخيه يطوفت وعمه أبي البهار، أنظر: ابن أبي دينار القيرواني: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، ط2، المكتبة العتيقة، تونس 1967، ص 77.

[2]- البكري: المصدر السابق، ص 49.

[3]- ميخوت بودواية وآخرون: كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1945، مطبعة الديوان، الجزائر، 2007 ، ص 145.

[4]- الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 262

[5]- مبخوت وآخرون: المرجع السابق، ص 146.

[6]- القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص ص 112- 113.

[7]- الخضراء: مدينة صغيرة حصينة على نهر صغير عليه عمارات متصلة وكروم وبها من السفرجل كل بديع ولها سوق وحمام وسوقها يجتمع إليها من أهل الناحية، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 253.

وازلفن وبالقرب من تنس وشرشال، ووجدت التمور ببسكرة وطولقة وطبنة والمسيلة واشتهرت به مدينة بسكرة[1]. كما انتشرت غابات الصنوبر ببجاية وبونة والتي يستخرج منها الزفت البالغ الجودة والقطران[2].

ووجد أيضا بالدولة الحمادية أنواع مختلفة من الحيوانات منها: البقر والغنم والخيل والبغال والإبل والنحل، واشتهرت بتربية الحيوانات[3] المدن التالية: المسيلة– تاهرت– تدلس– الجزائر– وطبنة[4].

ولما سيطرت الدولة المرابطية على المغرب الأقصى فصلت بين مناطق الإنتاجية أي السهول والمناطق المخصصة للرعي وبالتالي قامت بتنظيم العلاقات بين البدو في الجهات الهضبية أو شبه الصحراوية وسكان السهول الذين كانوا يستقرون في الشمال. وساهم الأمن والاستقرار في تنشيط الحركة الفلاحية، أما الأندلس فحسنت أحواله وأوضاعه خاصة بعد القضاء على ملوك الطوائف، وبالتالي نهاية الفتن والنزاعات وألغوا الضرائب الباهظة التي أثقلت كاهل الناس، واكتفت الدولة المرابطية بالزكاة وبإتباعهم سياسة إعادة الأراضي للجند مقابل خدماتهم العسكرية، وتعاونهم مع الناس كان له الأثر الإيجابي على الإنتاج[5].

---

[1]– بسكرة: حصن بسكرة منيع في كدية تراب عال وبه سوق وعمارة وبه التمر كل غريبه وطريفه، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق ، المصدر السابق، ص 264.

[2]– نفسه: ص 116.

[3]– مبخوت بودواية وآخرون: المرجع السابق، ص 147.

[4]– طبنة: مدينة الزاب وهي مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزرع والقطن والحنطة والشعير وبها صنائع وتجارات وأموال... والتمر بها كثير وكذلك سائر الفواكه، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق ، المصدر السابق، ص 119.

[5]– حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين(صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى)، ط2، دار الكتاب الحديث، بيروت، 1996، ص 353.

وتميزت الفترة المرابطية بوفرة الإنتاج وتنوع المحاصيل، وقد شملت زراعة القمح والشعير والحنطة البلاد الغربية ومرتفعات تادلا[1] وتازا[2] وسفوح درن[3]، بالإضافة إلى حبوب أخرى مثل الحمص والفول في البصرة[4] ومرسى فضالة، والقطن والكتان في سجلماسة التي كانت تصدره إلى جهات المغرب[5].

وانتشرت زراعة قصب السكر في قرية تارودانت بالسوس الأقصى وهي أكثر البلاد إنتاجا لقصب السكر ومنها يجلب إلى باقي المغرب والأندلس[6].

كما نجد الأرز في السوس، وزراعة الفواكه خاصة العنب والتين في فاس ومكناسة وجبل درن، والنخيل في السوس ودرعة وسجلماسة والكمون في وازلفن ووادي أم الربيع وسجلماسة ودرعة، والحناء في وازلفن وبلاد حاحة[7] وسجلماسة ودرعة وبعض المناطق الأخرى.

ولقد شجع الموحدون الزراعات في مناطق مختلفة لم تكن تنتج كميات كثيرة مثل زراعة الحبوب والفواكه في فاس وتازا وتلمسان ومراكش ودرن، كما توسعت زراعة السكر في السوس ووصلت حتى سلا ومراكش ووادي نفيس[8]، كما ضاعفوا إنتاج الزيتون خاصة

---

[1]– تادلا : إقليم غير شائع يبتدئ من نهر العبيد وينتهي عند نهر أم الربيع عند منبعه كما ينتهي جنوبا بين جبال الأطلس، وشمالا في المكان الذي يلتقي فيه وادي العبيد ونهر أم الربيع، أنظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ص176.

[2]– تازا: مدينة كبيرة أسسها الأفارقة القدماء على بعد نحو 5 أميال من الأطلس وتبعد على فاس بنحو 50 ميلا وعن البحر المحيط بـــ 130 ميلا وعن البحر المتوسط ب 07 أميال، أنظر: نفس المصدر، ص 354.

[3]– درن: جبل بالمغرب يعرف بسنققور وهو جبل عظيم معترض في الصحراء وهو متصل بجبل الأوراس وجبل نفوسة المجاور لطرابلس، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 235.

[4]– البصرة: مدينة مقتصدة، عليها سور ليس بالمنيع وبها مياه عن خارجها من عيون عليها بساتين يسيرة من شرقيها وغلات كثيرة كالقمح والشعير والقطن...الخ، أنظر : ابن حوقل: المصدر السابق، ص 80.

[5]– عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص 195.

[6]– الحبيب الجنحاني: دراسات في التاريخ الإقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 113.

[7]– بلاد حاحة: هذا الإقليم وعر جدا ومليء بالجبال الصخرية والغابات والشعاب، والأودية الصغيرة، وه عامر بالسكان...أنظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 96.

[8]– عمر عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 195.

في مراكش وفاس ومكناسة ودرن ودرعة فأصبح للمغاربة زيت ثاني بعد زيت الأرقان وهو زيت الزيتون الذي أصبح يفضله العديد من سكان المنطقة[1]. كما انتشر إنتاج التمر في مراكش وجنوب تلمسان، وجمع الأعشاب الطبية في فاس، ويعتبر المؤرخون العصر الموحدي امتدادا للمرابطي من حيث زيادة مساحات المناطق الزراعية وتنويع المحاصيل والإنتاج الكثير[2].

أما في الأندلس فقد قلّت المنتوجات الزراعية مثل الحبوب، حيث كان إنتاج القمح والشعير والحنطة من مرسية وغرناطة وجيان[3] وإشبيلية وشلب لكن على ما يبدو فالإنتاج كان قليلا[4].

أما إنتاج الفواكه فكان الأكثر وفرة، ونجده في كل من مرسية ومالقة وجيان وبلنسية وغرناطة ويضاف إلى ذلك الأعشاب الطبية في غرناطة وإشبيلية[5].

ومدينة فاس فيها من أنواع الحبوب كالقمح، الشعير، الفول، الحمص، العدس، الدخن والسلت، أما الأرز عندهم قليل وفيها أنواع من الفواكه كالعنب والرمان والنخيل والتين والسفرجل والزيتون والتفاح والمشمش والخوخ والبرقوق واللوز والجوز والليمون، كما نجد فيها البطيخ الأصفر والأخضر وبها أنواع من الخضر مثل: اللفت، الباذنجان، والقرع، الكرنب، والجزر والخيار[6].

أما الزراعة في الأندلس فنجد أنواعا مختلفة من المحاصيل الزراعية مثل القمح الذي يزرع بين أكتوبر وديسمبر، وكان يحصد في جوان أو جويلية وهو أنواع مختلفة مثل: الريون، الأطرجال، الشمرة، وأفضلها الريون وهو قمح يابس ممتلئ نقي، وتتركز أهم مناطق زراعة

---

[1]- ابن سعيد: المصدر السابق، ص 125.

[2]- عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص 195.

[3]- جيان: تقع جيان بالقرب من جبل الشارات.

[4]- الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 205.

[5]- عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص 197.

[6]- عبد الواحد دنون: المرجع السابق، ص 219.

القمح في لورقة[1] ومرسية وشلب[2]، أبدة، جياب، شريش[3]، بطليوس[4]، أشبونة، قرطبة[5]، غرناطة إضافة إلى الشعير الذي يزرع في نوفمبر وديسمبر وأهم مناطق زراعته بيارة[6]، وغرناطة، جيان، أبدة[7]، قرمونة، بطليوس، وزراعة القمح زراعة شرقية أدخلها المسلمون إلى الأندلس حيث زرع على ضفاف الأنهار، ومدينة بلنسية تعتبر أهم مناطق زراعته مع إشبيلية.

كما اشتهرت غرناطة بزراعة الذرة بالإضافة إلى منتوجات أخرى مثل: الفول الذي كان يزرع في شهر أكتوبر أو نوفمبر، والحمص الذي كان يزرع في فبراير أو مارس. واشتهرت لقنت، جيان بزراعة البقول ووجدت زراعة الجلبان، العدس، السمسم، وقصب السكر والفاصوليا وتتركز مناطق زراعته في المناطق الساحلية خاصة إشبيلية والمنكب[8] وشمحلة[9].

وانتشرت زراعة القطن التي تعد من المحاصيل الشرقية، حيث تعتبر إشبيلية أهم مناطق إنتاجه ويزرع في ميورقة[10] ورندة[11] بالإضافة إلى الخضر التي شملت جميع الأندلس مثل:

---

[1]- لورقة: كانت من بلاد تدمير وصفت بالحصانة، تبعد عن مرسية بــ 40 ميلا.

[2]- شلب: من بلاد الأندلس وهي قاعدة كورة لها بسائط فسيحة وبطائح عريضة، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 342.

[3]- شريش: تقع بالأندلس على مقربة من البحر وهي مدينة حصينة كثيرة الزرع، أنظر: نفس المصدر، ص 340.

[4]- بطليوس: من مدن غرب الأندلس وحاليا هي قرب الأراضي البرتغالية.

[5]- قرطبة: أعظم مدينة بالأندلس... كثيرة الأهل واسعة الرقعة وفسيحة الأسواق...أنظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص 111.

[6]- بيارة: مدينة بالأندلس قريبة من بلكونة وكان مبناها على النهر الأعظم، أنظر: نفس المصدر، ص 124.

[7]- أبدة: مدينة بالأندلس وهي مدينة صغيرة على مقربة النهر الكبير، أنظر : نفس المصدر، ص 6.

[8]- المنكب: تقع على البحر المتوسط جنوب ألمرية وهي مرفأ جنوب شرق الأندلس، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 111

[9]- شمحلة: تقع قرب ساحل البحر المتوسط، أنظر: نفس المصدر، ص 114.

[10]- علي بن سعيد الغرناطي الأندلسي: المغرب في حلي المغرب، تحقيق خليل منصور، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص 329.

[11]- رندة: هي مدينة بالأندلس من مدن تاكرتا وهي مدينة قديمة على نهر ينسب إليها، أنظر: الحميري:المصدر السابق، ص 269.

اللفت، الجزر، الباذنجان، القرع، الكرنب، البصل، الثوم، الخس والفواكه مثل: التفاح، التين، الرمان، الكروم، القراسيا(حب الملوك) والجوز واللوز والموز، ونجد زراعة الرياحين مثل: الورد، الياسمين، والريحان، والنرجس، والحبق، والآس[1].

وتميزت مدينة تلمسان بأهمية إقتصادية بارزة لتضاعف حركة المبادلات التجارية فيها ونظرا لطبيعتها الملائمة وكثرة سهولها وأراضيها الخصبة والبساتين الكثيرة التي توجد خارج أسوار المدينة، ويصفها الحسن الوزان بما يلي:« وفي خارج تلمسان ممتلكات هائلة فيها دور جميلة للغاية، ينعم المدنيون بسكناها في الصيف حيث الكروم المغروسة الممتازة تنتج أعنابا من كل لون، طيبة المذاق جدا، وأنواع الكرز الكثيرة التي لم أر لها مثيلا في جهة أخرى، والتين الشديد الحلاوة وهو أسود غليظ طويل جدا، يجفف ليؤكل في الشتاء والخوخ والجوز واللوز والبطيخ والخيار وغيرها من الفواكه المختلفة»[2].

وكان يوجد في شرق مدينة تلمسان، وعلى بعد ثلاثة أميال في سهل لالة ستي وعلى ضفتي نهر الصفصيف عدة مطاحن للحبوب، ومجموعة أخرى منها في جنوب المدينة من رأس القلعة؛ مما يدل على وفرة الزراعة خارج أسوار المدينة واشتغال أهل تلمسان الزيانيين بها[3]. وكانت الفلاحة مزدهرة فيها حيث احتلت زراعة القمح مكانة مرموقة وتليها فلاحة الزيتون، وهناك أنواع أخرى مثل القطن والكتان وقصب السكر وسائر الحبوب والثمار والفواكه والبقول والرياحين.

كما عرف المغرب إلى جانب الفلاحة الرعي وتربية الحيوان، حيث برز الرعي بنوعيه المختلط بمناطق الزراعة والرعي شبه الصحراوي[4]. ولقد عرف المغرب تربية الماشية فكان عندهم: الخيل، البغال، الحمير، الإبل، البقر، الغنم، وأما الطيور فوجد: الإوز، الحمام،

1- كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الإقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية، القاهرة (دت)، ص ص 140- 143.

2- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 20.

3- نفسه.

4- عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص 198.

الدجاج، البط هذا ويمكن أن نجد الأغنام والأبقار في البلاد الشرقية وهي بونة، الجزائر، شرشال، جيجل، جبل زغوان، قسنطينة، وفي البلاد الغربية جبال غمارة وسهولها الغربية، تلمسان، فاس، وتادلا، والسهول الساحلية الغربية، والسوس، وسجلماسة، ودرعة وفي الأندلس نجد جيان، قرطبة، شلب، إشبيلية، ولقد كانت المنطقة الغربية تصدر العديد من الأبقار والأغنام إلى الأندلس لكثرتها[1].

ولقد عرفت البلاد الشرقية كجبل زغوان، الزاب، المسيلة بتربية الخيول واشتهر بنو مرين بتربيتها، وفي البلاد الغربية فقد عرفت تلمسان بتربية الخيول ووجدة وجبال فزازا، أما في البلاد الأندلسية فلم يعرف عنها أنها منتجة للخيول، ووجدت بها ثروة حيوانية تمثلت في: الحمير البغال، وتربية الحمام والدجاج والإوز والبط، إضافة إلى تربية النحل ودودة الحرير، البقر والجاموس، والماعز والأغنام[2]، وعرفت منطقة جبل زغوان القريبة من تونس كمصدر رئيسي لإنتاج البغال التي لها أهمية بالغة في الحياة الاجتماعية، حيث تستعمل للركوب خاصة من طرف أغلب السكان وتستعمل لنقل المحاصيل والأثقال في إفريقية[3].

وتكاثرت مناطق تربية الإبل في البلاد الشرقية كصحراء زناتة وبني مرين وفي المناطق الغربية وجدت الإبل في درعة وسجلماسة وانتشرت في سهول البلاد الغربية ووجدت أيضا مناطق عرفت بالحمير مثل: إفريقية ودرن[4]، والكلاب التي كانت تربى لغرض الحراسة[5].

ووجدت أيضا تربية الدواجن من أجل الأكل والبيع وانتشرت بكثرة في غرناطة واستفاد منها الفلاحون في العديد من المجالات في حياتهم[6].

[1]- عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص ص 198- 199.

[2]- كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص ص 175- 178.

[3]- المراكشي: المصدر السابق، ص 225.

[4]- القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص 113.

[5]- عمر عزالدين موسى: المرجع السابق، ص 200.

[6]- نفسه: ص 202.

2- الوضع الاجتماعي:

2-1- الفئات الاجتماعية:

يتركب المغرب من مجموعات سكانية صاحبت النشاط الاقتصادي المستمر في بلاد المغرب، وقد تعددت العناصر المستقرة في المنطقة، فمنهم البربر والأندلسيون والعرب وأهل الذمة يهودا أم نصارى والعبيد؛ وتميزت حركة السكان في القرن السادس الهجري بالهجرة المستمرة مما أدى إلى نشاط وحركية أدت إلى استقرار العديد من هذه العناصر بالمنطقة.

2-1-1 البربـــر:

هم أكثر سكان المغرب عددا وانتشارا في بيئاته الثلاثة خاصة في الشمال الإفريقي الذي يعد موطنهم الأصلي، ولقد قاموا بالدور الرئيسي في الحياة السياسية فتغيرت مواطن الكثير منهم وتبدلت مهنهم[1]. وتأسست دولة المرابطين والموحدين على أكتافهم.

يقوم النظام الاجتماعي عند البربر على أسس قبلية محضة؛ فالقبيلة هي عماد النظام ومحور الحياة سواء كانت تعيش على الريادة[2]، والغزو، أو مستقرة تكتسب من الفلاحة وتربية الأغنام.وتتركب القبيلة البربرية من عشائر، وأسر؛ لأفرادها من الولاء لها والتعلق بها أكثر من القبيلة نفسها فالعصبية عند البربر تقوى كلما ضاق المجتمع، وتضعف كلما اتسع فهم يشبهون بذلك العرب، ويرأس الأب أو الزوج الأسرة؛ وله سلطان مطلق عليها وهو أعلى مقاما، وأشد احتراما من الأم والزوجة[3].

---

[1]- عمر عزالدين موسى: المرجع السابق،ص 71.

[2]- الريادة: من مادة الرائد وهي حرفة الأعراب الذين يختلفون بمواشيهم إلى المراعي مقبلين مدبرين.

[3]- جمال طه دنون: المرجع السابق،ص 153.

بعد تغلب صنهاجة[1] على بربر كتامة، أسست دولتين: هما دولة بني باديس في القيروان ثم المهدية؛ ودولة بني حماد في قلعة بني حماد ثم بجاية، لكن الدولتان زالتا بعد الغزو الهلالي ثم قيام دولة الموحدين[2].

يبدو أن قبائل صنهاجة ظلت في مواطنها بالرغم من سقوط دولتها إذ يصنف الموحدون قبائل بني حماد إلى صنهاجية وعربية؛ وقد اتخذ ابن غانية من ديارهم مركزا لأعماله العسكرية، في بداية أمره محاولا إعادة الدولة المرابطية، ولقد لجأ البربر إلى الساحل والمناطق الجبلية الحصينة خاصة في بلاد بني حمّاد.

كما تعتبر صنهاجة أكبر قبائل البربر، يقول البعض أنها تمثل ثلث (3/1) البربر وهم ذو بطون عديدة تنتهي إلى سبعين بطنا[3]، مواطنهم بالصحراء إلى السودان والمغرب الأقصى وبالمغرب الأوسط على ساحل البحر من الجزائر ووهران، ويتقدمون في الداخل إلى سهول الشلف وتيهرت إلى نهر واد الشلف غربا، ويختلطون شرقا بزواوة بسهول حمزة.

ويذكر البكري، منطقة أزقور شمال المسيلة فيقول:" **وهي عين عذبة باردة عليها شجرة عظيمة، وهذا آخر حد لصنهاجة.**"[4].

كما أن جماعة كبيرة من صنهاجة تنتشر ببلاد المغرب الأقصى في جبال درن الشرقية، ويسميها ابن خلدون بصنهاجة الجيل الثالث وينطق اسمها في شكل غرناجة[5].

---

[1]- صنهاجة: فريق من برانس البربر، مساكنهم ببلاد المغرب وهم بنو صنهاجة بن برنس بن بربر ويقال بنو صنهاج بن أوريغ بن برنس بن بربر وتعتبر أكبر قبائل البربر، أنظر: ابن خلدون: المصدر السابق،ج6،ص 101، وكانت لهذه القبيلة مواطن بنواحي المدية وحول الونشريس ونواحي متيجة وكانت صنهاجة تناوئ بني عبد الواد وتناصبهم العداء وكثيرا ما كانت تخرج ضدهم، أنظر: ابن عذارى المراكشي: البيان، ج1، ص ص 330-341.

[2]- عزالدين موسى: المرجع السابق،ص 72.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6،ص ص 370-371.

[4]- البكري: المصدر السابق،ص 149.

[5]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6،ص 101.

ونجد في قبائل من صنهاجة تعود إلى أصلين **صنهاجة الشمال وصنهاجة الجنوب** أي الصحراء، ويرجع وجود الصنهاجيين الصحراويين في فاس إلى أيام الدولة المرابطية عندما تقدمت من الصحراء إلى المغرب الأقصى وانتشرت واستقرت في مدنه المختلفة، ومن قبائل صنهاجة وبطونها بني زروال[1] ومنهم فرقة استقرت على عدوتي وادي ورغة شمال فاس وإن كانت هذه القبيلة بربرية الأصل؛ فقد تعرّبت بسبب موقعها بالقرب من فاس وكانت على اتصال تام بها ؛ وكثيرا ما كان أبناؤها يشدّون الرحلة للتجارة وللأخذ عن شيوخ القرويين، كما أنّ هناك قبائل عربية نقلت إلى المنطقة وأسكنت معها لأغراض سياسية[2].

ومن البربر أيضا قبيلة لمطة وقبيلة مليلة وهم من شعب أوريقة من أكبر القبائل المغربية ولها فروع في جميع الجهات، وسكنت مليلة فاس وتزايد أعدادها مع دخول المرابطين، ونجد أيضا لمتونة إحدى قبائل القاطنة بفاس ومراكش مع قبيلة مسوفة[3] ؛ ويذكر صاحب الحلل الموشية أنّهم كثيرو العدد وانتشروا في البلاد المغربية: " فوفد إليها منهم جموع كثيرة... وكثروا بكل مكان."[4] وقبيلة لمطة فرضت وجودها في مراكش والمنطقة بين وادي سبّو وحصن تاودا مزاحمة لقبائل غمارة[5].

ولقد شيد المرابطون الحصون قرب المدن للمحافظة على الطرق التجارية والأراضي الزراعية، مثل **حصن تادلا**[6] ومدينة **القصر** قرب **مكناسة**[7]، **وحصن الرباط** الذي شيّده تاشفين بن علي قرب **سلا**[8] **وحصن تاودا**[9]؛ وأدى استقرار المرابطين في المدن والسهول إلى

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 206.

[2]- عبد الواحد دنون: المرجع السابق،ص 155.

[3]- المراكشي: المعجب، المصدر السابق،ص 100.

[4]- مجهول: الحلل الموشية،ص 21.

[5]- الإدريسي: المرجع السابق،ص 170.

[6]- مجهول: الاستبصار،ص 200.

[7]- الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق،ص ص 77-78.

[8]- مجهول: الحلل الموشية، ص 112.

[9]- البيذق: المصدر السابق،ص 65.

انسحاب القبائل الزناتية خاصة "مغراوة" و"بني يفرن" الذين كانوا أسيادا على سجلماسة وأغمات وقلعة مهدي بن توالي، وقد ظلت موجودة في فاس وفي سهل تامنسا وظل وجودهم قويا بين تلمسان وفاس إلى العصر المريني[1].

ومن بين القبائل البترية التي سكنت مدينة فاس قبيلة مغيلة[2] إخوة مطماطة وللماية ومعظمهم بالمغرب الأقصى، وهي إحدى القبائل التي ناصرت الإمام إدريس بن عبد الله أثناء دخوله للمغرب، وكانت أيضا من القبائل التي خرجت لقتال يوسف بن تاشفين[3]، ويحدد موطنهم المؤرخ ابن خلدون، بين فاس وصفرو ومكناسة، ونجد في فاس بيت بني المغيلي بيتهم بيت علم وترف ولهم زقاق بفاس يقال له وطأة المغيلي[4].

ومن القبائل البترية أيضا، قبيلة صدينة[5] وهي إحدى القبائل التي قامت مع مغيلة لنصرة الإمام إدريس بن عبد الله، وكانت القبيلة قريبة من فاس، حيث كان لهم مدينة يقال لها صدينة على اسم القبيلة قبيل دخول المرابطين مدينة فاس[6]، وظلت القبيلة موجودة وبرع البعض من أفرادها في ميدان العلم[7].

بالإضافة إلى قبائل أخرى مثل قبيلة مطماطة مواطنها معروفة بفاس وصفرو، وقبيلة مضغرة بقيت منها جماعة من فاس وتلمسان وصفرو دائمي الاتصال بكومية، ووجدت قبيلة زواغة أيضا بفاس؛ وظلت باقية فيها حتى عصري المرابطين والموحدين حيث يذكر ابن خلدون وجودهم بالمدينة[8].

---

[1]- عزالدين موسى: المرجع السابق،ص 79.

[2]- البكري:المصدر السابق،ص 117.

[3]- ابن أبي زرع: المصدر السابق،ص 139.

[4]- عبد الواحد طه دنون: المرجع السابق،ص 154.

[5]- البكري: المصدر السابق،ص 117.

[6]- ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق،ص 139.

[7]- عبد الواحد طه دنون: المرجع السابق،ص 154.

[8]- ابن خلدون: المصدر السابق،ص ص 128-129.

كما أنّ غالبية سكان مدينة تلمسان يتشكلون من قبيلة زناتة ولاسيما منها مغيلة ومغراوة، وبني يفرن وبقيت هذه القبائل تسيطر على المدينة والغرب الجزائري، وتتداول السلطة عليها عدة قرون، حكمها بنو يفرن ومغيلة ومغراوة[1]، ووجدوا أيضا بعض الجماعات من بني زيري[2]، وسكنها المرابطون الصنهاجيون، وشيّدوا **تاجرارت**[3] وبقيت فيها جماعة من مسوفة ووصلت إليها بعض العائلات الموحدية من قبائل هنتانة ومصمودة وكومية[4].

ولما صارت المدينة عاصمة بني زيان عاد إليها نفوذ زناتة ونقل إليها بنو عبد الواد عشيرتهم وقبيلتهم وقبائل أخرى من أبناء عمومتهم، **بني توجين وبني راشد وبني زردال وبني عصاب وجماعة من أولاد منديل**؛ وغيرهم الذين تركوا خيامهم وسهولهم[5]، وفي قبيلة هوارة التي قدمت خدمات جليلة لبني زيان؛ بالإضافة إلى عناصر أخرى، مما يبين أن المجتمع التلمساني كان يتشكل من انتماءات مختلفة من قبائل المغرب الأوسط، وقد سمح السلطان ببناء المنازل وإنشاء الدور واتخاذ النساء، وتشييد المساجد وإقامة المصانع والأسواق بالقصبة[6].

وعليه يمكن أن نبين انتشار البربر في بلاد المغرب كما يلي:

انتشار قبيلة صنهاجة، في معظم أنحاء المغرب الأقصى والسوس، لكن تجمعاتها الأساسية كانت في سجلماسة، ووادي درعة، ووادي سوس، والمناطق الجنوبية في الصحراء

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج7،ص 93-94.

[2]- نفسه: ص 94.

[3]- نفسه:ص 94.

[4]- نفسه: ص 151. وكومية: تنحدر من بني فاتن وتفرعت منها: صفارة، ندرومة، بني بلومي وكومية قبيلة الزعيم عبد المؤمن بن علي الموحدي ظل منها البعض في موطنهم في عهد بني عبد الواد يخضعون للحكم الزياني ويناصرونه، أنظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص 257 ، و أنظر أيضا:عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق،ص 339.

[5]- نفسه: ص 205.

[6]- نفسه:ص ص 160- 229.

إلى السودان وغانا ويوصف هؤلاء برعاة الإبل، ويضعون اللثام على وجوههم ويعيشون حياة بدوية في المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى[1].

وقبيلة زناتة[2]، انتشرت في المناطق الممتدة من غربي بجاية إلى وادي ملوية في الغرب (المغرب الأوسط) حيث كانت أكبر المناطق استقرارا للقبائل البربرية الزناتية وفروعها الكثيرة، وغالبيتهم سكنت المنطقة والتي عرفت باسم " وطن زناتة "[3]، كما نجدها في طرابلس إلى الأوراس.

وانتشرت أيضا بالمغرب الأقصى والأدنى قبيلتان كبيرتان: مصمودة[4] وصنهاجة وغمارة سيطرت على سهول البحر المتوسط ومعظم جبال الريف وبين سبتة وطنجة؛ بالإضافة إلى مطغرة ولواتة وأوربة[5]، وجماعات من كتامة المنتسبة إلى مصمودة[6].

كما وجدت أيضا قبائل بربرية في الجنوب التونسي وتعد زناتة ونفزاوة ونفوسة ولواتة[7]، من القبائل الكبيرة هناك بالإضافة إلى العشائر الصغيرة، التي تعود إلى هوارة قرب مرماجنة في وادي بجردة الأعلى وازداجة في منطقة باجة في الشمال الغربي من تونس، ومطماطة غربي قابس؛ وكانت نفزاوة تعيش في مناطق الجريد جنوبي تونس، وعاشت بالقرب من قابس وصفاقس بعض قبائل لواتة ونفوسة[8].

---

[1]- البكري: المصدر السابق،ص 149 وابن خلدون: المصدر السابق، ص 38، 71، 370.

[2]- زناتة: قبيلة من البتر نسبة على مادغيس الأبتر، ينتشرون ما بين فاس وتلمسان وجهات شلف وجبل بني راشد ومديونة، موجودة نواحي تلمسان إلى جبل مديونة غربا وجبل بني راشد، أنظر: ابن خلدون: المصدر السابق،ص 120.

[3]- ابن خلدون:نفس المصدر ،ص 201.

[4]- مصمودة: قبيلة مشهورة ذات جماعات تبلغ 14 بطنا انتشرت في المغرب الأوسط في عنابة حيث يقول البكري إن حولها قبائل كثيرة من مصمودة، أنظر: البكري: المصدر ،ص 100.

[5]- أوربة: انتشرت في منطقة وليلى وسكيتها مشهورة كثيرة العدد والعدة استوطنت الإقليم الغربي من جبال الأوراس وهي التي تحالفت كسيلة زعيمها مع العرب ضد البيزنطيين.

[6]- البكري: المصدر السابق،ص ص 106-108.

[7]- لواتة: قبيلة عظيمة تنسب إلى لوا الأصغر ولها بطون سبعة منها مزاتة وهي أكثرها صدراتة نواحيها ببرقة وطرابلس.

[8]- عبد الواحد طه دنون: المرجع السابق، ص14.

واستقرت قبائل كتامة[1]، وفرعها زواوة في منطقة غربي تونس وشرقي الجزائر، بجاية في الشمال وإلى سفوح جبال الأوراس في الجنوب.

2-1-2 العـــرب:

وفد العرب إلى المغرب منذ الفتح الإسلامي[2] لمدنه، وتضاعف عددهم في أواخر خلافة بني أمية، وبقيام الدويلات المغربية المستقلة في القرن الثاني للهجرة الموافق للقرن الثامن للميلاد في إفريقية وتاهرت، وسجلماسة، وفاس، استقطبت عناصر مشرقية[3] ويبدو ان هذه الجماعة لم تؤثر في البادية وسكانها ولم يستطع العرب تغيير تركيبة السكان في الشمال، فاندمجوا مع السكان الأصليين وفي الأرياف إلا بعد منتصف القرن 5ه/11م مع الغزو الهلالي وبفضلها انتشر العرب في البوادي والأرياف على دورين مختلفين الأول حربي والثاني سلمي[4].

أما الحربي، فمنذ منتصف القرن 5ه/11م إلى منتصف 06ه/12م، كانت الغزوة الهلالية تتكون من قبائل بني هلال وبني سليم، وكان عددها كبيرا حيث يقول ابن الأثير " **إن رياحا وحدها كانت قرب القيروان في زهاء ثمانين ألف بيت** "[5] ، وسيطرت بنو هلال وسليم على المنطقة من الإسكندرية إلى قلعة بني حماد[6].

[1]- كتامة: من أكثر القبائل عددا وأشدهم عدة وقوة ولهذه القبيلة 18 بطنا حسب ابن خلدون وانتشرت جماعة من كتامة بين مدينتي بجاية وقسنطينة أي أنها من عنابة إلى بجاية إلى جبل الأوراس ومن مدنها: سطيف، قسنطينة، جيجل، القل وسكيكدة، أنظر: البكري: المصدر السابق،ص 59.

[2]- استمر العنصر العربي في التدفق إلى بلاد المغرب في عهد الولاة (ق2ه/8م) من الحجاز ومصر وخرسان والشام والعراق.

[3]- استقطب إدريس بن إدريس مشيد مدينة فاس عربا من إفريقية والأندلس وجعلهم معه دون البربر، أنظر: ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق،ص 13.

[4]- عمر عزالدين موسى: المرجع السابق،ص 93.

[5]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج11، دار صادر بيروت، 1967، ص 247.

[6]- الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق،ص 93.

فبنسطو نفوذهم على السهول والمدن، واستقروا في الساحل التونسي وبلاد الجريد والتل الأطلسي الشرقي، بين قسنطينة والقل وفي باجة وميلة وباغاي ومجانة[1].

ويبدو أن بني سليم استقروا بالمناطق الساحلية، وبني هلال في المناطق الداخلية ويعود انتشار العرب في البوادي والأرياف إلى الغزوة الهلالية[2].

كما استمرت ظاهرة الهجرة من المغرب الأدنى إلى المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، خلال قرن من الزمن منذ خراب مدينة القيروان عام 452هـ/1060م حتى عهد الدولة الموحدية، التي ضمت إليها بعض من المناطق الشرقية، وهي هجرة جماعية شملت أهل المدن خاصة بعد سيطرة الهلاليون على بلاد إفريقية هاجر أهلها وتفرقوا في كل مكان.

ويذكر عبد الواحد المراكشي أن أكثرهم قصد مدينة فاس في قوله: " **كانت القيروان حاضرة المغرب، فلما اضطرب أمرها بعبث العرب فيها فر منها أهلها ونزل أكثرهم مدينة فاس.** "[3] ويؤكد الزهري ذلك بقوله: " **ما انقضت سنتان من تفرق أهل القيروان إلى البلدان حتى كان منهم طائفته بكل بلاد المسلمين... واستقرت منهم أمة كبيرة بفاس.**"[4]

ويتضح أن الهجرة من مدن المغرب الأدنى إلى المغرب الأقصى، توقفت في مدينة فاس لكثرة عدد المهاجرين الذين ساهموا في التأثير الحضاري للمدينة، فلقد تصاهروا معهم وتعلموا عنهم الطرب[5].

وبظهور الدولة المرابطية، كان العرب يشكلون جزءا من سكان مدن المغرب الأقصى خاصة فاس، واستغل المرابطون وجود العرب حيث استدعوهم لمشاركتهم في

[1]- الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق، ص ص 98،94 ، 109.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق،ص ص 13-21.

[3]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق،ص 443.

[4]- الزهري: كتاب الجغرافيا،ص 112.

[5]- عز الدين عمر موسى: المرجع السابق،ص 75.

حروبهم مثلا موقعة كنشرة 490ه/1097م[1] وفي الجواز الثاني لعلي بن يوسف في 513ه/1119م[2] ، وفي جيش تاشفين في 530ه/1136م[3]، كما كانوا معه حين هزم في تلمسان، وحين سقطت الدولة المرابطية[4]، ويبدو أن وجودهم في الجيش المرابطي كانت نتيجة مبادرات فردية، ويصفهم ابن أبي زرع بالمطوعة عندما كانوا مع علي بن يوسف في عبوره[5].

وبتأسيس الدولة الموحدية، دخل الخلفاء الموحدون في وقائع كثيرة مع العرب الهلاليين إلا أنهم أدركوا أن الغريزة الحربية متأصلة في العرب، لا يمكن أن يتخلوا عنها فرأوا أن يستغلوا طبيعتهم وطاقاتهم لمصلحة الدولة ضد أعدائها، فعملوا على جلب العديد منهم إلى المغرب الأقصى[6]، وقد أراد عبد المؤمن بن علي استثمار طاقتهم في مواجهة النصارى في إسبانيا[7]، ويبدو أن كل من نقل من العرب إلى المغرب بعد فتح بجاية رد إلى دياره ثانية و لم يتم توزيعهم إلا بعد فتح المهدية[8].

ولقد أرسل عبد المؤمن العرب إلى قرطبة، واشبيلية، وشريش[9]، وكان يوسف يرسل مجموعات بصورة مستمرة إلى ثغور الأندلس[10]،وقد أسكن العرب مع زناتة في بلنسية[11]، بعد أن أخذ شرق الأندلس من بني مردنيش[12].

---

[1]- عز الدين عمر موسى: المرجع السابق،ص 96.

[2]- ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق،ص 106.

[3]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج4،ص 94.

[4]- مجهول: الحلل الموشية، ص 101.

[5]- ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق،ص 107.

[6]- المراكشي: المعجب، المصدر السابق،ص ص 293-295، وأنظر أيضا: ابن خلدون: المصدر السابق، ص ص 397-399.

[7]- عزالدين عمر موسى: المرجع السابق،ص 96.

[8]- البيذق: المصدر السابق،ص 120.

[9]- المراكشي: المصدر السابق،ص 226.

[10]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق،ص 251.

[11]- البيذق: المصدر السابق،ص 127.

[12]- بنو مردنيش: هي حركة مناوئة للحكم الموحدي، ظهرت بشرق الأندلس على يد محمد بن سعد بن مردنيش سنة 542ه/1147م، استطاع الموحدون القضاء عليها وإخضاع شرق الأندلس سنة 606ه/1210م.

ويذكر ابن صاحب الصلاة أن عدد العرب الذين نقلهم عبد المؤمن ويوسف إلى الأندلس، كان كبيرا حيث يصفهم أنهم " على عدد الذباب والحصى".

وانتشر العرب في المغرب الإسلامي، حيث نذكر مثلا مدينة فاس، إذ يذكر ابن صاحب الصلاة أن: " **بأحواز مدينة فاس من عرب بني رياح وبني جشم وبني عدي وقبائلهم ما يضيق به الفضاء على عدد الذباب والحصى.**"[1]

ويؤكد ذلك ابن خلدون، حيث يذكر أن عرب الخلط وسفيان وبني جابر وهم من بطون جشم انتهت رئاستهم إلى قبيلة سفيان في سائر أيام الموحدين.

وعندما ضعفت الدولة كان بها العديد من العرب المقلّدين، على أمور الدولة وذلك لكثرتهم حتى عندما حاول بنو مرين الاستيلاء على المدينة، وجدوا بها حامية شديدة كانت من العرب ومن قبيلة رباح التي كانت لهم مع بني مرين حروب كثيرة[2].

ولقد تواجد بالمغرب على عهدي المرابطين والموحدين أسرا قحطانية وعدنانية، فالأسر القحطانية معظمها من الأزد والخزرج والأسر العدنانية أغلبها من قريش وكنانة وقيس وثعلب[3].

أما الأزد فمنهم بين بني الملجوم وهو بنو عمير ابن مصعب الأزدي بن خالد بن هرثمة بن الأمير يزيد بن المهلب بن أبي صفرة... الذي قدم أبوه مصعب وأهله على عهد موسى بن نصير لما فتح الأندلس فاستقروا بالأندلس، ولما استقرت للإمام إدريس بن إدريس قدمت عليه الوفود فوصل إليه عمير بن مصعب وهو جد بني الملجوم الذي هو من المذكورين من أعلام فاس، الذين تداولوا القضاء والفتوى ووردت ترجمات عديدة لشخصيات من هذه الأسر في عهد المرابطين والموحدين[4].

---

[1]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق،ص 144.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق،ص 27.

[3]- جمال طه دنون: المرجع السابق،ص 158.

[4]- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج2،ص ص 391-394.

كما سكنت الخزرج مدينة فاس في هذين العصرين[1]، والأوس الذين كان لهم ذكر قديم بالمدينة، وكان منهم علي بن عمر الأوسي المشرف على البناء أيام الموحدين[2].

ومن القبائل العربية التي ورد ذكرها بفاس هي عرب الكعوب وهم من بطن سليم، وبعدها تبدأ منازل بني هلال بن عامر بن صعصعة خصوصا بطنهم الأشهر رياح الذي لعب الدور الأكبر في الفتح الثاني لإفريقية والمغرب في القرن 5ه/11م؛ إذ كانت قبيلة رباح من أكبر المشاركين فيه عددا وأشدهم سطوة[3].

ومن القبائل العربية نجد أيضا عرب المعقل التي كانت مواطنهم بالمغرب الأقصى مجاورة لبني عامر ويقسم عرب المعقل إلى:**ذوي عبد الله، ذوي منصور، ذوي حسان**، كما نجد بنو المتفق الذين دخلوا المغرب مع الغزوة الهلالية، ويعرفون بالخلط، ونجدهم في فاس ومراكش، وفي سهول إقليم أزغاز[4].

إضافة إلى وجود ذرية المولى إدريس وعرفت الأسر المنتسبة إليهم بالشرفاء وقد سكنوا فاس في ذلك الوقت[5]، ولقد اندمج العرب مع البربر حيث نتج عن اختلاط السكان تزاوج العرب بالبربر وتأثر البربر باللغة العربية، حيث أنّ هناك قبائل أصبحت لغتها العربية نظرا للتأثير العميق حيث يقول الإدريسي:**" كان يسكن حول فاس قبائل من البربر لكنهم يتكلمون العربية وهم بنو يوسف وقدلاوة وبهلول وجانة وزواوة ومجاحتة."**[6].

---

[1]– نفسه: ص 470.

[2]– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق،ص 49، وأنظر: الجزنائي: جني زهرة الآس، ص 44.

[3]– العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لقبائل الحرب في القرنية 7و8ه، تحقيق: دوريتاكرافرنسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، 1985،ص ص 56-62.

[4]– ابن خلدون:العبر، ج6، المصدر السابق،ص 11.

[5]– ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق،ص 529.

[6]– الإدريسي: المغرب وأرض السودان، ص 79، أنظر: ليون الإفريقي: وصف إفريقيا الشمالية،ص 53.

كما وجدت العرب المصرية واليمنية في المغرب الأوسط[1] وأخرى من الأشراف الحسنية من أبناء سليمان بن عبد الله بن الحسن أحد إخوة مؤسس الدولة الإدريسية بفاس سنة 172ه/788م، الذي اهتم بمدينة تلمسان وجعلها قاعدة من قواعده الهامة في بلاد المغرب الأوسط سنة 173ه/789م[2]، ومنذ هذا الوقت صارت تلمسان مقرا مفضلا للأشراف الحسنيين[3].

وفي القرن 5ه/11م وصلت قبائل بني هلال وبني سليم العربية بلاد المغرب واستقرت بمناطق كثيرة، وعندما أسس يغمراسن بن زيان الدولة الزيانية سنة 633ه/1235م[4] حالف أغلب قبائل بني هلال واستقدم العديد منها إلى ضواحي مدينة تلمسان للاستفادة من خدماتها في بناء دولتهم وتوسيع رقعتها، وخاصة منها قبائل زغبة والمعقل وحميان وبنو عامر[5]؛ الذين عظمة مكانتهم عند سلاطين بني زيان، وقد ظل بنو عامر مخلصين لبني عبد الواد إلى أن سقطت دولتهم في 10ه/16م[6].

وكان لبني عامر حي بربض تلمسان يعيشون فيه[7] ، وهناك البعض منهم في ظهير المدينة، وضواحيها ليكونوا درعا حصينا للدفاع عن المدينة.

1- عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق،ص 172.

2- نفسه: ص 173.

3- عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج2 ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980،ص ص 470-480.

4- عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق،ص 173.

5- يحي ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، نضره وترجمه إلى الفرنسية ألفريد بل، مطبعة غرناطة، الجزائر، 1903، 1910، ص 222.

6- ابن خلدون: المصدر السابق، ص ص 105-114.

7- يحي ابن خلدون: بغية الرواد، ج1،ص 235.

2-1-3 الأندلسيـــون:

يطلق لفظ " الأندلسيين" على المسلمين القادمين من الأندلس، أي من سكان الأندلس ويبدو أن المصطلح استعمل في عهد المرابطين والموحدين، في الجانب العسكري وفي التنظيمات الإدارية للموحدين،حيث وجد لديهم هيئة استشارية من أشياخ الأندلسيين[1].

ولقد برز الأندلسيون في مجالات مختلفة ومتنوعة، فقد عملوا في الميدان الزراعي والصناعي والتجاري والمجال العسكري.

ويبدو أن هجرتهم بدأت في فترة الفتنة التي عرفها الأندلس فبدأت جماعات من سكان الأندلس، بالهجرة إلى بلاد المغرب، نظرا للظروف السياسية السيئة والظلم، وارتفاع قيمة الضرائب والحروب الداخلية[2].

وقد عرف المغرب الأوسط توافد العديد من الأسر الأندلسية ،حيث نجدهم في مدينة تنس سنة 262ه/876م[3]، ومدينة وهران 290ه/903م[4]، وساهموا في إعادة الحركة التجارية لمرسى الدجاج المنفذ البحري الرئيسي للدولة الرستمية ، التي كانت لها علاقة طيبة مع بني أمية من حيث التعاون الدبلوماسي والتجاري والعسكري المشترك.

ووجدوا أيضا في مدينة المسيلة، في أوائل القرن الرابع الهجري 4ه/10م واستقرت فئة منهم في مرسى أرزيو ، والتي كانت تقوم بتصدير الملح إلى العدوة الأندلسية[5].

ويبدو أن الأندلسيين استقروا في المدن الساحلية، وتختلف نسبهم من مدينة إلى أخرى حسب أهميتها التجارية وموقعها الاستراتيجي والسياسي، بفضل الاستقرار والأمن

[1]- عمر عزالدين موسى: المرجع السابق،ص 87.

[2]- البكري: المصدر السابق،ص 61، وأنظر: ابن حوقل، ص 78.

[3]- ابن خلدون: العبر، ج6، ص 294.

[4]- عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق،ص 173.

[5]- Primandie (f) :Le Commerce Et La Migration de l'Algérie avant La Conquête Française ; Revue Algérie coloniale, p 735.

الذي كان يسود بلاد المغرب أيام المرابطين والموحدين، في ظل الوحدة التي جمعت بين الأندلس والمغرب، ما بين القرنين 5ه/11م و7ه/13م[1]، فقد استقر العديد من الجاليات الأندلسية في تلمسان وحواضر أخرى في بلاد المغرب[2]، وقد عمل الأدباء والعلماء والفقهاء إلى جانب المرابطين والموحدين وأصبحوا مستشارين لهم لأنّ الأمراء شجعوهم على الرحلة والهجرة[3]، وتبرز فنيات وبصمات المهندسين الأندلسيين في مدينة تلمسان، ولاسيما في العمران والصناعة على العهد المرابطي والموحدي[4].

ولقد تضاعف عدد المهاجرين الأندلسيين، لبلاد المغرب حينما تمكن الإسبان من الاستيلاء على مدن الشرق الأندلسي، وغربه مثل: **لوشة**[5] سنة 622ه/1225م، **ماردة**[6] سنة 626ه/1228م، **قرطبة** 636ه/1238م، **بلنسية** 636ه/1238م، **مرسية**[7] سنة 636ه/1238م، **شاطبة سنة** 645ه/1247م **واشبيلية سنة** 646ه/1248م، وذلك في النصف الأول من القرن 7ه/13م[8]، ويقول ابن خلدون: " **فلما تكالب الطاغية على العدوة والتهم ثغورها واكتسح بسائطها وأسف إلى قواعدها وأمصارها أجاز الأعلام وأهل البيوت إلى أرض المغربين (الأوسط والأقصى) وإفريقية وكان قصدهم تونس أكثر لاستفحال الدولة الحفصية به.**"[9].

---

[1]- عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق،ص 174.

[2]- نفسه.

[3]- ابن خلدون: المقدمة، ص 660.

[4]- ابن خلدون: العبر، ج7، ص 297.

[5]- المقري: نفح الطيب، ج4، ص ص 460-460.

[6]- نفسه: ص ص 465-466.

[7]- نفسه: ص 472.

[8]- عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق،ص 174.

[9]- ابن خلدون: العبر، ج6، ص 675.

ويظهر جليا أن أول من غادر بلاد الأندلس من المسلمين، والذين وصلوا تلمسان كانوا من الأعلام وأهل البيوتات، ومن أعيان الأندلس[1]، حيث استعان بهم بنو زيان في تسيير أمور الدولة ومؤسساتها، وأجهزتها وقيادة الجيوش، وخاصة ذوو الخبرة في الميدان الإداري والسياسي والتدريس والكتابة[2].

ويظهر أنّ أكبر جالية أندلسية نزلت بتلمسان، كانوا من التجار والحرفيين وأصحاب رؤوس الأموال، سكنوا في درب خاص بهم عُرف بدرب الأندلسيين[3].

وانتشر العامة والفلاحين في ضواحي المدينة وأحوازها، وخاصة في وادي الوريط فانتشروا على ضفتيه، حيث شيّدوا قرى وبساتين، وأسسوا مصانع عديدة، ومتاجر كثيرة وغرسوا الحقول والمزارع المختلفة الثمار ويشير إلى ذلك ابن الأعرج بقوله: " **وأظهروا هناك من صنائعهم ومتاجرهم، ما عاد بالنفع على البلاد وأهلها وملئوا تلك الشعاب من البساتين المتنوعة الثمار وأنواع الرياحين والأزهار... واتصلت مساكنهم بذلك الوادي إلى نهر السطفسيف، أقاموا بها عمارة بقيت آثارهم بتلك الشعاب العميقة ذات الأدراج المؤنقة والمياه المتدفقة والثمار المتنوعة.** "[4].

وبالتالي فأهل البادية والزراعة، وجّهوا إلى المناطق التي تكثر فيها الفلاحة، ووجه المثقفون والتجار والحرفيون وأصحاب رؤوس الأموال إلى مدينة تلمسان عاصمة بني زيان، أما أصحاب الملاحة والصيد البحري فاستقروا بالمدن الساحلية[5]، ويؤكد ذلك قول المقري: " **ولما نفذ قضاء الله، على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها في هذه الفتنة الأخيرة فتفرقوا ببلاد المغرب من بر العدوة حتى بلاد إفريقية، فأهل البادية قد مالوا إلى البوادي**

---

[1]- ابن خلدون: العبر، ج6، ص 683.

[2]- عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق، ص 175.

[3]- ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 127.

[4]- عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق،ص 176.

[5]- نفسه: ص 176.

إلى ما اعتادوه ودخلوا على أهلها وشاركوهم فيها فاستقوا المياه[1] وغرسوا الأشجار وأحدقوا الأرض، وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلموها ولا رأوها فشرقت بلادهم وصلحت أحوالهم."[2]

وبالرغم من أنهم لا يختلفون كثيرا على السكان المحلّيين، من حيث اللغة والعرق والدين، واللباس والطبائع[3]، إلا أنهم ظلوا محافظين على مميزاتهم، وخصوصياتهم الأندلسية، والبعض من عاداتهم وتقاليدهم ونمط حياتهم، كما كانوا كثيرا ما يظهرون الاعتزاز بأصلهم وبانتمائهم الجغرافي الأندلسي[4] ، وكانوا يمتهنون مختلف المهن والصناعات[5].

وعملوا على تطوير الزراعة، وتجديدها باستعمال أساليب وطرق زراعية متطورة في نواحي مدينة تلمسان وخارج أسوارها ولاسيما على ضفتي وادي الوريط وتخصص آخرون بفن البناء والعمارة وصناعة الجلود، وفن الخطوط والتعليم وتجارة الخشب، ونجد آخرون اهتموا بالتجارة ،ومختلف الصناعات مثل: طرز ونسج الحرير وحياكة القطن والكتان وغزل الصوف، وطوروا صناعة الفخار والخزف وسائر الأواني والأدوات المنزلية[6]، ويقول ابن الأعرج نقلا عن عبد العزيز الفيلالي:" **وكان لعهد نزول الأندلسيين بها(تلمسان) مزدانة بالمصانع المفيدة، فما شئت من أطرزة ومنسوجات الحرير والقطن والكتان والصوف ومعامل الفخار والخزف وأنواع السلاح، وسائر الأواني المنزلية "[7].**

وتوجد أيضا طبقة هامة من المهندسين والبنائين واليد العاملة الفنية، حيث تفننوا في بناء القصور والمنازل الفخمة والبساتين الناضرة،ويقول ابن خلدون:" **فبعث إليها (تلمسان)**

---

[1]- المقري: نفح الطيب، ج3، ص 156.
[2]- نفسه: ص 156.
[3]- يحي ابن خلدون: المصدر السابق،ج1، ص 108.
[4]- حسن الوزان: وصف إفريقيا ج2، ص 20.
[5]- البكري: المصدر السابق،ص 79.
[6]- عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق،ص 177.
[7]- نفسه.

السلطان الوليد صاحب الأندلس بالمهرة والحذاق من أهل صناعة البناء بالأندلس فاستجدوا لهم القصور والمنازل والبساتين "[1].

بالإضافة إلى الأطباء والعلماء والفقهاء والأدباء الذين وصلوا إلى المدينة بكتبهم ومصنفاتهم فاحتضنهم البلاط الزياني، وقلّد بعضهم خطط الكتابة والحجابة، وقد اشتهر من بينهم " بنو وضاح " الوافدون من شرق الأندلس في عهد أبي يحي يغمراسن، فقربهم إلى مجلسه وأنزلهم مترلة الحلّة والشورى[2].

ووصلت من الأندلس إلى تلمسان أسرة " بني ملاح " من مدينة قرطبة المعروفة بالعلم والفقه والأدب، كانوا يحترفون سك النقود، ويتمتعون بثقة كبيرة ويتصفون بالأمانة، تقلدوا وظيفة سك النقود ومنصب الحجابة[3].

ووجد الأندلسيين أيضا في مدينة فاس، حيث يذكر عبد الواحد المراكشي: **" أنه لما اضطرب أمر قرطبة باختلاف بني أمية بعد موت محمد بن أبي عامر وابنيه رحل منها من كان فيها من العلماء والفقهاء من كل طبقة فرارا من الفتنة فترل أكثرهم مدينة فاس."[4]**
وتميزت حياة الأندلسيين خلال القرنيين الخامس والسادس للهجرة الموافق للقرنيين الثاني والثالث عشر للميلاد بالهجرة إلى بلاد المغرب، وبلغ عدد هذه الهجرات قرابة الثمانين هجرة من مختلف المدن الأندلسية[5].

---

[1]- ابن خلدون: العبر، ج7، ص 297.

[2]- عبد العزيز سالم: تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1985، ص ص 249-250.

[3]- ابن خلدون: العبر ج7، ص ص 217 -218، ويشير إليهم يحيى بن خلدون بأنهم من " بيت سراوة " من لأهل قرطبة، احترافهم كان السكاكة وأولوا أمانة فيها ودين، أنظر:يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج1 ، ص 213.

[4]- المراكشي: المصدر السابق،ص 443.

[5]- عبد الواحد دنون طه: المرجع السابق،ص 161.

كما وصل المدينة مهاجري بصقلية الذين استقروا بها بعد الفتنة، حيث هاجر عدد كبير من العرب إلى المغرب، ومنهم الشرفاء الذين استقروا بفاس وعرفوا بالصياقلة[1].

2-1- 4 العبيـــد:

أ- السـود:

يبدو أنّ العبيد أصبحوا يشكلون القوة المنتجة الأساسية، في جميع ميادين النشاط الاقتصادي فكانوا هم العاملون في المناطق الزراعية الكبرى والواحات الصحراوية المغربية وفي المعادن وفي حراسة القوافل التجارية، وفي البناء والصناعات، التي نشأت في مراكز العمران لأن تجارة القوافل كانت بحاجة إلى عمال وحراس، ويلاحظ في الحياة السياسية والعسكرية في المجتمع الإسلامي، أن الرق العسكري احتل مكانة بارزة ابتداء من القرن 3ه، حيث بلغ عدد العبيد في الفسطاط في العهد الطولوني، حوالي أربع وعشرين ألف عبد تركي، وأربعين عبد سوداني[2].

ومنذ القرن الرابع للهجرة الموافق للقرن العاشر للميلاد، كانت أفواج العبيد السود تدخل البلاد الشرقية من زويلة[3]، والبلاد الغربية عن طريق أودغست[4]، وازداد عددهم على عهد الدولة المرابطية لأن أراضيها مجاورة لبلاد السودان، كما أن أهل المغرب يفضلون العبيد السود على البيض ربما لصبرهم وتحملهم وطاعتهم وإخلاصهم[5].

وكثر العبيد السود في القرن السادس الهجري، نظرا لاستخدامهم في الجيش المغربي حيث اشترى يوسف بن تاشفين في 464ه/1072م ألفين من العبيد السود[6]، واشترك معه

---

[1]- مصطفى أبو ضيف: أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصري الموحدين وبني مرين(524- 876ه/1130-1472م)، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، (د.ت)، ص 45.

[2]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج1، ض 118.

[3]- البكري: المصدر السابق،ص 158.

[4]- مجهول: الاستبصار، ص 146.

[5]- عمر عز الدين موسى: المرجع السابق،ص 117.

[6]- مجهول: الحلل الموشية، ص 17.

في معركة الزلاقة أربعة آلاف أسود[1]، وبلغ في عهد الموحدين على عهد الناصر الموحدي في حصن العقاب ثلاثين ألفا[2].

ويبدو أن المرابطين استخدموا العناصر السودانية في جيوشهم، كما قلنا وتنظيماتهم العسكرية وصاروا يكونون فرقة من فرق الجيش، وتزايدت أعدادهم بالمدن المغربية حتى إن أمير المسمين علي بن يوسف، لما عزم على تجهيز حملة العبور للأندلس، فرض على المدن المغربية عددا من أبناء السودان، للاشتراك في الحرب وكان ما فرض على أهل مدينة فاس ثلاثمائة غلام من سوداهم بثقافتهم وسلاحهم[3].

ووجدت العناصر السودانية في تلمسان، حيث كانوا يعملون في القصور والحقول والجيش، ومن الجواري اللائي كن يسخرن للخدمة في المنازل[4]، وتزايدت أعدادهم في عهد بني زيان لأن الحياة الاقتصادية في المدن والحقول، تعتمد على اليد العاملة المستأجرة وكانت تجارة الرقيق الأسود في بلاد المغرب نافعة ومزدهرة، تأتي في المرتبة الثانية بعد تجارة الذهب[5]، وكان عبيد هذه المناطق مرغوبا فيهم لإتقاهم الأعمال المترلية في الحقول والجيش وكانت أثماهم مرتفعة تتراوح ما بين 25 إلى 60 دينارا[6].

وقد لاحظ الإصطخرى، بأن الآمة السودانية بيعت في بلاد المغرب بألف دينار وأكثر[7]، واشترى ابن بطوطة جارية في منتصف القرن الثامن هجري والرابع عشر ميلادي وخمسة وعشرين دينارا، وقال بأن ثمنها مرتفع جدا[8].

---

[1]- المقري: نفح الطيب، ج4، ص 367.

[2]- ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص 159.

[3]- المراكشي: البيان المغرب، ج4، ص 23، وأنظر أيضا، حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص ص 322-323.

[4]- عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق، ص 185.

[5]- نفسه.

[6]- نجاة باشا: التجارة في المغرب الإسلامي من القرن 4 إلى 8ه، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1976، ص 68.

[7]- البكري: المصدر السابق، ص 37.

[8]- ابن بطوطة: الرحلة، المصدر السابق، ج2، ص 799.

بالإضافة إلى العبيد السود، نجد العبيد البيض الذين كانوا كثيري العدد في البلاد الأندلسية والمناطق الساحلية من البلاد الشرقية، وكانوا نتيجة حروب المرابطين ثم الموحدين مع نصارى اسبانيا[1].

وقد شهد القرن السادس الهجري، حركة تجارية واسعة في الرقيق الرومي، وبجاية المركز الرئيسي لهذه التجارة، كما أنه كانت تباع أمتان من البيضاوان من الروم بسوداء واحدة[2]، ويصبح العبد الرومي في المغرب أرخص من التركي في المشرق.

ولقد تعددت مهن العبيد في مجتمع القرن السادس الهجري، فإلى جانب الخدمة المترلية نجد العبيد السود يعملون في المزارع في البلاد الشرقية، وربما أيضا بين فاس وأغمات، وسهول شمال وادي سبو[3]، ونجد السود والبيض من العبيد في الصناعة[4] والتجارة[5]، والمجال العسكري.

وكان سعر العبد في قصور توات[6] التابعة لنفوذ بني زيان يساوي أوقيتين من الذهب، ويخضع سعر العبد إلى عمره، وحالته الصحية وقوته البدنية وإلى جنسه وحذقه بالمهن والصناعة[7]، وكان التجار المغاربة يستبدلون العبيد بسلع أخرى، أو يشترونهم من أسواق السودان بأثمان بخسة فقد كانت الفتاة التي لا يزيد عمرها عن خمسة عشرة سنة تساوي ستة

1- عمر عزالدين موسى: المرجع السابق،ص 118.

2- المراكشي: المصدر السابق،ص 269.

3- البكري: المصدر السابق،ص 87.

4- البيذق: أخبار المهدي، ص 53.

5- عمر عز الدين موسى: المرجع السابق،ص 119.

6- توات: وفيه قصور متعددة تناهز المائتين أخذة من الغرب إلى الشرق وهو بلد متبحر في العمران وهو ركاب التجار المترددين من الغرب إلى بلد مالي، من السودان لهذا العهد، أنظر: ابن خلدون: العبر ج7، ص ص 117-118.

7- عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق،ص 185.

مثاقيل[1]، وكذلك الفتى أما الأطفال والمسنون، فيقدر ثمنهم بنصف ذلك وكان عبيد شمال نيجيريا يستبدلون بالخيول، بحيث كان الفرس الواحد يساوي من 15 إلى 20 عبدا[2].

كما أن السلطان أبو حمو الثاني[3]، استخدم عنصر السود في جيشه وكان يطلق عليهم " الوصفان" لسواد بشرتهم جنبا إلى جنب مع المماليك، التي كانت تتشكل منهم بعض الفرق العسكرية في الجيش الزياني، وكانوا من الشجعان وذوي الجرأة والبأس الشديد[4] وكانت مهمتهم غالبا حماية السلطان بحيث لا يفارقونه.

ولعل كثرة الحركة التجارية ونشاطها المستمر، وازدهار تجارة الرقيق الأسود واتساع دائرتها واستمرارها عبر أجيال، وقرون عديدة بين بلاد المغرب وبلاد السودان، ساعد على وجود العديد من هذه العناصر في مدن المغرب الإسلامي، حتى صار لا يخلو أي بيت من البيوت المغربية أكثر من وصيف ووصيفة[5].

ب- الأغزاز والصقالبة:

أطلق لفظ في خلافة المنصور، ومن بعده على ما يسمى في المشرق بالأتراك فالمصادر المغربية بما فيها الرسائل الموحدية الرسمية، قبل خلافة المنصور لا تورد لفظ الأغزاز أو الغز بل تسميهم " الأتراك " أو " الأكراد "[6]، بينما تطلق المصادر بعد ذلك على المجموعة

[1]- يتراوح ثمن المثقال ما بين 22 و25 درهما.

[2]- الحسن وزان: المصدر السابق، ص ص 169-176.

[3]- أبو حمو الثاني، حكم من 760ه-791ه/1359م-1389م.

[4]- عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق،ص 186.

[5]- نجاة باشا: المرجع السابق،ص 68.

[6]- مجهول: رسائل موحدية، ص 101.



نفسها لفظ الأغزاز[1]، أو الغز[2]، ويبدو أنهم كانوا شجعان، ولهم دور كبير في الميدان العسكري خاصة في البلاد الشرقية وأهل المغرب يعرفون عنهم شهرتهم في الرماية[3].

ولقد دخل الأتراك، سنة 569هـ/1173م منطقتي برقة وطرابلس، بقيادة قراقوش الأرمني وبسطوا نفوذهم على المنطقتين[4]، ويبدو أنهم طمعوا في البلاد الجريدية فاشتركوا مع ابن الرند في ثورته بقفصة في 575هـ-576هـ/1180م[5]، والظاهر أن عددهم أصبح كبيرا[6] وقياداتهم متعددة[7]، فسيطروا على طرابلس وقابس وقفصة، وانضم بعض العرب تحت لوائهم وحالفهم ابن غانية، مما اضطر الخليفة المنصور قيادة جيشه بنفسه فقضى عليهم في سنة 583هـ/1178م[8]. وقد ألحق البعض منهم بالجيش الموحدي[9] أقطعهم بها الإقطاعات[10]، وظل ذكرهم يتردد في الأعمال العسكرية، وأنزلهم المنصور ثغور الأندلس[11].

ولقد اشتمل المجتمع التلمساني، على بعض العائلات الغزية، التي قدمت من بلاد المشرق وكانت معظمها تعيش على الرعي وتربية المواشي[12]، كما اشتهرت بالفروسية والرمي بالقوس والنشاب ويبدو أنها اعتنقت الإسلام، في النصف الثاني من القرن الرابع هجري الموافق للعاشر ميلادي[13].

---

[1]- ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص ص 146-147.

[2]- وعن لفظ الغز راجع: نفح الطيب، ج3، ص 107، 133،وأنظر أيضا: المعجب: المصدر السابق،ص 256.

[3]- ابن سعيد: المرجع السابق،ص 60-61.

[4]- المراكشي: المصدر السابق،ص 256.

[5]- مجهول: رسائل موحدة، ص 101.

[6]- نفسه: ص 208.

[7]- المراكشي: المعجب، ص 289.وأنظر أيضا: المقري: نفح الطيب، ج3، ص 133.

[8]- مجهول: رسائل الموحدية، ص 183.

[9]- نفسه: ص 214.

[10]- المراكشي: المعجب،ص 289.

[11]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج11،المصدر السابق، ص 522.

[12]- ابن خلدون: المصدر السابق،ص 231.

[13]- عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق،ص 181.

وقد التحق بعضهم بجيش يغمراسن، ابتداء من سنة 633ه/1235م [1]، وهي السنة التي تولى فيها شؤون دولته الناشئة، وقد اشتهر من بينهم في عهدي أبي حمو موسى الأول وابنه أبي تاشفين الأول، علي بن الحسن [2]، وابنه موسى بن علي اللذين تقلدا مناصب ووظائف سامية في الدولة الزيانية وتوليا قيادة جيوشها [3].

أما الصقالبة، فهم عناصر من جنسيات أوروبية مختلفة يجلبون من شمال اسبانيا بواسطة الشراء أو الغارات والغزوات للشواطئ الأوروبية، وجزر البحر المتوسط أو عن طريق الهدايا [4].

نشأ الأعلاج تنشئة إسلامية، ودربوا على أعمال القصر لخدمة النساء وتكونت منهم فرق خاصة في الجيش وحرس السلطان [5] وتقلدوا القيادة وخطط الوزارة والحجابة.

واشتهر منهم في البلاط الزياني، هلال القطلاني، الذي سباه المسلمون من نصارى القطليونية [6]، وجلبوه إلى غرناطة، حيث أهداه السلطان الغرناطي محمد الثاني الأحمر (671ه-701ه/1273م-1302م) إلى السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن (681ه-703ه/1283م/1303م)، ثم صار هلال القطلاني ،بعد ذلك إلى أبي حمو موسى (707ه-718ه/1307م-1318م) الذي دفع به على ابنه تاشفين ومعه البعض من الأعلاج يقومون بخدمته وتربيته [7]، وكان هلال من أقرب الأعلاج إلى تاشفين حتى أصبح من أخلص المقربين له وثقته به كبيرة فقلده الحجابة والوزارة، وبرزت معه مجموعة من الأعلاج لهم مركز سياسي واجتماعي في المجتمع التلمساني، بحيث شكّلوا فريقا من الضباط والقادة في

---

[1] – المراكشي: المصدر السابق،ص ص 289-290.

[2] – يحي ابن خلدون: البغية ، المصدر السابق،ج1،ص 215.

[3] – التنسي: نظم الدرر، ص 142- 144.

[4] – ابن خلدون: المصدر السابق،ص 236.

[5] – ابن حوقل: المصدر السابق،ص 110.

[6] – قطليونية: إقليم يقع في الشمال الشرقي من اسبانيا وهو مقسم إلى قسمين في الوقت الحاضر الأول في اسبانيا وأكبر مدنه برشلونة والثاني تابع للجمهورية الفرنسية ، أنظر: التنسي: المصدر السابق، ص 138.

[7] – ابن خلدون: المصدر السابق،ص 236.

الجيش الزياني منهم: **القائد مسامح، وفرح بن عبد الله، ظافر مهدي وعلي بن تاكرارت**[1] وغيرهم وصاروا بذلك عنصرا هاما في المجتمع الزياني.

2-1-5 أهل الذمة:

تطلق المصادر ألفاظا متعددة ومختلفة على أهل الذمة في المغرب[2] ، منهم المستعربون أو المولدون والأفارقة[3] ، ثم يهود ونصارى خاصة في الشمال الإفريقي، وانتشر أهل الذمة في أرياف البلاد الغربية والشرقية حيث نجد مثلا إشارة البكري " أفارقة قابس "[4].

ولقد كانت المدن الرئيسية، هي المناطق الأساسية التي فرّ لها أهل الذمة في الشمال الإفريقي وتعددت الإشارة عنهم في **فاس**[5] **ومكناسة**[6] **وقلعة المهدي بن توالي ومراكش وأغمات**[7] **وسجلماسة وتلمسان**[8] **وتونس وبونة.**

وسكن أهل الذمة في الأندلس، في المدن والأرياف، ويلاحظ انتشارهم في أرياف الأندلس[9]. ويبدو أن انتشار اليهود، كان أكثر من النصارى حيث نجد في الشمال الإفريقي اليهود أكثر نسبة خاصة في فاس وتشير المصادر التاريخية، إلى وجود تجمعات كبيرة منهم[10] ،

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ص 216.

[2]- عز الدين عمر موسى: المرجع السابق،ص 100.

[3]- البكري: المصدر السابق، ص ص 17،56، 61، والأفارقة Africains هم أولاد الفينيقيين الذين تزوجوا بنساء أمازيغيات، يشكلون فئة شعبية.

[4]- نفسه: ص 17.

[5]- ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق،ص 69.

[6]- البيذق: المصدر السابق،ص 124.

[7]- الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق،ص 54، وأنظر : مجهول: الحلل الموشية،ص 14.

[8]- البكري: المصدر السابق، ص ص 76، 146، 148.

[9]- الحميري: الروض المعطار، ص ص 143-144.

[10]- البكري: المصدر السابق، ص 115.

ومما يدل على كثرتهم امتلاكهم لكثير من الأملاك والديار بالمدينة، حيث كان يقع بعض من هذه الأملاك والديار حول جامع القرويين[1].

واحتفظ اليهود، بدينهم وفضلوا الإقامة في ظل الإسلام، والمسلمين على الالتجاء للبلاد النصرانية ودخلوا بذلك في الذمة[2].

كما أن وجود اليهود، كان في مدينة تلمسان قبل الفتح العربي الإسلامي لها وتزايد عددهم في عهد الدولة الموحدية، وعاش اليهود في كنف المسلمين وتحت حمايتهم مقابل دفع الجزية التي قررها الشرع الإسلامي[3]، وكان لهم حق التملك وحرية التصرف في أملاكهم يبيعون ويشترون الأراضي والفنادق والمنازل، ويشيدون المباني ويملكون الرقيق من غير المسلمين وكان لهم بِيَعٌ ومدارس لأداء الفرائض ولتعليم أطفالهم[4].

أما النصارى، فقد وجدوا في المغرب خاصة على عهد دولة المرابطين في أعداد كبيرة من المسيحيين، وفدت إلى المغرب للعمل كجند مرتزقة في الجيش المرابطي[5]، فالأمير يوسف بن تاشفين، " بعث إلى الأندلس فابتيع له بها جملة من الأعلاج، فأركب الجميع وانتهى عنده منهم شراء ما له مائتان وأربعون فارسا ومن العبيد شراء ما له نحو الألفين "[6].

كما أنّ علي بن يوسف بن تاشفين 500هـ-537هـ/1106م-1143م، استخدم النصارى جنودا وحراسا خصوصيين له فهو أول من استعمل الروم، وأركبهم في المغرب

---

[1]– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق،ص 59.

[2]– محمد الحبيب بن الخوجة: اليهود في المغرب العربي، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، 1973، ص 12.

[3]– عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق،ص 193.

[4]– نفسه: ص 194.

[5]– رضوان البارودي: أضواء على المسيحية والمسيحيين في المغرب في العصر الإسلامي، القاهرة، دار الفكر العربي، 1990،ص 33.

[6]– ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج4،ص 23.

وجعلهم يحقدون على المسلمين، في مغامرتهم ويأخذون منهم في نفقاتهم، وأكثر ما يجب عمله[1].

كما عهد على هؤلاء النصارى، بالإضافة إلى عملهم كحرس خاصة مهمة تحصيل الضرائب أحيانا، وحراسة جباة الضرائب أحيانا أخرى[2].

وتشير المصادر إلى زيادة أعدادهم، في نهاية الدولة المرابطية؛ فتاشفين بن علي ابن يوسف عندما خرج لقتال الموحدين في عام 534هـ/1139م ،كان معه جمع من النصارى في جيوشه[3]، كما تشير المصادر إلى فرار الجند الروم مع يحي الصحراوي، صاحب فاس عندما فتح الموحدون المدينة عام 540هـ/1145م[4].

ثم انظم الجند المسيحي إلى دولة الموحدين، بعد القضاء على دولة المرابطين، وكانوا هم من فتح أبواب مراكش عام 541هـ/1146م، وضمهم عبد المؤمن إلى صفوف جيشه[5].

ومنذ عهد المأمون الموحدي، 624هـ-630هـ/1227م-1232م، أخذت الطوائف المسيحية، تبرز بصورة واضحة في بلاد المغرب خاصة بعد مساعدة ملك قشتالة له بفرقة من الجند النصارى، ليقوى بهم وبلغ عددهم حوالي اثني عشرة ألف فارس برسم الخدمة معه والجواز إلى العدوة، وتعهد المأمون الخليفة الموحدي بالسماح لهؤلاء الجند، ببناء كنيسة لهم وسط مراكش[6].

---

[1]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج4، ص 102، وأنظر أيضا: رضوان البارودي: المرجع السابق،ص 33.

[2]- رضوان البارودي: المرجع السابق،ص 33.

[3]- ابن عذارى: المصدر السابق، ص 98.

[4]- عبد الواحد دنون طه: المرجع السابق،ص 169.

[5]- مجهول: الحلل الموشية، ص 138.

[6]- ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق،ص ص 250-251، وأنظر: رضوان البارودي: المرجع السابق،ص 44.

وازداد نفوذهم في العهد الموحدي، وأصبحوا ينعمون بمركز ممتاز في الدولة لشدة الحاجة إليهم حتى أنهم أصبحوا يدقون أجراس كنيستهم[1].

كما أنهم وجدوهم في الدولة الزيانية كان عسكريا أيضا، حيث استخدموا في الجيش وفي الحروب ونجد نحو 500 فارس من الروم يقاتلون إلى جانب يغمراسن ضد بني مرين، الذين تمكنوا من القضاء عليهم جميعا، واستخدم أبو حمو موسى الزياني الثاني، المرتزقة المسيحيين في جيشه وصنفهم ضمن المماليك الخاصة بحراسته[2].

2-2- نمـــط المعيشة:

تنوعت العناصر الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي واختلفت معها طريقة العيش حيث تأثر كل عنصر بالآخر، ومما يلاحظ أن سكان بلاد المغرب اهتموا بالزراعة والفلاحة والصناعة وخاصة التجارة مع مدن المغرب وسائر الأقطار المجاورة.

وبما أن العنصر البربري كان الغالب على المنطقة فقد تبوأ القيادة والمخزن واحترف الصناعة والتجارة، وساهموا في تنشيط الحياة الاجتماعية التي حضي بها سكان المدن، حيث كانوا في حياتهم الخاصة والعامة صورة مصغرة لما كان عليه الخلفاء وكبار الأمراء في الحاضرة.[3]

واهتمت الفئات الأخرى بتنشيط الحياة الاقتصادية والاجتماعية، حيث نجد مثلا أهل الذمة خاصة اليهود اشتغل العديد منهم في بعض الحرف مثل صناعة القناديل وزخرفة المعادن وصناعة الحلي وغيرها،وكان منهم من عمل في الطب[4]، وبرعوا في التجارة خاصة مع المشرق[5] وكثر ثراءهم في فاس[6]، ولعل نجاحهم هذا كان بسبب عملهم في الصياغة والصَّيْرَفَة،

---

[1]– رضوان البارودي: المرجع السابق،ص 44.

[2]– عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق،ص ص 188-189.

[3]– سيد عبد الفتاح عاشور: الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، عالم الفكر، المجلد 11، العدد الأول، 1980، ص 93.

[4]– عبد الواحد ذنون طه: المرجع السابق، ص 170.

[5]– عمر عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 109.

[6]– مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 202.

واشتغلوا في الإدارة المالية والوزارة والحجابة، والكتابة أيام الطوائف[1]، ويبدو أنهم عرفوا بالأعمال الإدارية في البلاد الأندلسية.[2]

وعُرف عن اليهود اختلاطهم وامتزاجهم ومشاركتهم في العادات والتقاليد واللغة، وكانت علاقتهم طيبة مع سكان بلاد المغرب، ولم يشهد تاريخ المغرب الإسلامي انقطاع العلاقات بين المسلمين واليهود[3]، باستثناء ما أمر به الخليفة يعقوب بن يوسف الموحدي في آخر أيامه من تمييز اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم، والذي حمل على ذلك شكه في إسلام بعضهم، وكان هذا الخليفة يقول: " لو صح عندي إسلامهم لتركتهم يختلطون بالمسلمين في أنكحتهم وسائر أمورهم، ولو صح عندي كفرهم لقتلت رجالهم وسبيت ذراريهم وجعلت أموالهم فيئا للمسلمين، ولكني متردد في أمرهم "، ويبدو أن الكثير منهم أظهر إسلامه وتردد على المساجد، ولكن لا أحد يعلم ما في صدورهم.[4]

ولقد تمتع اليهود بحرية في ممارسة كافة ألوان النشاط حتى جمعوا الثروات الطائلة، وأدى ذلك إلى التقارب بين عناصر السكان في مدن المغرب. إذ كانت التجارة من أهم المهن التي وجدت بمدن المغرب الإسلامي، فنجد مثلا مدينة فاس،حيث كثر فيها التجار المشتغلين بها سواءا منهم تجار الجملة أم تجار التجزئة الذين يبيعون بضائعهم في متاجرهم أو عن طريق التجول لسد حاجة السكان، وكوّن هؤلاء الأفراد طبقة اجتماعية عن طريقهم يتم البيع والشراء ويجد السكان حاجاتهم[5] عندهم، ويضاف إليهم باعة الطعام والجزارين وباعة الدقيق، وكلهم يبيعون ما يحتاجه الناس من اللحوم والقمح وغير ذلك.[6]

---

[1]- عمر عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ص 110- 111.

[2]- المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص 134.

[3]- محمد الحبيب بن الخوجة: المرجع السابق، ص ص 12- 25.

[4]- المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص 383.

[5]- عبد الواحد ذنون طه: المرجع السابق، ص 166.

[6]- نفسه: ص 166.

واكتضت المدن بعدد كبير من الصناع وأصحاب الحرف للنهوض بمتطلبات المجتمع، حيث تم الازدهار بفضل هؤلاء الصنّاع الذين انتشروا في أنحاء المدينة، ومنهم صانعي الثياب[1]، وتضم عدة حرف تقوم على تحويل المواد الخام إلى ملابس قطنية وصوفية وكتانية وغيرها من أنواع الملابس[2]، وصانعي المصنوعات الخشبية[3]، وصانعوا الخبز، حيث نجد أن بعض النسوة يصنعن الدقيق في بيوتهن، ثم يأتي من يحمله إلى الأفران لخبزه[4]؛ وصناعة الورق والصابون والجلود...،وغرهم من فئة الصناع والحرفيين الذي ساهموا في تنشيط الحركة الاقتصادية في المدينة المغربية.

أما عن مكانة المرأة في المجتمع، فقد حضيت بمكانة هامة رغم القيود الاجتماعية التي فرضتها التقاليد على المرأة، فقد أسهمن بدور بارز في مختلف أنواع النشاط الفكري والديني والاجتماعي.

ولقد شاركت المرأة في عصر دولة المرابطين في مجالات عدة ومنها: المجال العلمي والأدبي ، وقد برزت فيهن "زينب بنت إسحاق النفزاوية"[5]، وهي امرأة ذكية وجميلة، عبّر ابن الأثير عنها بقوله: " **وكانت من أحسن النساء ولها الحكم في البلد** "[6]، حيث أدّت دور المستشار ليوسف بن تاشفين الذي عمل بنصائحها.

واشتهرت بعض الأميرات المرابطيات بحب الأدب والشعر مثل الأميرة بنت يوسف بن تاشفين أخت علي بن تاشفين[7]، والشاعرة الصالحة الحافظة للقرآن "ورقاء بنت الفاسية" الذي

---

[1]- ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 49.

[2]- ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، المصدر السابق، ص 140.

[3]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 349

[4]- نفسه.

[5]- زينت بنت أسحاق النفزاوية: امرأة ذكية وجميلة، يعود أصلها إلى قبيلة نفزاوة ، بعد مقتل زوجها الأول تزوجت أبي بكر بن عمر ثم طلّقها، وبعد انقضاء عدتها تزوجها يوسف بن تاشفين، أنظر: حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح إلى الغزو الفرنسي، ط1، مج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1992، ص 49.

[6]- ابن الأثير: المصدر السابق، ص 99.

[7]- عبد الواحد ذنون طه: المرجع السابق، ص 171.

وصفت بأنها بارعة في الخط[1]، كما عرفت "مريم بنت إبراهيم المرادي" من أهل الذكاء والنبل[2]، أما "خديجة بنت الفقيه أبو علي الصدفي "، فكانت تحفظ القرآن إلى جانب مطالعة الكتب[3]، ومن عالمات الأندلس في هذا العصر مولاة" أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون" الكاتب، سكنت بلنسية، وكانت قد أخذت عن مولاها عبد الرحمن النحو والصرف لكنها فاقته وبرعت في العروض.[4]

ولقد كانت المرأة في هذا العصر تتمتع بالحرية الاقتصادية، وخصوصا التصرف بالعقود والوصايا وتمكنها من إدارة تجارتها، والسيطرة المستقلة على شؤونها المالية[5]، وبلغت مكانتها بحيث أن الرجل كان ينتسب إلى أمه وليس لأبيه مثل: محمد بن عائشة، يحيى بن عائشة... .

وفي العصر الموحدي نجد أيضا "سيدة بنت عبد الغني العبد ربه" وتكنّى أم العلاء، نزيلة فاس، والتي كانت تقوم بتعليم القرآن الكريم بغرناطة، واشتهرت بتلاوة القرآن الكريم والمحافظة على الأدعية والأذكار والسعي في الخيرات، وتوفيت أم العلاء في 647ه/ 1249م[6].

أما عن نشاطها، فكانت تخرج للشوارع وأسواقها ومنتزهاتها، حيث كنّ يذهبن إلى حانة الطاعة كثيرا وإذا لم تكن لديهن حاجة في السوق يذهبن إلى الحمام المخصص للنساء.

كما نشطت المرأة في مجالات مختلفة كالغزل والخياطة والتجارة والتمريض[7]، بالإضافة إلى مساهمتها في الحركة السياسية والحربية والعلمية والدينية في العهد الزياني، فعندما استولى أبو زكريا الحفصي على مدينة تلمسان سنة 664ه وأخرج منها السلطان الزياني يغمراسن

---

[1]- عبد الواحد ذنون طه: المرجع السابق، ص 172.

[2]- لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ص 40.

[3]- محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص 64.

[4]- نفسه: ص 54.

[5]- كمال السيد أبو مصطفى: دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، مؤسسة الإسكندرية، 1997، ص 20.

[6]- عبد الواحد ذنون طه: المرجع السابق، ص 172.

[7]- عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق، ص 292.

تقدمت أم هذا الأخير " سوط النساء " على رأس الوفد الزياني للتفاوض مع السلطان الحفصي[1] باسم ابنها، وتمكنت من توقيع معاهدة سياسية مع الحفصيين، ولقد كان أبو زكريا الحفصي قد أكرم وفادها وأحسن موصلها وأسنى جائزها[2]، لما كانت تمتع به من قوة الشخصية والشجاعة الأدبية.

وكان للعنصر النسوي دور في مجال الاستخبارات ومراقبة التجار وتفتيش النساء في أبواب المدينة، وكانت النساء تخرجن لاستقبال السلطان ورؤية موكبه في الأعياد[3]، والتنزّه في الحدائق العامة، والملاعب والمُنْيَاتْ والأماكن السياحية التي يزخر بها محيط تلمسان[4]، وتزرن المقابر وأضرحة الأولياء للتبرك والترحم على الموتى، وكان الكثير منهن يجاورن ضريح أبي مدين في العباد، حتى أنكر عليهم عليهن خروجهن أحد الفقهاء.[5]

---

[1]– عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق، ص 293.

[2]– يحيى ابن خلدون: البغية، ج1، ص 206، وأنظر: ابن خلدون عبد الرحمن: العبر، ج7، ص 166.

[3]– عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق، ص 293.

[4]– يحيى بن خلدون: البغية، ج1، ص ص 181- 182.

[5]– عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق، ص 293.



الفصل الثاني

المسالك والدروب التجارية بين حواضر المغرب الإسلامي

1- المسالك البرية:

إن امتداد أرض المغرب هي امتداد للقوافل التجارية المارة بأبرز المدن المغربية[1] ومن بينها نورد ما يلي:

الطريق الشرقي: ويبدأ من تلمسان عبر وجدة[2] وفاس[3] صفروي[4]، سجلماسة[5]، درعة[6]، تامدلت، أودغست[7]، لتنتهي إلى بلاد السودان.

أما الطريق الثاني فهو **الطريق الغربي**: ويبدأ من تلمسان فوجدة وفاس، ثم يتجه إلى

---

[1]- عيسى بن الذيب: التجارة في عصر دولة المرابطين، اشراف حسن أحمد محمود، رسالة ماجستير، القاهرة 1990،ص68.

[2]- وجدة: مدينة تبعد عن مدينة تلمسان بثلاث مراحل وتقع هذه المدينة على الطريق المار إلى بلاد المشرق إلى سجلماسة وغيرها، تمتاز بمراعيها الصالحة ومن صوفها تصنع الأكسية، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص ص 607-608.

[3]- فاس: مدينة مشهورة كبيرة على بر بلاد المغرب من بلاد البربر وهي حاضرة البحر وأجل مدنه... وليس بالمغرب مدينة يتخللها الماء إلا غرناطة بالأندلس... وبفاس يصنع الأرجوان والأكسية القرمزية، أنظر: اليعقوبي: معجم البلدان،ج3، المصدر السابق، ص ص 230-231.

[4]- صفروي: مدينة مغربية تبعد عن مدينة فاس بمرحلة وهي مدينة صغيرة متحضرة وأكثر سكانها فلاحين، أنظر : عيسى ابن الذيب: المرجع السابق،ص51.

[5]- سجلماسة: مدينة حسنة الموضع، جليلة الأهل، فاخرة العمل على نهر يزيد في الصيف كزيادة النيل لها نخيل وبساتين حسنة وأجنة... ويقارب القيروان سجلماسة في صحة الهواء ومجاورة البيداء مع تجارة غير متقطعة منها إلى بلد السودان وأرباح متوافرة... أنظر: البكري: المصدر السابق،ص 149، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 225.

[6]- درعة: مدينة بالمغرب في جهة سجلماسة تبعد عليها بثلاث مراحل وتعرف درعة باسم واديها "وادي درعة" وهي غير محاطة بسور وإنما هي قرى متصلة وعمارات متقاربة وسكانها خليط من البربر أما أشهر مزروعاتها الحناء، أنظر: الحميري: المصدر السابق،ص ص 235-236، ودرعة إقليم يبتدئ عند الأطلس ويمتد جنوبا على مسافة نحو مائتين وخمسين ميلا عبر صحراء ليبيا، وهذا الإقليم ضيق جدا، يقيم السكان على ضفاف النهر الذي يحمل نفس الاسم، وبفيض طورا في الشتاء حتى كأنه بحر، أنظر: حسن الوزان: المصدر السابق، ص 118.

[7]- أودغست: مدينة في بلاد السوس أسسها " عبد الله بن إدريس العلوي" تبعد عن مدينة درعة مسيرة ستة أيام وتعرف بكثرة زراعاتها ووفرتها ومشهورة بمعدنها الفضة، أنظر: الحميري، المصدر السابق ، ص 128.

الغرب ناحية مكناسة الزيتون[1]، جبال فازاز[2]، تادلا[3]، عبر جبل درن[4]، أغمات[5]، أودغست، أو "أغمات سجلماسة"، ومنها إلى السودان الغربي.

ويمكننا القول أنّ المسالك الرئيسية للحركة التجارية تمركزت حول خمسة مراكز تجارية هي:"أغمات" و"تلمسان" "سجلماسة" و"فاس" إبان الحكم المرابطي.

بالإضافة إلى الطرق الثانوية وهي محلية الهدف منها توزيع البضائع منها:

طريق رابط بين "فاس" و"سجلماسة": عبر "صفروي" الذي تقدر مسافته بثلاثة عشرة مرحلة أي ما يقارب ثلاثمائة وتسعين كيلومترا[6]، بالإضافة إلى الطريق الذي يربط "سجلماسة ودرعة"، و"سجلماسة وأغمات" اللتين تعتبران مركزا تجاريا هاما[7].

---

[1]- مكناسة الزيتون: مدينة في المغرب الأقصى من أعمال "فاس" تقع في الجهة الغربية منها قرب جبل "زرهون" في موقع جميل يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر 522م ويرجع تاريخ تأسيسها إلى القرون الأولى للهجرة في مكان "تاكرارات" ونظرا لكثرة الثمار بها وخصوصا الزيتون نسبت المدينة وعرفت باسم" مكناسة الزيتون"، أنظر: الحميري: المصدر السابق،ص 544.

[2]- فازاز: كان اسم فازاز يطلق في القديم على الجبال الممتدة من جنوب سهل "سبايس" إلى وادي "ملوية" ووادي" العبيد" أي ما يعرف بالاصطلاح الحديث بالأطلس المتوسط تقريبا ولقد اضمحل هذا الإطلاق الواسع اليوم، ولم يعد يسمى بفازاز إلا مكان بتلك الجبال يبعد عن مكناس جنوبا نحو 100كلم، كما يسمى بأهل فازاز بطن من قبائل المطاغرة الزمورية، أنظر: عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص 51.

[3]- تادلا: مدينة بالمغرب الأقصى تقع في الإقليم المسمى قديما باسم "فازاز" بنى بها المرابطون حصنا منيعا لمراقبة المنطقة وقد اشتهرت بزراعة القطن، أنظر: الحميري: المصدر السابق،ص 127.

[4]- درن: جبل بالمغرب، يعرف بسقنقور، وهو جبل معترض بالصحراء يبدأ من المحيط الأطلسي إلى المشرق حتى يصل إلى جبل نقوسة... ويقول البكري أنه متصل بجبال الأوراس بالمغرب الأوسط، أنظر: المصدر نفسه ،ص 234.

[5]- أغمات: مدينة قديمة اندثرت ولم يبق إلا الاسم وكانت عبارة عن مدينتين متقابلتين إحداهما تسمى" أغمات وريكة"و" أغمات هيلانة" وبينهما نحو 8 أميال ولعبت دور مهم في تاريخ المغرب قبل بناء مدينة مراكش وبعد بنائها فكانت عامرة مزدهرة تقصدها القوافل التجارية، أنظر: عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص 51، وأنظر أيضا: الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 135.

[6]- نفسه: ص 70.

[7]- نفسه: ص 71.

كما نجد أيضا الطريق من تلمسان إلى فاس وينتهي عند سجلماسة أو توات[1] أو عين صالح ويربط بين كل محطة من هذه المحطات وبين تلمسان طريق هام طريق تلمسان- سجلماسة وينقسم إلى فرعين:

* فرع يصل بين " تلمسان" و" وجدة"، ويصل إلى " تازة" عبر " تاوريرت" و" جرسيف"[2] إلى " فاس"، ثم يقطع بعض المدن في الجنوب، ومنها "صفروي" و"تادلا" و"أغمات" و"ريكة" و" درعة"، ثم "سجلماسة"، وهو أطول من الفرع الثاني وأكثر أمانا.

* كما نجد فرع آخر يربط تلمسان بوجدة، ثم بجبل تامريت وينتهي إلى سجلماسة[3] ويلتقي الفرعان في سجلماسة.

والطريق الثاني:طريق تلمسان توات: يقطع هذا الطريق الهضاب الإستبسية وينقسم إلى:

- فرع يشق نعامة وتيوت ومغرار وغوبرت وأولاد سيدي عيسى.
- وفرع ثاني يتجه إلى سبدو ويعبر بوسمفون إلى تيميمون.
- وفرع ثالث يمر عبر أولاد سيدي الشيخ إلى تيميمون ويخرج من هذا الطريق عدة فروع أخرى[4].

---

[1]- توات: من المراكز التجارية قال فيها ابن خلدون:" فمنها على ثلاث مراحل قبلة سجلماسة وتسمى وطن توات وفيه قصور متعددة تناهز المئتين، آخذة من الغرب إلى الشرق وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيت وهو بلد متبحر في العمران، وهو ركاب التجار المترددين من الغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد" أنظر: ابن خلدون: المصدر السابق،ج7، ص ص 17-18.

[2]- جرسيف: مدينة أجرسيف كبيرة لها بساتين كثيرة وهي على نهر ملوية وهو نهر كبير من الأنهار المشهورة، وكانت أجرسيف قرية كبيرة على نهر ملوية حتى خرج الملثمون من الصحراء، فنزلوا بها ومدنوها وبنوا عليها سورا من طوى، أنظر: مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 177، وأنظر أيضا: الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 350.

[3]- لطيفة بن عميرة: الرحلة التجارية بين تلمسان وممالك بلاد السودان الغربي، حولية المؤرخ العدد الخامس، دار الكرامة للطباعة والنشر، جوان 2005،ص 84.

[4]- نفسه: ص ص 84-85.

كما وُجدت العديد من الطرق الأخرى التي برزت في المغرب وذلك حسب ما أورده الرحالة والجغرافيون حيث يذكر لنا ابن حوقل:

الطريق من إفريقية إلى تاهرت وفاس، فمن القيروان[1] إلى الجهنين، وهي قرية صغيرة ومنها إلى سبيبة[2] ثم مرماجنة[3] ثم إلى ماجنة[4] ثم إلى تيجس[5] ثم مسكيانة[6] ثم إلى مدينة باغاي[7] ومن باغاي إلى " دوفانة"[8]، ثم دار ملول وكانت مدينة قديمة تقف عندها القوافل للراحة ثم إلى "طبنة"[9] ثم إلى مقره، ومنها إلى المسيلة[10] ثم إلى "جوزا"[11]

---

[1]- القيروان: أم أمصار وقاعد أقطار وكانت أعظم مدن المغرب قطرا وأكثرها بشرا وأيسرها أموالا وأوسعها أحوالا... وأربحها تجارة وأكثرها وأنفقها سلعة وأثمارها ربحا، أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص 284، وأنظر أيضا: ابن حوقل : المصدر السابق،ص 96.

[2]- سبيبة: مدينة أزلية كثيرة المياه والأجنة وعليها سور من حجارة حصين ولها ربض فيه الأسواق والخانات ويشربهم من عين جارية كثيرة تسقي بساتينهم، رخيصة الأسعار...، أنظر: المصدر نفسه، ص84.

[3]- مرماجنة: قرية فيها أسواق حسنة، أنظر: المصدر نفسه.

[4]- مجانة: مدينة ذات سور... كثيرة الزعفران والزرع وبها معادن حديد وفضة ومنها الحجارة المجلوبة للمطاحن بجميع المغرب ولهم واد غزير الماء، أنظر: المصدر نفسه.

[5]- تيجس: طريق قصد على مناهل وقرى خمس مراحل، أنظر: المصدر نفسه.

[6]- مسكيانة: قرية عليها سور قديمة كثيرة المياه والزرع ولها سوق، أنظر: المصدر نفسه.

[7]- باغاي: مدينة كبيرة عليها سوران من حجر وربض عليه سور وهي أول بلاد التمر ولها واد يجري إليها من جهة القبلة وشربهم منه... أنظر: الإدريسي:نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 276.

[8]- دوفانة: قرية من جبل أوراس لها سكان من اللهان، أنظر: ابن حوقل: المصدر السابق،ص 85.

[9]- طبنة: مدينة قديمة، مدينة الزاب وهي مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير وعليها سور من تراب... بها صنائع وتجارات وأموال لأهلها... والتمر بها كثير..." أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 263.

[10]- المسيلة: مدينة محدثة عليها سور حصين من طوب ولها واد يقال له واد سهر فيه ماء عظيم... ولهم كروم وأجنة كثيرة... ولهم من السفرجل المعتق ما يحمل إلى القيروان... أنظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص 85، للمزيد من المعلومات ،أنظر: المصدر نفسه، ص 261.

[11]- جوزا: منزل ينزل به الناس لا ساكن فيه، فيه ماء من عيون عذبة، أنظر: المصدر نفسه،ص 86.

ثم إلى " هاز"[1]، إلى " جرتيل"[2]، إلى " ابن ماما"[3] ، ثم إلى آغبر، ثم " تاهرت"[4].

ومن القيروان إلى المسيلة، يبدأ من القيروان إلى جلولا[5] عبر بعض القرى إلى الأربس[6]، إلى تامديت[7]، ومنها إلى أركوا[8]، ومنها إلى تامنست[9]، إلى أوسجيت، إلى المسيلة ثم إلى أشير.

ثم الطريق من فاس إلى المسيلة، فمن فاس مرورا بنهر سبيو[10]، ومنه إلى بعض القرى إلى كرانطة[11] إلى قلعة كرماطة[12]، ثم مرورا بجبل تازا إلى مزاورو[13]، مرورا بنهر وادي

1– هاز: قرية قديمة وهي بلد تغلب عليها الرمال، أنظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص 86.

2– جرتيل: قرية كبيرة كثيرة الزرع والمياه ويشربهم من عيون بها وسكانها من زناتة، أنظر: المصدر نفسه.

3– ابن ماما: مدينة صغيرة ذات منبر عليها سور من طوب ولها حرف وماء في واد عذب يزرع عليه، أنظر: المصدر نفسه.

4– تاهرت: كانت مدينتين كبيرتين إحداهما قديمة والأخرى حديثة، الأولى فيها سور وهي على قمة جبل قليل العلو وبها ناس وجل البرابر ولهم تجارات وبضائع وأسواق عامرة وبأرضها مزارع وضياع جمة... بها البقر والغنم... كثيرة العسل والسمن وبها مياه مندفعة وعلى هذه المياه بساتين وأشجار... إنها بقعة حسنة، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 356–357، وأنظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص 86.

5– جلولا: مدينة عليها سور وفيها عين ماء جارية وعليها بساتين كثيرة قد حفت بها ونخيل غزيرة، أنظر: المصدر نفسه.

6– الأربس: مدينة في وطاء الأرض عليها سور تراب جيد وفي وسطها أعين ماء جارية لا تجف وشرب أهلها منها... ولها معدن الحديد وبها مزارع الحنطة والشعير ويدخر منها الشيء الكثير، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 292.

7– تامديت:مدينة لها سور وشربهم من عيون بها وأكثر غلاتهم من القمح والشعير، أنظر: ابن حوقل: المصدر السابق،ص 87.

8– أراكوا: قرية لها أجنة وعيون ومياه جارية كثيرة وقمح وشعير وغلات صالحة وجميع مياههم عذبة، أنظر: المصدر نفسه.

9– تامنست: قرية وسوق لكتامة ومزاتة ولها أجنة وماء يجري وآبار معينة، أنظر: المصدر نفسه.

10– نهر سبيو: هو نهر عظيم يأتي على نواحي جبل القلعة لابن توالة ويمر حتى يحاذي فاس من جهة شرقها وعلى ستة أميال منها وهناك يقع نهر فاس، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 246.

11– كرانطة: مدينة على وادي ايناون ولها واد أخرى يأتيها من القبلة عليه من الفواكه والكروم والسقي لكثير الغزير، أنظر: ابن حوقل: المصدر السابق،ص 88.

12– كرماطة: سوق وحصن على ايناون وبها الزرع والضرع والسائمة الكثير العظيم، أنظر: المصدر نفسه.

13– مزاورو: هي مدينة لطيفة كثيرة القمح والشعير، أنظر: المصدر نفسه.

مسون الطريق إلى تابريدا مرورا بوادي ملوية[1]، ومنها إلى صاع ومنها إلى تنمسان[2]، إلى وادي الصفصاف، وهو الوادي النازل من أفكان وأفكان مدينة لها أرحية وحمامات وقصور وفواكه، ووادبها يشقها بنصفين ومنها إلى تاهرت بالعرض إلى الشرق ثلاث مراحل، وعلى وادي أفكان أعمال عريضة وأجنة ومزارع ومنها إلى معسكر[3]، ومنها إلى يلل[4] ثم شلف[5] ثم سوق إبراهيم[6] إلى تاجنة[7]، ومنها إلى تنس ومنها إلى الخضراء[8] ،ثم إلى مليانة[9] ، مرورا ببعض القرى لتصل إلى أشير[10]ثم بعض القرى والوديان إلى المسيلة.

والطريق من مدينة تلمسان إلى مدينة المسيلة ، من تلمسان إلى تاهرت أربع مراحل تعرج من تلمسان إلى تادرة، وهي قرية في حضيض جبل فيها عين ماء خرارة مرحلة، ومنها إلى قرية نداي مرحلة؛ وهي قرية صغيرة في فحص أفيح بها بئران ماؤهما معين ومنها إلى مدينة تاهرت مرحلتان[11].

---

[1]- وادي ملوية: يقع إلى وادي صاع فيجتمعان معا ويصبان في البحر ما بين جراوة ابن قيس ومليلة، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 247.

[2]- تنمسان: عند ابن حوقل ويقصد بها تلمسان.

[3]- معسكر: قرية عظيمة لها أنهار وثمار، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 251.

[4]- يلل: مدينة يلل بها عيون ومياه كثيرة وفواكه وزروع وبلادها جيدة للفلاحة وزروعها نامية، أنظر: المصدر نفسه.

[5]- شلف: مدينة ذات سور وحصن ونهر وشجر ومزارع، أنظر: ابن حوقل: المصدر السابق،ص 90.

[6]- سوق إبراهيم: مدينة صغيرة فيها حمام وسوق وهي على نهر شلف، أنظر: المصدر نفسه.

[7]- تاجنة: عند الإدريسي باحة، مدينة حسنة صغيرة لها إقليم بها شجر التين كثيرا جدا ، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 251، وابن حوقل مدينة صغيرة فيها سوق ولها فواكه وتين عظيم، أنظر: المصدر نفسه.

[8]- الخضراء: مدينة على نهر ولها فواكه وسوان وبها السفرجل، خصبة وفيها سوق وجامع وحمام، أنظر: المصدر نفسه.

[9]- مليانة: مدينة قديمة البناء حسنة البقعة كريمة المزارع ولها نهر يسقي أكثر حدائقها وجنانها وجانبي مزارعها...أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 253.

[10]- أشير: مدينة يسكنها آل زيري بن مناد ولها سور حصين وأسواق وعيون تطرد وأجنة ومزارع... ابن حوقل: المصدر السابق،ص 90.

[11]- الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 255.

ومن المسيلة[1] إلى وارقلان[2] اثنتا عشرة مرحلة كبار وهي مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان ومن وارقلان إلى قفصة[3] ثلاثة عشر مرحلة.

وطريق من سجلماسة إلى سماطة وقسطيلة ثم المرور ببعض القرى إلى مدينة قفصة[4].

2- المسالك البحرية:

لقد كان لازدهار التجارة الداخلية في أسواق بلاد المغرب في عصور مختلفة وامتلائها بالبضائع والمنتجات المحلية أثر في تنشيط حركة التجارة الخارجية إذ أصبحت أسواق المغرب مقصدا للقوافل والتجار من مختلف الأقطار[5].

كما أن اتساع الرقعة الجغرافية لبلاد المغرب، ساعدت على تنشيط حركة التجارة، خاصة وأن الدول التي قامت في هذه الفترة أولت اهتماما بالغا بالاستقرار والأمن وحفظ الطرقات وتأمينها، لما لها من أهمية في ازدهار الروابط التجارية بين الأقطار المختلفة خاصة القادمة من السودان وأوروبا والمشرق[6]، وقد لعبت المراسي دور كبير في ازدهار التجارة عن طريق التصدير والاستيراد[7] ،كما كان للأساطيل الإسلامية دور في تأمين الموانئ وحماية الطرق البحرية في البحر المتوسط مما سهل عملية التنقل بين بلاد المغرب والأندلس خاصة.

---

[1]- المسيلة: مدينة عتيقة بناها الرومان في تخوم صحراء نوميديا داخل الأراضي، على بعد نحو مائة وأربعين ميلا من بجاية، الأسوار المحيطة بها جميلة بخلاف الدور فإنها قبيحة...،أنظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 52.

[2]- ورقلة: مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا، لها سور من الآجر النيئ ودور جميلة وحولها نخل كثير...، أنظر: المصدر نفسه ، ص 136.

[3]- قفصة: مدينة ذات سور ونهر يجري... ولها أجنة وكروم ونخيل...أنظر: ابن حوقل: المصدر السابق،ص 94.

[4]- نفسه.

[5]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص 117.

[6]- نفسه: ص 117.

[7]- مبخوت بودواية وآخرون: المرجع السابق، ص 153.

من خصائص المنطقة أنها تطل على ساحلين ساحل المتوسط وساحل المحيط الأطلسي، هذا ما أدى إلى نشأة عدة موانئ سهلت عملية الاتصال الخارجي، وقد تمكنت هذه المراسي من تأدية دورها في الحركة التجارية في ظل حماية الأسطول المرابطي الذي أمّن الطرق من الاعتداءات[1].

ومن هذه الموانئ المطلّة على البحر المتوسط نجد: ميناء سبتة[2] الذي يقع في الطرف الشرقي المقابل لشبه جزيرة الأندلس الذي يعد أكثر نقاط المضيق قربا من العدوة الشمالية ولعب هذا الميناء دوره في الحركة التجارية، إذ كانت القوافل تصل إلى المدينة من جميع نواحي المغرب، خاصة من فاس وسجلماسة، وبذلك أصبح من أهم مراكز التجارة الدولية[3] نظرا لأنّ المدينة قامت بها عدة صناعات مختلفة كصناعة النحاس والسجاد غير أن أهم صناعاتها تجلب أساسا في معالجة المرجان وتحويله، ومنها يتجهز به إلى سائر البلاد واعتبرت سوقا رئيسية للتجار الذين كانوا يخرجون إلى الميناء منتجات المدينة الأساسية كالكتان والمصنوعات الجلدية، وأدوات الفخار، والحصير وعصير العنب المعروف آنذاك لدى العامة بالصامت[4].

ولقد كان تجار المدينة من أغنياء المغرب، حيث يقول ابن سعيد:" تقع بين بحرين وهي ركاب البرين، تشبه الإسكندرية في كثرة الحط والإقلاع، وفيها التجار الأغنياء الذين يبتاعون المركب بما فيه من بضائع الهند وغيرها في صفقة واحدة، ولا يحوجون صاحبها إلى نقاض"[5].

---

[1]- أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، نشر محمد بسيوني، ط1، مطبعة المصري، الإسكندرية، 1983، ص347.

[2]- سبتة: مدينة تقع على البحر المتوسط تقابل الجزيرة الخضراء بالعدوة الأندلسية وتحيط بالمدينة سبعة جبال صغيرة وهي مدينة قديمة بها آثار وقد أمر عبد الملك بن أبي عامر أن يبنى بهذا الجبل مدينة ينقل إليها أهل سبتة، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 303، للمزيد من التفاصيل، أنظر أيضا: ابن حوقل: صورة الأرض، ص 78، وانظر أيضا: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص 316.

[3]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 118.

[4]- نفسه: ص 119.

[5]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 119.

ومنها إلى " طنجة مدينة أزلية، آثارها بينة وأبنيتها بالحجارة قائمة على وجه البحر، سكنها أهلها قديما سنينا في صدر الإسلام ،ثم استحدثوا لهم مدينة عن مسيرة ميل منها على ظهر جبل والذي اوجب استحداثها... وقد كثر أموال أهلها من الزرع والحنطة والشعير والحبوب وماؤها مجلوب إليها من مكان بعيد لا يعلم أصله ولا يعرف من أين مجيئه..."[1].

كما يقول عنها الحميري:" مدينة بالمغرب على ساحل البحر، بينها وبين سبتة ثلاثون ميلا وتعرف طنجة بالبربرية باسم أوليل وهي على شاطئ البحر المتوسط ومنها كان الجسر الذي يربط بين ساحل طنجة وساحل الأندلس الذي تمر عليه القوافل وقبل الفتح الإسلامي طفا الماء من المحيط إلى البحر المتوسط فأغرق هذا الجسر، وكان طوله اثني عشرة ميلا وبطنجة نهر كبير تدخله السفن في البحر."[2]

كما تبرز أيضا مدينة مليلة[3] في المغرب ذات الشأن الكبير، وقد تحدث عنها الجغرافيين كثيرا نظرا لأهميتها ويصفها البكري نقلا عن" عبد الأحد السبتي وحليمة فرحان":" هي مدينة مسورة بسور حجارة وداخلها قصبة مانعة وفيها مسجد جامع وحمام وأسواق ويذكر بني البوري بن أبي العافية المكناسي حدودها، ويسكنها بنو ورتدي وهم يقترعون على من يدخل عندهم من التجار، فمن أصابته قرعة الرجل منهم كان تجرة على يده، و لم يضع شيئا إلا تحت نظره وإشرافه، فيحميه عمن يريد ظلمه، ويأخذ منه الأجر على ذلك ويأخذ منه الهدية لترو له عنده[4] . ومرسى فضالة الذي تصله السفن لتحمل منتجاته الزراعية، كما نجد أيضا مرسى آنفا وهو مرسى مقصود تأتي إليه المراكب فتحمل منه الحنطة

---

[1]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص79، وأنظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص 313.

[2]- الحميري: المصدر السابق،ص ص 395-396.

[3]- مليلة: ميناء على شاطئ البحر المتوسط في منتصف الطريق بين وهران وسبتة، شيد في رأس داخل البحر بمسافة 40 كلم يرجع تاريخها إلى العصور القديمة إذ عرفها الفينيقيون والقرطاجيون والرومان والقوط، ثم استقر بها "بنو يفرن" وجددها موسى بن أبي العافية، أنظر: المصدر نفسه، ص 5.

[4]- عبد الأحد السبتي، حليمة فرحات:المدينة في العصر الوسيط، ط1، المركز الثقافي العربي، 1994،ص ص 102-103.

والشعير، ومنه إلى مرسى مازغين خمسة وستون ميلا، ومنه إلى البيضاء ومنها إلى مرسى الغيط ومنه إلى مرسى آسفي الذي به عمارات وبشر كثير من البرابر المسلمين رجراجة وزودة وأخلاط من البرابر، والمراكب تحمل منه أو ساقها في وقت السفر وسكون حركة البحر المظلم[1].

ولقد ساهمت مراسي "فضالة"[2] و" آنفا" إسهاما واضحا في تصدير منتجات المغرب الأقصى إلى الأندلس من حنطة وشعير والحبوب الأخرى، والمنتجات الحيوانية من غنم وبقر وماعز، والملاحظ أن مرسى آسفي لم يستغل كثيرا نظرا لشدة هبوب الرياح في المحيط، ولا يقصده التجار إلى في وقت سكون الرياح[3].

ولقد اشتهرت هذه المرافئ بازدهار وكثرة أسواقها، حيث انتعشت الحركة التجارية في ميناء طنجة لموقعه الجيد على شاطئ المحيط الأطلسي، ومدخل مضيق جبل طارق فمنه كانت تصدر الفواكه والقمح وسائر الحبوب[4]، ولعب الميناء دور كبير في تصريف منتجات مدينة فاس والمناطق الداخلية بها.

كما أنّ ميناء "سلا" كانت له أهمية بالغة في استقبال السفن المحملة بالبضائع التي تصله من المدن الأندلسية، يقول الإدريسي: " ومراكب أهل اشبيلية وسائر المدن الساحلية من الأندلس يقلعون ويحطون بها بضروب من البضائع، وأهل اشبيلية يقصدونها بالزيت الكثير وهو يضاعفهم ويتجهزون منها بالطعام إلى سائر بلاد الأندلس الساحلية"[5].

---

[1]- الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 240.

[2]- فضالة: يقع هذا المرسى على المحيط الأطلسي ويبعد عن واد أم الربيع بثلاث مراحل ويقع إلى الجنوب من مدينة سلا على بعد اثني عشر ميلا، أنظر: عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص 126.

[3]- نفسه:ص 119.

[4]- نفسه:ص 121.

[5]- الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق،ص 73.

كما نجد موانئ مهمة أخرى منها: مينائي هنين[1] وأرشقول[2] فقد كانا من أهم المرافئ لتصدير منتجات تلمسان[3] والمناطق المحيطة بها، كما برز ميناء هام آخر هو ميناء "وهران"[4]، وأصبح يكتسي أهمية بالغة لوجود المسالك التي تربط بينه وبين المدن المجاورة، فهناك مسلك ساحلي يأتي شرقا من تنس ومستغانم[5]،ومسلك آخر يربطها بتلمسان. فكانت تسوق تجارة سجلماسة عن طريق الميناء إلى الأندلس وأوروبا الغربية بالإضافة إلى تجارة المشرق والمنتجات المحلية، وقد تحدث الجغرافيون والرحالة عن وهران مشيرين إلى ازدهارها وإلى أهمية مبادلاتها التجارية خاصة مع الأندلس[6]، ومن المراسي التي لعبت أدوارا هامة أيضا مرسى تنس[7]، خصوصا في مجال تصدير المنتجات الزراعية، ويقول عنها ابن حوقل: " تنس

---

[1]– هنين: يقع هذا الميناء في شمال مدينة تلمسان ويبعد عن مدينة ندرومة بثلاثة عشرة ميلا وقد كان في السابق عبارة عن حصن به مرسى مقصود لكثرة ثماره وبساتينه، ثم تطور هذا الميناء إلى مدينة صغيرة عامرة، أنظر: البكري: المصدر السابق،ص 80، وأنظر أيضا: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 15.

[2]– أرشقول: يعرف بعدة تسميات منها أرشقون أو أرجكون أو أرشقون وهذا الميناء عبارة عن حصن عامر له مرسى والشيء الذي كان يسهل حركة العمل في الميناء نفسه أن السفن كانت تسير في الوادي لتدخل بها إلى الحصن نفسه، أنظر: البكري: المصدر نفسه،ص 77 ، للمزيد من التفاصيل أنظر: ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، المصدر السابق، ص 140، وأنظر أيضا: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 16.

[3]– تلمسان: قفل بلاد المغرب وهي على رصيف للداخل والخارج لا بد منها والاجتياز بها على كل حال، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 250.

[4]– وهران: بها أسواق مقدرة وصنائع كثيرة وتجارات نافعة وهي تقابل مدينة ألمرية من ساحل بحر الأندلس... ولها على بابها مرسى صغير لا يستر شيئا ولها على ميلين منها المرسى الكبير وبه ترسى المراكب الكبار والسفن السفرية، وهذا المرسى يستر من الريح وليس له مثال في مراسي حائط البحر من بلاد المغرب...، بها بساتين وجنات وبها فواكه...والعسل بها موجود، وكذلك السمن والزبد والبقر والغنم...ومراكب الأندلس إليها مختلفة...أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 252.

[5]– مستغانم: مدينة على البحر مع الجون، وهي مدينة صغيرة لها أسواق وحمامات وجنات وبساتين ومياه كثيرة وسور على جبل إلى ناصية الغرب، أنظر: المصدر نفسه،ص 271.

[6]– عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق،ص 97.

[7]– تنس: على مقربة من بحر الملح وعلى ميلين منه وبعضها على جبل وقد أحاط بها السور... وهي مدينة قديمة أزلية عليها سور حصين وحظيرة مانعة دائرة بها ...وفيها فواكه... ولها أقاليم وأعمال ومزارع وبها الحنطة وسائر الحبوب موجودة وتخرج منها إلى كل الآفاق في المراكب وبها من الفواكه كل طريقة ومن السفرجل الطيب المعنق ما يفوت الوصف في كبره وحسنه، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص ص 251-252.

مدينة عليها سور ولها أبواب عدة وبعضها على جبل قد أحاط به السور وبعضها في سهل وهي من البحر على نحو ميلين على واد كثير الماء وشربهم منه، وهي مدينة فوق الصغيرة وليس على البحر فيما قاربها على شكلها بنواحيها في الكبر، وبها فواكه حسنة وهي من الخصب في جميع الوجوه الرفهة... وهي من المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها إلى ما سواها... وبها من الفواكه والسفرجل المعنق ما لا أزال أحكيه لحسنه ونعمته وحلاوته وطيب رائحته"[1].

ولقد كان لميناء "تنس" دور في تنشيط التجارة الخارجية حيث كان له مرسى للسفن التي تحمل منتجات المدينة من الزراعة مثل القمح والشعير، ومما ساعده على الازدهار وجود جزيرة صغيرة تقابله احتمت بها السفن أثناء هبوب الرياح العاصفة ويتعذر عليها البقاء في الميناء[2].

بالإضافة إلى جزائر بني مزغنا وهي مدينة على ضفة البحر وشرب أهلها من عيون على البحر عذبة ومن آبار وهي عامرة آهلة وتجاراتها مربحة وأسواقها قائمة وصناعاتها نافقة ولها بادية كبيرة وجبال...وزراعاتهم الحنطة والشعير وأكثر أموالهم المـــواشي من البقر والغنم..."[3]، ومدينة شرشال[4] قديمة أزلية، فيها مرسى وبها آثار قديمة وأصنام من حجارة[5].

---

1 – ابن حوقل : المصدر السابق،ص 77.

2 – تنس: مدينة بالمغرب الأوسط بالقرب من مليانة تبعد عن البحر بميلين... أنظر: البكري: المصدر السابق،ص 61.

3 – عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص 120. وأنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 258.

4 – شرشال: مدينة صغيرة القدر لكنها متحضرة وبها مياه جارية وآبار معينة عذبة ولها فواكه حسنة كثيرة وسفرجل كبير الجرم ذو أعناق كأعناق الفرخ الصغار... وبها كروم وبعض شجر التين... عندهم العسل الكثير ولهم زراعة الحنطة والشعير ما يزيد على الحاجة، أنظر: المصدر نفسه ، ص 258. .

5 – ابن حوقل: المصدر السابق،ص 77.

ومرسى الدّجاج مدينة كبيرة القطر لها حصن دائر بها وبشرها قليل... ولها مرسى مأمون، ولها أرض ممتدة وزراعات متصلة وإصابة أهلها في زروعهم واسعة، وحنطتهم مباركة وسائر الفواكه واللحوم بها كثيرة وتباع بالثمن اليسير، والتين خاصة يحمل منها شرائح طوبا ومنثورا إلى سائر الأقطار وباقي المدائن والأمصار وهي بذلك مشهورة[1].

ومدينة بجاية على البحر لكنها على جرف حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمى مسيون، وهو جبل سامي العلو صعب المرتقى وفي أكتافه حمل من النبات المنتفع به في صناعة الطب...،وهي تقع بالمغرب الأوسط، عين بلاد بني حماد والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة والبضائع بها نافقة وأهلها مياسير تجار... يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق...[2]

ومدينة تدلس هي على شرف متحصنة، لها سور حصين وديار ومنتزهات وبها من رخص الفواكه والأسعار والمطاعم والمشارب، ما ليس يوجد بغيرها مثله وبها الغنم والبقر موجودة... ويخرج من أرضها إلى كثير من الآفاق.[3]

كما نجد طبرقة[4] وهي قرية صغيرة تمثل عدوة الأندلسيين إليها ينتهون ومنها إلى الأندلس يركبون، وهي صغيرة المقدار واشتهرت بكثرة ورود المراكب بالأندلسيين والتجار ونزولهم فيها، وعلى الساحل نجد أيضا مرسى الخرز[5] الذي به معدن المرجان، وهو قرية صغيرة نبيلة المكانة... وللتجار بها أموال كثيرة...،ويعمل بها في أكثر الأوقات في إثارة

---

[1]- الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 259.

[2]- نفسه، وأنظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 50.

[3]- نفسه.

[4]- طبرقة: حصن على البحر قليل العمارة وبها مرسى للمراكب ومراكب الأندلس تصفى إليها، أنظر: المصدر نفسه، ص 289.

[5]- مرسى الخرز: مدينة صغيرة عليها سور حصين ولها قصبة وحولها عرب كثير وعمارة أهلها لها على صيد المرجان والمرجان يوجد بها كثيرا وهو أجمل جميع المرجان الموجود بسائر الأقطار، أنظر: المصدر نفسه،ص 290.

المرجان خمسون قاربا[1]...، ومرسى الخرز بالفتح ثم السكون والسين والياء مهملة، وأصله مفعل من رست السفينة إذا ثبتت، والموضع مرسى والخرز بفتح الخاء المعجمية والراء ثم الزاي، واحدة حرزة موضع معمور على ساحل إفريقية بينه وبين بونة ثلاثة أيام ومدينة الخرز مدينة ومرسى يحيط بها البحر فيما عدا مسلك واحد ربما قطعه البحر في الشتاء، تبنى فيها السفن والمراكب الحربية التي تغزى بها بلاد الروم، فمرسى الخرز كانت في عهد بني حماد منطقة صناعية مختصة في صناعة المراكب الحربية والسفن والزوارق[2]، وعرف هذا المرسى بصيد المرجان[3]، وهي تجارة واسعة تمارس من قبل سماسرة. ويعمل في استخراج هذا المعدن في أكثر الأوقات خمسون قاربا أو أكثر، يعمل في كل منها ما يقارب العشرين رجلا والمرجان ينبت كالشجر في الماء ثم ستحجر في نفس الماء بين جبلين عظيمين، والعاملون فيها يكثرون الأكل والشرب ولهم فيها مكاسب وافرة وينتبذون نبيذ العسل فيشربونه من يومه...وهي من ناحية قليلة الزرع يجلب إليها ما بقوته مما يجاورها من فاكهة وغيرها. وفيها صيادوا السمك ما لم أرى مثله سمنا وربما منع جانبه من أكل ما يعاد زها ولاسيما وقت الغلات[4].

ومرسى بني وجاص ومرسى الوادي، وبرقة[5] مدينة متوسطة المقدار... وهي أول منبر يتزله القادم من بلاد مصر إلى القيروان... وهي برية بحرية... كان بها ديار لدبغ الجلود

---

[1]- ابن حوقل: المصدر السابق،ص ص 74-75.

[2]- ميخوت بودواية وآخرون: المرجع السابق، ص 157.

[3]- المرجان: هو شجر ينمو في البحر مستحجر يخرج منه أبيض اللون لينا، فإذا ضربه الهواء أصبح أحمرا وصلبا، أنظر: المرجع نفسه، ص 157.

[4]- ابن حوقل : المصدر السابق،ص 75.

[5]- برقة: مدينة وسطة ليست بالكبيرة الفخمة ولا بالصغيرة... بحرية جبلية... بها من التجار وكثرة الغرباء في كل وقت... لما فيها من التجارة تنفرد بتجارة القطران الذي ليس في كثير من النواحي والجلود المجلوبة للدباغ بمصر والتمور الواصلة إليها من جزيرة أوجلة ولها أسواق حادة وحارة من تنوع الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من المشرق والواردة من المغرب...، أنظر: ابن حوقل:المصدر السابق،ص 68.

البقرية ومنها يتجهز المراكب والمسافرين إليها من الإسكندرية... وتخرج منها التربة المنسوبة إليها فينتفع الناس بها ويتعالجون بها...[1].

وإلى جانب الموانئ السابقة كانت هناك موانئ أخرى ساهمت في تسويق المنتجات والبضائع القادمة من أقصى الجنوب، فكان مثلا ميناء تابجريت[2] مرسى للسفن والقوافل القادمة من سجلماسة وميناء سلا[3]، الذي يستقبل العديد من السفن خصوصا الأندلسية منها يقول الإدريسي نقلا عن عيسى بن الذيب:" ومراكب أهل اشبيلية وسائر المدن الساحلية من الأندلس يقلعون عنها، ويحطون بها بضروب من البضائع وأهل اشبيلية يقصدونها بالزيت الكثير وهو بضاعتهم ويتجهزون منها بالطعام إلى سائر بلاد الأندلس الساحلية."[4].

وبسبب توفر الأنهار في بلاد المغرب، فقد انتشرت الطرق النهرية، إذ نجد أنه بالمغرب الأقصى استخدمت طرق نهرية إلى جانب البرية حيث يذكر لنا الحميري أن لطنجة نهر كبير تدخله السفن ويصب في البحر[5]. كما أن مدينة سلا لا ترسي بها المراكب لأن مرساها مكشوف وإنما ترسى في الوادي وتعبر على فمه بوجود دليل لأن فم الوادي فيه أحجار تتسبب في كسر المراكب كما كانت به منعطفات لا يدخلها إلى من لا يعرفها وهذا الوادي يدخله المد في اليوم مرتين ويكون دخول المراكب في الوادي مع المد وتخرج منه وقت الجزر[6].

---

[1] – الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص ص 300،310،311.

[2] – تابجريت: مدينة على ساحل البحر تبعد عن مدينة وجدة بحوالي أربعين ميلا وهذه المدينة قد جرد بناياتها " الحاج بن مرامر" بعد سنة أربعمائة وعشرين هجرية، ويعد مرسى هذه المدينة من المراسي النشيطة إذ تعد هذه المدينة ساحل لمدينة وجدة، أنظر: الحميري: المصدر السابق،ص 127.

[3] – سلا: مدينة على ساحل البحر... بها نبات الشوك المسمى السدرة المثمرة بالنبق، وفيه السلاحف البرية والتي تفوق السلاحف البحرية كبرا وعظما...، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 236، أنظر أيضا: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص 207.

[4] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص 121.

[5] – الحميري: الروض المعطار، المصدر السابق،ص 396.

[6] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص 75.

كما وجد نهر آخر يسمى" سفدد"[1]، واستخدم في النقل، إذ كانوا يسيرون فيه بمراكبهم إلى البحر، ومنه يتوجهون إلى أي جهة يريدون[2]. ويذكر لنا البكري أنهارا أخرى مثل " وادي مجسكة"[3] الذي تسير فيه السفن متوسطة الحجم القادمة من البحر والمتجهة إلى تطاوان[4]، وتقدر المسافة التي تقطع فيه بحوالي عشرة أميال بالإضافة إلى استخدام أنهار أخرى مثل نهري" لاو"[5] و" الخليج"[6] ونهر" لــو"[7] الذي تدخله المراكب وتسير فيه إلى مدينة باديس[8].

كما نجد مدينة قابس[9] وبها مرسى لكنه غير مستخدم، وإنما ترسي القوارب بواديها وهو نهر صغير يدخله المد والجزر، وترسى به المراكب الصغار وهو ليس بكثير السعة،

---

[1]- سفدد: نهر كبير تجتمع مياهه من بلد صنهاجة وبلد كتامة وتلتقي هذه المياه لتكون نهر "سفدد" ولم يقتصر استخدام النهر في النقل فقط بل استخدمت مياهه للشرب أيضا، أنظر: المرجع نفسه،ص 75.

[2]- نفسه.

[3]- وادي مجسكة: هو الوادي الذي يصل بين مدينة تطاوان والبحر يبلغ طوله من تطاوان إلى البحر عشرة أميال، أنظر: البكري: المصدر السابق،ص 107.

[4]- تطاوان: مدينة بالقرب من مليلة يسميها الحميري " تيطاون" وهذه التسمية لا زالت حتى الآن وتبعد عن البحر عشرة أميال وهي تقع بسفح جبل يعرف باسم ابشقار... أنظر: المصدر نفسه،ص 145.

[5]- لاو: يقع هذا النهر في أرض بني حميد من غمارة بالقرب من مدينة سبتة: أنظر:المصدر نفسه، ص 108.

[6]- الخليج: يقع هذا النهر إلى الشرق من مدينة طنجة، أنظر: المصدر نفسه.

[7]- لو: يقع هذا النهر بين مدينتين، مدينة سبتة ومدينة باديس، ويستمد مياهه من جبل غمارة الذي يبعد بعشرة أميال، أنظر: ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا، المصدر السابق، ص 139.

[8]- باديس: تبعد هذه المدينة عن مدينة سبتة بمائة ميل وهي مدينة متحضرة بها أسواق قليلة الصناعات ومن هذه المدينة وأسواقها تتزود غمارة بكل ما تحتاجه أنظر : المصدر نفسه، ص ص 139-140.

[9]- قابس: مدينة على ستة مراحل إلى جهة القيروان وجادة الطريق ذات مياه جارية وأشجار متهدلة وفواكه رخيصة... وعليها سور يحيط به خندق ولها أسواق في ربطها وجهاز من الصوف كثير ويعمل بها الحرير الكثير الغزير وبها جلود تدبغ بالقرظ... وهي خصبة في أكثر أوقاتها...، أنظر: ابن حوقل: المصدر السابق،ص 70.

بالإضافة إلى وادي مدينة تونس[1] والمسمى بفم الوادي، حيث تصل إليه المراكب الحمالة والنواشي والحرامي وترسى هناك[2].

بالإضافة إلى مراسي أخرى منها:

– **مرسى أسلن:** مدينة حصينة لها سور عظيم وفيها حياة وبساتين كثيرة ولها مرسى ماصون وآمن، وأهم مورد فيها هي الماشية.

– **مرسى الماء المدفون:** يبعد عن مرسى أسلن ب 13 ميلا، به عيون وبه منازل ويقابله من بر الأندلس مراسي الراهب[3] ونجد مراسي ذكرها البكري كمرسى الذبان ومرسى جنابية وهذا المرسى يقع عند جزيرة فيها آثار قديمة ويقابل هذا المرسى على الساحل الأندلسي، مرسى دانية[4]

– **مرسى جيجل:** وبالمدينة مرسيين مرسى وعر ويصعب على السفن والدخول ما لم تستعن بدليل حاذق والمرسى الثاني وهو مرسى الشمال فهو ساكن الحركة وصغير[5].

– **مرسى القل[6]:** ويبعد عن مرسى جيجل بحوالي 70 ميلا وكانت مدينة القل مدينة صغيرة[7].

---

[1]– تونس: مدينة قديمة أزلية ذات مياه جارية قليلة والانتفاع بها كثير... وهي خصبة في ذاتها متسع بغلاتها... وكان اسمها في قديم الومان ترشيش فلما أحدث فيها المسلمون البنيان واستحدثوا البساتين والحيطان سميت تونس، أنظر: ابن حوقل : المصدر السابق،ص 73، وأنظر أيضا: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 285.

[2]– نفسه.

[3]– مبخوت بودواية وآخرون: المرجع السابق،ص 156.

[4]– البكري: المصدر السابق،ص 81.

[5]– مبخوت بودواية وآخرون: المرجع السابق،ص 156.

[6]– القل: قرية عامرة وكانت في سالف ىالدهر مدينة صغيرة عامرة والآن هي مرسى وعليها عمارات والجبال تكشفه من جهة البر، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 269.

[7]– نفسه:ص 269.

– **مرسى بونة**[1]: مرسى ومدينة تقع في نشزا الأرض، مدينة مقتدرة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة ومقدارها في رفعتها كالأربس وهي على نحر البحر ولها أسواق حسنة وتجارة مقصودة[2].

– بالإضافة إلى **مرسى سفاقس**[3] **ومرسى مدينة المهدية**[4]: التي لم تزل ذات إقلاع وحط للسفن الحجازية القاصدة إليها من بلاد المشرق، المغرب، الأندلس، بلاد الروم وغيرها من البلاد وإليها تجلب البضائع الكثيرة...[5]

– **ومرسى طرابلس**: وهي مدينة بيضاء من الحجر الأبيض على ساحل البحر خصبة حصينة كبيرة ذات ربض صالحة الأسواق...وبها من الفواكه الطيبة اللذيذة الجيدة القليلة الشبه بالمغرب وغيره كالخوخ الفرسك... وبها الجهاز الكثير من الصوف المرتفع وطبقات الأكسية الفاخرة الرزق والكحل... إلى مراكب ترد إليها ليلا ونهارا وترد بالتجارة على مر الأوقات والساعات صباحا ومساءا من بلد الروم وأرض المغرب بضروب الأمتعة والمطاعم...[6].

وهناك بعض الطرق التي يمكن أن نذكرها منها:

---

[1]– بونة: فيها أرباح متوسطة وفيها خصب ورخص موصوف وفواكه وبساتين قريبة، وأكثر فواكهها من باديتها... وبها معادن حديد كثيرة، ويحمل منه إلى الأقطار الغزير الكثير...،أنظر: ابن حوقل: المصدر السابق،ص ص، 75–76، وأنظر أيضا: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 61.

[2]– ابن حوقل:المصدر السابق،ص 75.

[3]– سفاقس: مدينة قديمة عامرة لها أسواق كثيرة وعمارة شاملة، وعليها سور من حجارة وأبواب عليها صفائح من حديد منيعة وعلى أسوارها محارس نفيسة للرباط وأسواقها متحركة وشرب أهلها من المواجل، ويجلب إليها الفواكه من مدينة قابس ويصطاد بها السمك ما يعظم خطره ويكثر قدره...، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص280، وأنظر أيضا: ابن حوقل: المصدر السابق،ص 70، وأنظر كذلك: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 87.

[4]– المهدية: مدينة صغيرة استحدثها المهدي القائم بأمر المغرب وهي على نحر البحر... كثيرة القصور نظيفة المنازل والدور حسنة الحمامات والخانات خصبة رفيعة الفواكه والغلاّت طيبة الداخل نزهة الخارج بهية المنظر، أنظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص 71، وأنظر أيضا: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 85.

[5]– الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 281.

[6]– ابن حوقل: المصدر السابق، ص ص 68–69.

الطريق من تلمسان إلى وهران الساحلية وهما مرحلتان كبيرتان، حيث تخرج من تلمسان إلى وادي وارو ثم قرية تانيت ومنها إلى مدينة وهران[1].

ومن مدينة وهران إلى مدينة تنس ثم إلى برشك[2]، على الساحل ستة وستون ميلا ومنها مدينة تنس إلى مدينة مليانة ثم تاهرت وبينهما ثلاث مراحل.

ومن برشك إلى شرشال عشرون ميلا ويصل بينهما جبل منيع ثم مدينة الجزائر وهي على ضفة البحر، ثم تامدفوس[3] شرقا ثمانية عشرة ميلا ثم إلى مرسى الدجاج ومنها إلى تدلس أربعة وعشرون ميلا ثم منها إلى مدينة بجاية[4].

كما نجد أيضا الطريق من مراكش إلى مدينة سلا على ساحل البحر، تسع مراحل تمر بالعديد من القرى لتصل إلى قرية أم الربيع إلى قرية أيغسيل، ثم قرية أنقال ثم قرية مكول، ثم قرية أكسيس ثم مدينة سلا ،ثم إلى مرسى فضالة ، إلى مرسى آنفا، ثم مرسى مازيغن، ثم مرسى الغيظ، إلى آسفي، ومنها إلى مرسى ماست، إلى تاروندت السوس، ومن مدينة سلا إلى فاس أربع مراحل ثم إلى سجلماسة[5].

3- الحركة التجارية بين المدن المغاربية:

استمر الازدهار الاقتصادي نظرا لوفرة الإنتاج الزراعي والصناعي وتنوعه، ومن حيث النشاط التجاري والتأثير الحضاري، الذي لازمه نظرا لاحتفاظ المغرب بمكانته الوسيطة بين أوروبا من جهة وبلاد السودان من جهة أخرى، وهما المنطقتان التي تتوفر على المواد

---

[1]- الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 252.

[2]- برشك: مدينة صغيرة على تل وعليها سور تراب وهي على ضفة البحر وشرب أهلها من عيون وماؤها عذب، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 257.

[3]- تامدفوس: مرسى حسن عليه مدينة صغيرة، أنظر: المصدر نفسه،ص 258.

[4]- نفسه: ص 259.

[5]- نفسه:ص ص 240- 242.

الأولية في شكلها الخام قبل تحويلها في المراكز المغربية إلى سلع استهلاكية، يعاد تصديرها إلى الخارج عبر الموانئ.

ونشطت الحركة التجارية بين المدن المغربية، من مرور القوافل بالمدن الرئيسية لتصل إلى أوروبا أو بلاد السودان الغربي عبر المراسي الخاصة، وتوفير طرق ومسالك المواصلات بين مختلف مناطقه المتباعدة،وانتشار الأسواق أيضا[1].

ولقد ارتبطت المدن الداخلية مثل "مراكش" و"فاس" و"تلمسان" بالمدن الساحلية مما أدى إلى توزيع منتجاتها خاصة وأنّ تلمسان تحكمت في تجارة المغرب الأقصى لأننا نجد الطريق الوحيد الذي يربط بين المغرب الأقصى والأوسط يمتد عبر ممر تازا[2].

ونشطت حركة الأسواق التجارية خاصة على عهد المرابطين، حيث عرفت حركة تجارية ونشاطا في البيع والشراء، نظرا للاستقرار السياسي الذي شهدته البلاد إذ أصبحت السلطة في يد أمراء المرابطين، وحرصهم على استتباب الأمن وإشاعة الهدوء، وهذا ما سهل الاتصال التجاري بين المدن المختلفة[3]، ولقد عرف المغرب ثلاثة أنواع من الأسواق:

النوع الأول: الأسواق التي تصاحب الجيوش العسكرية في غزواتها وفي هذه الحالة يقيم التجار أسواقهم قرب القواعد العسكرية[4] .

النوع الثاني: فهي الأسواق الأسبوعية وهي منتشرة في أنحاء مختلفة من المغرب، ويبدو أن البعض منها كان يجمع عددا كبيرا للتجار المتجولين، فلقد ذكر أنه يذبح في يوم

---

[1]– فاطمة بلهواري: التبادل التجاري بين مدن بلاد المغرب خلال القرن 4ه/10م ، العدد 42، السنة12، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، 2008، ص 77.

[2]– عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص ص 71- 72

[3]– نفسه: ص 72.

[4]– البيذق: كتاب أخبار المهدي بن تومرت، تقديم وتعليق: عبد الحميد حاجيات، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986،ص 78.

السوق أكثر من مائة ثور وألف شاة في سوق "أغمات وريكة" وينفذ ذلك في اليوم نفسه[1]. وكثيرا ما نجد في المصادر الجغرافية معلومات عن هذه الأسواق مثل: سوق الأحد، حيث كان يعقد سوق آغمات، وسوق الثلاثاء وسوق الخميس، وسوق الجمعة[2].

النوع الثالث: فهي أسواق المدن وتنظيمها لا يختلف عن تنظيم أسواق المدن الإسلامية عامة بحيث يختص كل جانب من السوق بنوع معين من السلع.

وانفردت كل صناعة بناحية معينة من السوق، كسوق الثياب وسوق الفاكهة وغيرها من الأسواق التي تضم عدة متاجر تتاجر في سلعة واحدة[3].

ولقد برزت المدن المغربية كمراكز تجارية هامة، لوقوعها في ممر القوافل التجارية فنجد مثلا مدينة مراكش[4]، بصفتها حاضرة الدولة المرابطية، حيث أصبحت مركزا من مراكز التجارة الداخلية والخارجية[5].

وتنوعت أسواقها التي كانت تغمرها الحاصلات الزراعية المختلفة لكونها قد جعلت من "نفيس جنائها وبلاد دكالة فدائها"[6] إضافة إلى موقعها على طريق القوافل التجارية الواصل بين مدن الشمال ومدن الجنوب[7]، فنشطت أسواقها وتطورت المدينة، حيث نجد أسواق تبيع الخضر والفواكه والحبوب، وأسواق أخرى مختصة ببيع منتجات الألبان والأخرى

---

[1]– البكري: المصدر السابق،ص 153.

[2]– فاطمة بلهواري: المقال السابق، ص 74.

[3]– عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص 83.

[4]– مراكش: من أكبر مدن المغرب الأقصى، لأنها كانت دار إمارة لمتونة ومدار ملكهم، وسلك جميعهم، وكان بها أعداد قصور لكثير من الأمراء والقادة وخدام الدولة، وأزقتها واسعة ورحابها فسيحة ومبانيها سامية وأسواقها مختلفة وسلعها نافعة، أنظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 234، للمزيد، أنظر: المراكشي: المصدر السابق،ص 507، وأنظر أيضا: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص 126.

[5]– عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص 84.

[6]– مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق،ص ص: 15-16.

[7]– ابن عذارى: البيان المغرب،ج4،ص 123.

في بيع الماشية مثل الأبقار والأغنام والإبل والمنتجات الحيوانية[1]، كما هناك سوق للمنتجات الصناعية، التي اشتهرت بها مراكش مثل سوق صناعة الصابون والمنسوجات والنحاس، كما وجدت أسواق لبيع الأطعمة المطهية والحلوى ويسمى هذا السوق بسوق **الدخان** بالإضافة إلى دباغة الجلود وتصنيعها[2].

ولقد اعتمدت المدينة على القرى والمدن لسدّ حاجاتها من المواد الغذائية والمواد الأولية اللازمة للصناعة[3]، فكانت بعض المعادن مثل الحديد والفضة والذهب والنحاس ترد عليها من مدينة فاس ومدينة إيجلي[4] التي كانت قاعدة بلاد السوس.

كما تعتبر مدينة فاس، مركزا تجاريا هاما نظرا لموقعها الممتاز في قلب البلاد، مع توفر المحاصيل الزراعية والصناعية المختلفة التي كانت تسد حاجيات سكان المدينة[5].

ويقول المراكشي في خصوصها:" ولا أعلم بالمغرب مدينة لا تحتاج إلى شيء يجلب إليها من غيرها- إلا ما كان من العطر الهندي- سوى مدينة فاس هذه فإنها لا تحتاج إلى مدينة في شيء مما تدعو إليه الضرورة بل هي توسع البلاد مرافق وتملؤها خيرا."[6]

وعرفت المدينة بكثرة وفود التجار إليها وكثرة السلع القادمة من المدن الأخرى، وبذلك أصبحت المدينة تعج بالتجار الذين اتخذوا في أسواقها متاجر يصرفون فيها بضاعتهم وسلعهم[7].

---

[1]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص 84.

[2]- نفسه.

[3]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق،ص 361.

[4]- إيجلي: هي قاعدة بلاد السوس وهي مدينة كبيرة تقع على نهر كبيرة كثيرة البساتين والفواكه، وتشتهر خاصة بقصب السكر والنحاس الذي يتجهز به إلى مختلف الأنحاء، أنظر: الحميري: المصدر السابق،ص 71.

[5]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص 86.

[6]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق،ص ص 385-389.

[7]- عيسى بن الذيب: المصدر السابق،ص 87.

كما أسهمت مدينة تلمسان بنصيب وافر في التجارة الداخلية والخارجية، لأنها تقع على أهم طرق التجارة إذ تعد **"قفل بلاد المغرب وهي على رصيف للداخل والخارج منه"**[1] وساعد هذا على ازدهار أسواقها خاصة وأنها تميزت بصناعة الثياب عن غيرها من المدن المغربية وهي **"الثياب الصوفية الرفيعة"**، وشهرتها بالصناعة الحرفية مثل ألجم الخيل وسروجها وكل ما يحتاج إليه الفارس[2]، وساهمت في نشاط الحركة التجارية بما قدمته من إنتاج حيواني وصناعي، ونظرا لتوفر السلع في أسواقها ونشاط حركة البيع والشراء فيها زاد ثراء سكانها، إذ أنها تأتي في الترتيب الثالث بعد "أغمات" و"فاس" من حيث الثروة التي يمتلكها أهلها[3].

وبرزت مدينة" سلا" بأسواقها الكثيرة والنافقة لرخص الطعام بها، وقصدها الكثير من التجار، ونجد مدينة" أصيلة"[4] التي اشتهرت بسوقها الجامعة التي كانت تعقد ثلاث مرات في السنة وكان زمن انعقادها[5] في شهر رمضان وذي الحجة وفي عاشوراء، ونظرا لوقتها المعلوم فإن تجار المدن المغربية والأندلسية كانوا يتوافدون إليها بضروب من السلع وينصبون خيامهم فيها إلى انقضاء وقتها[6].

---

[1]– الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق،ص 79.

[2]– ابن سعيد: كتاب الجغرافيا،ص 140.

[3]– الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق،ص 80.

[4]– أصيلة: تقع إلى الغرب من مدينة طنجة ويقال لها أصيلة أو أزيلا وهي مدينة قديمة لها مرسى مقصود وكانت في البداية عبارة عن رباط ثم بدأت تقام بها الأسواق الجامعة ثلاث مرات في السنة مما سهل على نمو المدينة بسرعة لما كانت تتمتع به من سمعة طيبة في الأندلس وغيرها من الأمصار، أنظر: الحميري: المصدر السابق،ص 42، وأنظر أيضا: البكري: المصدر السابق،ص 112.

[5]– عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص 88.

[6]– البكري: المصدر السابق،ص 112.

واشتهرت مدينة سبتة بسوق المرجان، الذي لا يضاهيه أي صنف من أصناف المرجان الذي يستخرج من باقي الأماكن؛ وكانت سوق "سبتة" تختص بتفصيل وحك المرجان وصنعه خرزا، ومن هذه السوق يخرج به التجار إلى كافة أنحاء بلاد المغرب[1].

وكانت للأسواق في المدن المغربية أيام معلومة للسكان، من أجل التوجه إليها بسلعهم لشراء ما يلزمهم من الحاجيات، فبعض الأسواق كانت تقام يوم الجمعة من كل أسبوع كالسوق التي كانت تعقد على وادي درعة، وقيل إنه كان ينعقد بها سوقان في يوم واحد لطول الإقليم وتتميز "درعة" بكثرة الحناء التي كانت رائجة أكثر من غيرها.

وعقد بأصيلة أيضا سوق يوم الجمعة وفي قرية "نصر بن جرو"[2] أيضا عقد سوقها يوم الجمعة[3]، كما برزت "أغمات" كأهم مركز من مراكز التجارة الداخلية من أجل تسويق منتجات المغرب وتصديرها إلى السودان، لذا فإنّ حركة البيع والشراء تنشط في سوق "أغمات وريكة"، حيث يصل ما يذبح في يوم السوق إلى أكثر من 100 ثور وألف شاة وينفذ ذلك في اليوم نفسه[4].

كما اشتهرت أسواق "نفيس"[5]بكثرة ثمارها وطيبها،ولذلك كانت أسواقها جامعة، وظهرت أسواق أخرى مثل سوق سجلماسة، التي أصبحت من أهم مراكز التجارة عند أطراف الصحراء، حيث يصفها ابن حوقل فيقول:" **وسجلماسة مدينة حسنة الموضع جليلة**

---

[1]– عيسى بن الذيب، المصدر السابق،ص 89.

[2]– نصر بن جرو: تقع هذه المدينة على بعد مرحلة من سبتة وتعرف بكثرة زراعتها وبساتينها، أنظر: البكري: المصدر السابق،ص 108.

[3]– نفسه: ص 108.

[4]– نفسه: ص 153.

[5]– نفيس: مدينة بالمغرب تعرف بالبلد النفيس وهي مدينة قديمة سكانها طوائف، من قبائل البربر وتشتهر هذه المدينة بكثرة الحنطة والفواكه واللحوم التي لا يضاهيها فيها أي بلد في المنطقة، أنظر: الحميري: المصدر السابق،ص ص 578-579.

الأهل فاخرة العمل... وأهلها قوم سراة مياسير... وأبنيتها كأبنية الكوفة إلى أبواب رفيعة على قصورها مشيدة"[1].

وبرزت مدينة "أودغست" عند الطرف الجنوبي من الصحراء الكبرى، كسوق تجارية كبيرة نافست" سجلماسة"، حيث ظلّت مركزا اقتصاديا مزدهرا، إذ يصفها الحميري: " وهي مدينة آهلة... وأهلها أخلاط من جميع الأمصار...، وهم أرباب نعم جزيلة وأموال جبلية، ولهم أسواق نافقة حافلة، عامرة الدهر كله، لا يكاد يسمع الإنسان فيها ضوضاء جَليسه لكثرة غوغاء الناس وتجارتهم إنما هي التبر."[2]

بالإضافة إلى أسواق أخرى يذكرها لنا الإدريسي منها: سوق قرية "مكلول"، وهي كالحصن الكبير عامرة بالبربر، ولها سوق نافقة بما يجلب إليها وبها زروع كثيرة ومواشي وأنعام، ثم مدينة "تاورة" جامعة عامرة وأسواقها كثيرة والصناعات بها نافقة والنعم والفواكه[3].

كما نجد أيضا سوق " مدينة غزة" وهي مدينة صغيرة القدر، فيها سوق مشهورة لها يوم معلوم وسوق "إبراهيم"، ونجد أسواق مدينة الجزائر العامرة بأهلها وتجارتها مربحة وأسواقها وصناعاتها نافقة[4]، كما نجد حصن بكر[5] به سوق وبيع وشراء وسوق الخميس وسوق الاثنين وسوق دار ملول حيث أسواقها قائمة ولها مزارع وغلات.

---

[1]- ابن حوقل: المصدر السابق،ص 99.

[2]- الحميري: المصدر السابق،ص ص 63-64.

[3]- الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص ص 238-244.

[4]- نفسه: ص ص 251-285.

[5]- حصن بكر: حصن حصين على مراع ممتدة والوادي الكبير يجري مع أصلها ويجنوبها، أنظر: المصدر نفسه، ص 262-263.

وسوق مدينة قسنطينة بها أسواق وتجار وأهلها مياسير ذو أموال وأحوال واسعة...، وأيضا سوق بني زندوي سوقها يوم الجمعة، وحصن بلزمة[1] بها ربض وسوق وبها آبار طيبة، وأسواق مدينة مازوته[2] العامرة ومزارعها وبساتينها الكثيرة[3].

ثم سوق مدينة " نفطة"وهي مدينة متحضرة عامرة بأهلها لها أسواق وتجارات ونخل وغلات ومياه جارية، وأسواق مدينة قابس، حيث بها أسواق وعمارات وتجارات وبضاعات وسوق قصر سجة بها سوق وباعة وحريريون، ومدينة صفاقس مدينة قديمة عامرة لها أسواق كثيرة وعمارة شاملة وعليها سور من حجارة وأبواب عليها صفائح.[4]

ومدينة زويلة التي نجد بها الأسواق الجميلة والمباني الحسنة والشوارع الواسعة والأزقة الفسيحة وأهلها تجار ومدينة بترزت[5] بها مرافق وأسواق قائمة بذاتها، ومدينة بونة[6] بها أسواق حسنة وتجارة مقصودة وأرباح موجودة[7].

ولقد كانت هذه الأسواق تعج بضروب السلع وأصناف المتاجر ويتقاطر عليها التجار من كل حدب وصوب، حيث كان هناك إقبال واسع على هذه الأسواق والازدحام[8]

---

[1]– بلزمة: حصن لطيف وفي أهله عزة ومتعة وهو في وسط أفيح وبناؤه الحجارة الكبار القديمة، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص ص 267-270.

[2]– مازوته: على ستة أميال من البحر وهي مدينة بين جبال وهي أسفل الخندق ولها أنهار ومزارع وبساتين، أنظر: المصدر نفسه، ص 271.

[3]– نفسه.

[4]– نفسه:ص 279.

[5]– بترزت: وهي مدينة على البحر حصينة أصغر من مدينة سوسة وهي عامرة بأهلها...أنظر: المصدر نفسه، ص 288.

[6]– بونة: وسط ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة وهي على نحر البحر... فيها الكثير من الخشب موجود جيد الصفة ولها بساتين قليلة وبها من أنواع الفواكه ما يعم أهلها... بها معادن حديد جيد ويزرع بأرضها الكتان والعسل...أنظر: المصدر نفسه، ص 291.

[7]– نفسه:ص ص 288-291.

[8]– إبراهيم القادري بوتشيش:المرجع السابق، ص 99.

الذي كانت تشهده حتى البعض منها بلغت حدا من الاكتظاظ، ما جعل الناس لا يقدرون على سماع بعضهم البعض لكثرة الهرج والضوضاء[1]، ولقد كانت هذه الأسواق منظمة الوقت الذي يتراوح بين اليوم والأسبوع والموسم، كما نظمت أيضا على مستوى الأمكنة التي قسم إليها السوق حسب نوعية البضائع المعروضة للبيع أو حسب الحرف مثل أسواق النجارين والحدادين والسقالين والسمارين[2].

ومن مظاهر تنظيم الأسواق وجرد القيساريات المتخصصة في بيع الأثواب وغيرها من السلع، حيث نجد قيسارية خاصة بالمنسوجات الحريرية أو الكتانية والقطنية، كما وجدت قيسارية الذهب، وقيسارية لبيع الصوف والعطور وأنواع التوابل، وأخرى لبيع الفواكه والخضروات والطيور...إلخ[3].

كما وُجدت أماكن خاصة لبيع الدواب والماشية، وجهة أخرى لبيع الجواري والعبيد[4].

ولقد اهتمت الدولة في المغرب بالأسواق وإصلاحها، حيث يقول ابن أبي زرع الفاسي:" أنّ أول عمل قام به الأمير يوسف بن تاشفين هو " أصلح أسواقها"[5]، وبادر إلى تعيين أمناء ومحتسبين يقومون بشؤونها، كما شجعت على بناء الأسواق ورعايتها وتشييد القيساريات والفنادق، حيث أن هذه الأخيرة لم تكن مقتصرة على دور الإيواء خاصة (التجار) وإنما اتسع دورها إلى تخزين البضائع والمواد المخصصة للتصدير[6].

---

[1]– الحميري: المصدر السابق،ص 185.

[2]– إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق،ص 100.

[3]– المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ط1، ج2، دار الفكر ، بيروت، 1998،ص 297.

[4]– إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق،ص 100.

[5]– ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: عبد الواحد بن منصور، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973،ص 141.

[6]– إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق،ص 101.

ونظرا للانتعاش التجاري الذي عرفته المدن المغربية وتميّزت به، إذ نجد أنواعا مختلفة من المنتوجات التي كان لها أثر في تفعيل الحركة التجارية الداخلية ، فاشتهرت كل مدينة بنوع خاص من المنتوج الذي أدّى إلى تبادله بين المدن المغربية، كاشتهار مدينة " بونة " بتجارة الأنعام، من سائر الماشية والدواب والكراع[1]، التي كان يتم تصديرها إلى المناطق الأخرى، وبالأخص إلى الأسواق الأكثر شهرة[2]، بالإضافة إلى المنتوجات الأخرى كالمحاصيل الزراعية مثل: القمح، والشعير، والحنطة، القطن وقصب السكر ، والزيتون ، والتمور ، حيث أن التمر كان يجلب من منطقة السوس بالمغرب الأقصى إلى سائر بلاد المغرب[3].

كما تدخلت الدول في بناء الحوانيت والدكاكين وكرائها للتجار، وعملت على مراقبة الحصون والحفاظ على نظافتها ونظامها وتوفير الأمن والاستقرار، حيث برز في العصر الموحدي هاجس الأمن، حيث حظيت الأسواق وحوانيت التجار بحماية خاصة، حيث عيّنت حراسا خاصين مكلّفين بالسهر عليها ليلا، بالإضافة إلى دور صاحب الشرطة داخل المدينة عامة والأسواق خاصة[4].

ونتيجة لذلك عرفت الأسواق فترات من الازدهار والانتعاش خاصة في فترات الاستقرار للدول ويذكر ابن صاحب الصلاة:" عمرت الأسواق بالبيع والتجارة الرابحة، ودرت على الناس الخيرات."[5]

1- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 77.

2- فاطمو بلهواري: المقال السابق، ص 78.

3- نفسه: ص 79.

4- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق،ص 104.

5- ابن صاحب الصلاة: المن بالامامة، تحقيق: عبد الهادي التازي،ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987،ص 266.

ولقد عرفت أسواق المغرب الإسلامي حركة نشيطة في عمليات البيع والشراء، وكان النقد أساس التعامل التجاري، حيث يعطي لنا صورة واضحة عن الأوضاع الاقتصادية، وعن طريق قيمتها نستطيع إدراك مدى رواج التجارة أو تدهورها، ما تعد السكة مظهرا من مظاهر سيادة الدولة[1].

ـ العملة:

نظرا لأهميها في المجال الاقتصادي عملت الدولة المرابطية، على ضرب العملات ليتم التعامل بها في كامل أنحاء البلاد، وقد تميز عهدهم بوفرة السّكة بما عليها من ألقاب وأسماء ورسومات وتواريخ.[2]

فقلد كان ضرب السكة قبل يوسف بن تاشفين، حيث عُرف أول دينار ضرب في سجلماسة سنة 448ه/ 1057م[3] باسم الأمير أبو بكر، وكانت العبارات المنقوشة على الدنانير تحمل في الوجه كتابة مركزية، بشكل أفقي متوازي، تشير إلى ثلاث عبارات تنص على الشهادتين في السطرين الأول والثاني ويليها السطر الثالث والرابع اسم ولقب أبي بكر العباسي " عبد الله"[4] أمير المؤمنين، وبعد وفاة " أبو بكر بن عمر " تولى يوسف بن تاشفين أمور الدولة المرابطية بعد تدفق الأموال على دولته[5]، خاصة عن طريق التجارة وتحكمها في الطرق التجارية الصحراوية المؤدية إلى السودان، وكان أول دينار ضرب في عهد يوسف بن

---

[1] ـ ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 266

[2] ـ صالح بن قربة: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 522.

[3] ـ جمال طه ذنون: المرجع السابق، ص 229.

[4] ـ عبد الله: هو عبد الله بن أحمد القائم بالله إسحاق بن المقتدر العباسي أبو جعفر القائم بأمر الله ولي الخلافة بعد وفاة أبيه عام 422ه/ 1030م، للمزيد أنظر: ابن الخطيب لسان الدين: كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص 114- 115.

[5] ـ عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص ص 222- 223.

تاشفين[1] باسمه بعد عام 479هـ/1086م، حيث يذكر صاحب الأنيس المطرب أنه ضرب السكة وجدّدها ونقش في ديناره " لا إله إلا الله " وتحتها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين[2].

هذا إضافة إلى الزيادة الهائلة في كمية إنتاج الدنانير[3]، وتنوعت دور السك التي ضربت فيها العملة، حيث شملت مدنا مغربية وأندلسية[4]، ولا شك أن هذه الكميات وتنوعها يعطينا دليلا على إنشاء دور سكة جديدة غير دار مراكش ثم تلتها أغمات، إضافة إلى فاس وسجلماسة ولمطة[5]، وتجدر الإشارة إلى أنّ دور السكة في الأندلس قد تأخر ظهورها إلى سنة 486هـ/1093م، وليس من المستبعد أن يكون المرابطون في هذه الفترة يتعاملون بالنقود التي ضربت في المغرب أو نقود دول الطائف.

أما عملة يوسف بن تاشفين، فكانت تتراوح ما بين أربعة غرامات واثنين وعشرين في المائة من الغرام، وبعد تولي ابنه علي بن يوسف ولاية العهد سنة 496هـ/ 1102م سك اسمه على العملة في المغرب والأندلس، وواصل علي بن يوسف سك عملته في المغرب والأندلس، وشهد عهده تعدد دور السكة، حيث بلغ عددها[6] في الأندلس عشرة في الفترة الممتدة من

1– يوسف بن تاشفين: هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن توريقت بن ورتاقطن بن مصالة الصنهاجي الحميري، تولى الخلافة بعد تنازل ابن عمه أبي بكر بن عمر له، وتوفي في شهر محرم من سنة 500هـ/ 1106م، ودفن بقصره في مراكش، للمزيد من التفاصيل أنظر: مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 24.

2– ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص ص 137– 138.

3– ومما ساعد يوسف بن تاشفين على زيادة الأموال هو ابتعاده عن بذخ الملوك، فقلت النفقات وامتلأت خزائن الدولة وكذلك سيطرته على التجارة وعلى طرقها، فاستمر تدفق الذهب ، فلما مات وجدوا في بيت المال ثلاثة عشر ألفا ربع وخمسة آلاف وأربعين ربعا من دنانير الذهب، أنظر : المصدر نفسه، ص 88.

4– صالح بن قربة: المرجع السابق،ص 542.

5– ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص 23.

6– مجهول : الحلل الموشية، المصدر السابق، ص ص 79– 83.

500ه/ 1106م إلى سنة 515ه/ 1121م ، وكان من نتيجة ذلك أن أصدرت دور السكة دنانير لم يسبق لها مثيل[1].

كما وجدت عملات أخرى غير الذهبية، حيث سك المرابطون كميات كثيرة من الفضة في شكل دراهم تقليدية وقراريط[2] وزن كل منها غرام واحد، وهذا من أجل تسهيل عمليات البيع والشراء في المجتمعات المغربية والأندلسية[3].

ويبدو أن سك العملة الفضية يتزامن مع سك العملة الذهبية التي تعود للسنوات الأولى لقيام دولة المرابطين، ويبدو أن يوسف بن تاشفين بدأ بسك درهمه سنة 464ه/1081م، وضرب بمراكش الدرهم ربع السكة[4]، وبعد فتح الأندلس عمت السكة المرابطية بلاد المغرب والأندلس، حيث سك قراريط باسمه ووزعها ليلة عيد الأضحى[5]، أما على عهد علي بن يوسف فقد أدخلت بعض التعديلات على الدرهم والقراريط، مثل إضافة لقب " أمير المسلمين وناصر الدين " مثلما فعله في العملة الذهبية، وظهور بعض الآيات القرآنية مثل: "رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ "[6] وظهر بعض العبارات في المركز مثل: " صلوات الله عليه " و "على ولي العهد " و "يستعين بالله "، كما تميزت عملته الفضية بذكر مكان الصنع وتاريخه خاصة في الأندلس[7] .

---

[1]- مجهول : الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 83

[2]- القراريط جمع قيراط وكل درهم يساوي قراطين.

[3]- صالح بن قربة: المرجع السابق، ص 540.

[4]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 207.

[5]- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص 74.

[6]- الآية رقم 4 من سورة الممتحنة.

[7]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 245.



- المكاييل والموازين والمقاييس:

استخدمها السكان في تعاملهم اليومي وفي شراء بضائعهم ومستلزماتهم، وكانت وحدات الكيل تتمثل في: المدّ[1] والسطل والوسق[2] والقفيز والصفحة والقليلة والقفة والزلافة، تختلف من مكان إلى آخر.

ولقد أشار ابن صاحب الصلاة إلى استخدام المدّ، حيث تحدث عن رخص الأسعار بوادي تانسفيت[3] فقال: " والشعر خمسة عشر مد بدهرم "[4]، وحين ارتفعت الأسعار بالأندلس بيع المدّ بدرهمين[5]، وأشار أيضا البكري إلى استخدام أهل فاس للمدّ وحدّد وزنه بثمانين أوقية بقوله: " ومدّهم ثمانين أوقية "[6]، ويطلق على هذا المدّ اسم اللّوح ، كما يشير أيضا أن هناك وحدة وزن يطلق عليها " الأواقي " خصصت للمأكولات من زيت وعسل ولبن وزبيب[7].

وإلى جانب المدّ استخدم السطل في الكيل وأشار البيذق إلى ذلك في حديثه عن غلاء الأسعار فيقول: " وبلغ عندنا في ذلك الوقت سعر الشعير ثلاثة دنانير للسطل "[8].

---

[1]- المدّ اختلفت تسميته حسب المناطق ، إذ كان يعرف في مدينة وحدة بالوحدات، أنظر: البكري: المصدر السابق، ص 87.

[2]- الوسق: وهو حمل مل يبلغ ستين صاعا بالصاع النبوي، أنظر: القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص 177.

[3]- وادي تانسفيت: يقع هذا الوادي على بعد ثلاثة أميال من مراكش وهو دائم الجريان، ونظرا لما يسببه هذا النهر من إعاقة للمواصلات زمن الشتاء فإن أمير المؤمنين " علي بن يوسف " أقام عليه جسرا عظيما بعدما جلب إليه البنائين والصنّاع من الأندلس، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 127، وأنظر أيضا: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 245.

[4]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 442.

[5]- نفسه: ص 509.

[6]- البكري: المصدر السابق، ص 117.

[7]- نفسه.

[8]- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، المصدر السابق، ص 78.

وكان الكيل الأكثر استعمالا في العصر الموحدي هو " الوسق "، حيث أورد ابن أبي زرع حينما تحدث عن الرخاء الذي كان يعم دولة المرابطين قائلا: " وكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء وعافية وأمن تناهى القمح في أيامهم إلى أن بيع أربعة أوسق بنصف مثقال"[1].

أما فيما يخص" القفيز "فقد اختلف من منطقة لأخرى، فمثلا: قفيز القيروان كان يساوي اثنين وثلاثين ثمنا، والثمن هو ستة أمداد بمد النّبي صلى الله عليه وسلم ، بينما يساوي القفيز بالأندلس ستين رطلا، والربع ثمانية عشر رطلا.[2]

وأما " الصحفة " فنجدها في كيل تنس مثلا تساوي ثمانية وأربعون قادوسا والقادوس ثلاثة أمداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم، أما في " نكور " فإنها تساوي خمس وعشرون مدا بمد النبي صلى اله عليه وسلم ، ويسمون نصف الصحفة بالسدس[3].

كما أننا نجد بعض المكاييل يختص استعمالها في منطقة واحدة لا تخرج عن نطاقها مثل "القرصة الإشبيلية" و"الملت المراكشي"، هذا ما يبين لنا أن وحدات الكيل تختلف من منطقة لأخرى، وتتميز عن بعضها حسب الظروف الاقتصادية والمتغيرات المالية[4].

أما الموازين المستعملة فكانت القنطار والأوقية والرطل والدرهم، وتختلف تبعا لنوع السلعة، وكان لكل إقليم أو منطقة قيمة لرطلها، ويرجع هذا الاختلاف إلى رخص الأسعار أو ارتفاع ثمنها، حيث كان رطل مراكش يعادل ستة عشر أوقية[5]، أما رطل أرشقول كان

---

[1]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ج2، ص 94.

[2]- المقديسي: المصدر السابق،ص 240.

[3]- البكري: المصدر السابق، ص 91.

[4]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص 268.

[5]- ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 442.

اثنان وعشرون، أما رطل مليلية هو رطل "نكور" ويساوي اثنان وعشرون أوقية، والأوقية خمسة عشر درهما ، وقنطارهم من جميع الأشياء بهذا الرطل[1].

أما الدراهم ففيها عدة قراريط، وكل قيراط يساوي خمسة أثمان درهم[2]، واختلاف قيمة الرطل أدّى إلى اختلاف القنطار في أقاليم المغرب، فقد بلغ مثلا قنطار الزيت في تاهرت قنطارين غير الثلث، أما الفلفل فكان قنطارا عاديا، كما اختلف في قيمة ما تحتويه الأوقية من دراهم[3]، أما الدراهم فنجد درهم العدل في تنس يساوي ثلاثة قراريط، والقيراط يساوي ثلث درهم أو اثني عشر صقلبة عدّاً[4].

أما درهم مليلية به عدّة قراريط، كل قيراط خمسة أثمان درهم،وكان درهم أرشقول يساوي خراريب، حيث أن الخروبة تصل أربعة صبات[5].

كما نجد استعمال نوع أخر من الأوزان يسمى " الصنوج " تصنع من زجاج طازج مطبوخ يستخدم في وزن النقود الذهبية والفضية، وكانت تضرب في دور الضرب ثم توزع على الصيارفة والتجار، فمن أراد أن يصرف دينارا يختبرونه بالصنج لكي يتأكد من استيفاء وزنه. كما أن هناك أنواع أخرى من الصنوج أعدت خصيصا لوزن الأشياء الثمينة كالمجوهرات[6].

---

1 – البكري: المصدر السابق، ص 145.

2 – نفسه: ص 89.

3 – نفسه: ص 69.

4 – عيسى بن الذيب: المصدر السابق، ص 269.

5 – البكري: المصدر السابق، ص 78.

6 – عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 269.

أما الأوزان الثقيلة فلا تستخدم وإنما يتم وزنها بأوزان تصنع من الرصاص مكتوب عليها اسم أمير المؤمنين[1].

- السفتجة[2] والصك:

تقوم بدور هام في تنشيط التجارة بالوظائف التي تؤديها في ميادين متعددة من النشاط التجاري والمالي على المستوى الرسمي والشعبي.

والسفتجة تسهل للمشتري شراء ما يلزمه من السلع دون أن يكون مضطرا لدفع قيمتها نقدا عند الشراء، كما تساعد البائع على تصريف سلعته بالسهولة التي يقدمها للمشتري في كيفية الدفع[3].

وتذكر الروايات التاريخية أن استخدام السفاتج أو الحوالات، قد ظهر منذ العهود الأولى للإسلام، فمثلا كان " الزبير بن العوام " -رضي الله عنه- كان يأخذ الورق من التجار، ويكتب لهم سفاتج إلى فرع بنكه في البصرة والكوفة . وقد استخدمت السفاتج في التعامل في الأسواق أو في دفع الديون، والفائدة من استخدامها في المعاملات المالية هو نقل النقود من مكان لآخر دون تعرضها لمخاطر الطريق[4].

ويبدو أن استخدام السفاتج يفيد في تحويل الدين من شخص إلى آخر وتصفية الحساب بينهما، كما أنّه من الممكن تصفية الحساب بين مدن وأقاليم متعددة دون الحاجة إلى نقل النقود[5].

1- المقديسي: المصدر السابق، ص 240.

2- السفتجة: معرب سفتة ، وسفتة بمعنى الشيء المحكم، وسمي هذا القرض به لإحكام أمره، والسفتجة بضم السين وفتح التاء هو أن يدفع إلى تاجر مالا قرضا ليدفعه إلى صديقه في بلده، وإنما يدفعه على سبيل القرض لا على سبيل الوديعة.

3- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 262.

4- نفسه: ص 262.

5- نفسه: ص 263.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، نأخذ مثالا عن تجارة فاس الداخلية، حيث تبرز كقطب حضاري وتجاري هام في بلاد المغرب الأقصى خاصة ؛ وكل بلاد المغرب عامة.

ونظرا للاستقرار السياسي الذي شهدته مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، انتعشت الحركة التجارية بها[1]، حيث عرفت أسواق المدينة حركة تجارية ونشاطا واسعا في البيع والشراء، خاصة وأنّ الحكام أولوا عناية خاصة واهتمام بالغا بالحركة التجارية والعمل على تنشيطها من خلال تشجيع التجار على المجيء إلى بلادهم وتوفير كل وسائل الراحة والإقامة ؛ بإنشاء الفنادق والحمامات ، واهتم أمراء المرابطين والموحدين بزيادة أعداد هذه الفنادق[2].

لقد كان سكان فاس مكتفون بالسلع الأساسية المتوفرة في مدينتهم، فالأسواق كانت تمتلئ بأنواع المتاجر التي تأتي بها القوافل القادمة من مدن المغرب المختلفة[3]، ويقول الإدريسي: " ومدينة فاس قطب ومدرار لمدن المغرب الأقصى وهي حضرتها الكبرى ومقصدها الأشهر وعليها تشدّ الركائب وإليها تقصد القوافل ويجلب إلى حضرتها كل غريبة من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة "[4].

فصارت المدينة تعج بالتجار من مدن المغرب المختلفة الذين اتخذوا في أسواقها متاجر يصرفون فيها بضائعهم وسلعهم، حيث نجد تجار مكناسة الذين قاموا بتسويق منتجاتهم المكناسية من العنب والزيتون، وبنقل كميات وفيرة من العنب والكتان من أجل بيعه في مدينة فاس [5].

---

[1]- جمال طه ذنون: المرجع السابق، ص 236.

[2]- ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 48.

[3]- جمال طه ذنون: المرجع السابق، ص 236.

[4]- الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق، ص 79، وأنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 334.

[5]- ليون الإفريقي: المصدر السابق، ج1، ص 224.

وتعتبر مدينة سجلماسة المدينة التجارية الأوسع حظا من حيث المنتجات التي تصلها، خاصة وأنها قامت بدور ريادي في تجارة مدن المغرب، فقد ربط التجار سجلماسة بالشمال عن طريق تلمسان ففاس، فتدفق تجار سجلماسة بأنواع التمور المختلفة إلى مدينة فاس[1]، وقام تجار مدينة مراكش بتصدير كميات وفيرة من الزيت والسكر إلى مدينة فاس[2]، كما جلب التجار الجزر من مدينة صفر، وحملت أحمال التين المذبب من حصن مغيلة القاط[3] إلى مدينة فاس[4]، حيث وصلت إلى فاس من مديونة البرانس المديونية التي لا ينفذ منها المطر[5].

كما ارتبطت بتجارتها مع السوس الأقصى، حيث كان يذهب الكثير من تجار فاس لشراء كميات من السكر، وكميات من جلود القراطوني[6]، من مدينة تيوت بالسوس، وتوطدت العلاقة التجارية بين فاس ومنطقة هكسورة[7]، التي يتوفر فيها الزيت والجلود نظرا لوجود كمية كبيرة من الأغنام، كما كانت تصنع بها سروج الخيل الأنيقة، فكان تجار فاس يعقدون صفقات مهمة في هذه المنطقة بمقايضة أقمشتهم الكتانية في مقابل الجلود والسروج[8].

---

[1]– جمال طه ذنون: المرجع السابق، ص 237.

[2]– الزهري: كتاب الجغرافيا، ص 116.

[3]– مغيلة: مدينة من أحواز فاس مسماة باسم القبيلة التي كانت تسكنها، تقع بين فاس ومكناس على يمين الذاهب من الأولى إلى الثانية، كان الطريق القديم يمر بها قبل تعبد الطريق الجديد في أول القرن، فرّ بها جند الروم الذين كانوا في جيش الخليفة السعيد الموحدي، فهبطت إلى مستوى قرية لا تزال قائمة العين، ينسب إليها جماعة من الأعلام، أنظر: الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص 158.

[4]– مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 193.

[5]– ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، المصدر السابق، ص 141.

[6]– القراطوني: نوع جيد من جلود الماعز أو الضأن المدبوغ.

[7]– هكسورة: تبتدئ ناحية هسكورة من التلال المتاخمة لدكالة غربا لتنتهي شرقا عند نهر تنسيفت، في سفح جبل أدامي، وتتاخم شمالا وادي العبيد الفاصل بين هكسورة وتادلا...، أنظر: ليون الإفريقي: المصدر السابق، ص ص 127- 128.

[8]– نفسه.

وحظي سوق مدينة داي[1] في التجارة الداخلية، إذ توافدت عليه القوافل التجارية من فاس[2]، وتجمعت بأسواق مدينة نفرة[3] سلع مصنوعة في فاس على الخصوص كالأقمشة الكتانية والسكاكين والسيوف والسروج واللجمات والقلانس وأدوات الخياطة[4].

ووصفت تجارة فاس مع أغمات بأنها " نافقة "، حيث كان لتجار أغمات وكلاء يمثلونه بمدينة فاس، حيث يدفعون لهم الكثير من الدراهم لشراء السلع من فاس[5]، وقام تجار مدينة سلا بتصدير الأمشاط إلى مدينة فاس[6].

كما نجد علاقة تجارية بين المغرب الأوسط بالمغرب الأقصى من حيث التصدير والستيراد، فقد استورد المغرب الأوسط قصب السكر، حيث يذكر صاحب الاستبصار أنه: " يجلب ا لسكر إلى جميع بلاد المغرب والأندلس وإفريقية "[7] المتوفر في بلاد السوس الأقصى، خاصة وأنّ المغرب الأوسط يفتقر لهذه المادة في أراضيه، كما يذكر صاحب الستبصار أنه من ماسة يجلب السكر إلى جميع المغرب وإفريقية [8]، بالإضافة إلى مواد أخرى مثل: القطن والنحاس.

1– مدينة داي: مدينة بأرض المغرب، تقع على سفح الجبل الخارج من جبل درن ، وبينها وبين مدينة أغمات مسيرة أربعة أيام، كما أن بيد داي وتادلة مرحلة، أنظر : الحميري: المصدر السابق، ص 231.

2– البكري: المصدر السابق، ص 154، وأنظر : حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980 ، ص 272.

3– نفرة: مدينة بإقليم تادلة، تجدها عند الوزان أفزا: مدينة صغيرة...، بُنيت على تل في سفح الأطلس...، أنظر الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص 183.

4– ليون الإفريقي: المصدر السابق، ص 184.

5– جمال طه ذون: المرجع السابق،ص 237.

6– ليون الإفريقي: المصدر السابق، ج1، ص 209.

7– مجهول: كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص 211.

8– نفسه.

وتذكر أيضا العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط وإفريقية، حيث يعتبر الموز الذي اشتهرت به قابس[1] إحدى السلع التي استوردتها بلاد المغرب الأوسط؛ بالإضافة إلى الفستق الذي اشتهرت به مدينة قفصة[2]، خاصة وأن هذه الزراعة لا تتوفر بالمغرب الأوسط حسب ما يشير إليه الرحالة الجغرافيون.

إلى جانب بعض المصنوعات المعدنية في ولاية إفريقية مثل: الآلات الحديدية كالسيوف وسروج الخيل والأدوات الزراعية، خاصة وأن هذه البلاد تشتهر بإنتاج الحديد بمجانة، كما استورد أيضا المنسوجات الحريرية كالثياب السوسية والكساء الدرجيني، إلى جانب حجز المطاحن ، حيث يذكر ابن حوقل أن من هذه المدينة: " الحجارة المجلوبة للمطاحن بجميع بلاد المغرب "[3].

---

[1]– قابس: بها قبر أبي لبابة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه مسجد أنظر: محمد العبدري البلنسي: الرحلة المغربية، تقديم: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة، الجزائر، 2007، ص 152.

[2]– قفصة: مدينة حسنة ذات سور ونهر جار ماءها أطيب من ماء قسطيلة، ولها في وسطها العين المسماة بالقرميد ولها أسواق عامرة ومتاجر كثيرة، وصناعات عائمة، ويطوف بها نخل كثير يشتمل على ضروب من أنواع التمر العجيب، ولها جمل جنات وقصور قائمة معمورة يزرع بها ضروب من غلات الحناء، والقطن والكمون...أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص ص 277- 278.

[3]– ابن حوقل: المصدر السابق، ص 84.

الفصل الثالث

المسالك والدروب التجارية بين مدن المغرب الإسلامي والعالم المجاور

1- جنوب غرب أوروبا (اسبانيا – ايطاليا):

1-1- العلاقات التجارية:

توقفت العلاقات التجارية في عهد المرابطين والممالك النصرانية خاصة الاسبانية على علاقتهم السياسية، خاصة وان المرابطين خاضوا حروبا طاحنة مع نصارى اسبانيا، جعلت التجارة معهم ومع أوروبا لا تزدهر إلا في أوقات الهدنة[1]، مما دفع بالمرابطين إلى البحث عن مناطق تجارية أخرى؛ فتعاملت مع " صقلية" والمدن الايطالية التي بسطت سيطرتها على البحر المتوسط في أواخر القرن 5ه/11م، إلا أن هذه العلاقات كانت لها بعض المخاطر خاصة وأن المرابطين كانت تطلعاتهم كبيرة في السيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط[2]، وقد سنحت الفرصة لهم يوم تحالفوا مع " بني باديس " وغزا أسطولهم سواحل " صقلية وايطاليا "[3]، غير أن بروز الموحدين شغلتهم عن مواصلة جهودهم البحرية[4].

ونجد بعض الاتفاقيات التي وقعها المرابطون مع المدن الايطالية، خاصة بيزا وجنوة سنة (528ه/1133م و 533ه/ 1138م)، حيث كان لها دوراً كبيراً في تنشيط التجارة بين دولة المرابطين والمدن الايطالية، وقد أخذ المرابطون من تجار هذه المدن العشر[5].

ومما يدلّ على قيام علاقات تجارية بين المرابطين وأوروبا أن الحوليات القشتالية تذكر عدة عملات أولها: El moravidi de oro أي الدينار المرابطي من الذهب نسبة إلى المرابطين والعملة الثانية هي المسماة: El dinero de plata أي الدينار من الفضة وهو متوسط القيمة ويشار إليه أحيانا باسم (adarham)[6] ويذكر ديلسية Deplessy نقلا عن عيسى بن الذيب أنّ الدّينار المرابطي استعمل كوحدة للتعامل في أوروبا المسيحية في

---

[1]– عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص 145.

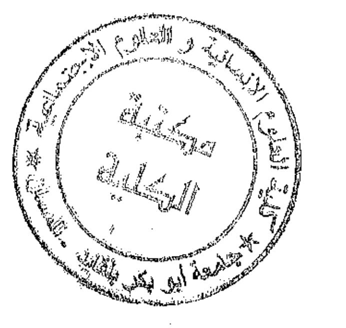
[2]– نفسه.

[3]– ابن عذارى: المصدر السابق،ج1،ص 308.

[4]– عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 145.

[5]– نفسه: ص 146.

[6]– نفسه.



سنة 558ه/ 1162م ووعد الكونت " بروفانس" أن يدفع للإمبراطور مبلغ 12.000 Marabotins أي دينار مرابطي، بل حتى أنه استعملت الدنانير المرابطية في أوروبا الغربية[1] فقد عثر على دنانير مرابطية في جنوبي مدينة " تولوز" (Toulouse) .

ولقد وقّع " عبد المؤمن بن علي " مع تجار جنوة معاهدة سنة 548ه/1153م وجدّدها سنة 556ه/1168م، وجدّد العهد يعقوب المنصور سنة 582ه/1186م، وكذلك الناصر سنة 608ه/1211م، شيئا فشيئا سيطر تجار جنوة على تجارة المغرب، كما سيطر أهل البندقية على تجارة المشرق الإسلامي[2].

ثم نجد الاتفاقيات التي أبرمها " يحي أبو زكريا الأول " مع موانئ ايطاليا[3] تتحدد بانتظام بعد انتهاء أمدها[4]، واحتكر تجار جنوة تجارة سبتة وتحسّنت العلاقات بين المغرب الأقصى على عهد المرينيين والأرغون، فأبرمت اتفاقية صداقة مدتها عشرة سنوات بين المملكتين 757ه/1357م وكان يصدر الرقيق والجلود بكل أنواعها والزرابي والحبوب والسكر والمرجان في حين كان يستورد الزيوت والخمور والنسيج والمصنوعات المعدنية[5].

ويورد المؤرخون أن التجار المغاربة عندما دخلوا إلى هذه الأقطار كانوا يحملون العملة المغربية إلى دور الضرب فيها ويسُكُّوها لتعادل سكة البلد الذي يتاجرون فيه[6] ولا يعرف أن التجار الأجـــانب كانوا يفعلون الشيء ذاته عندما يدخلون إلى المغـــرب باستثناء

[1]– عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 146.

[2]– عبد الله العروي: المرجع السابق،ص 325.

[3]– عبد الله دهينة: دول الغرب الإسلامي في القرون 6م،7م،8م، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1984،ص 372.

[4]– عبد الله العروي: المرجع السابق،ص 385.

[5]– نفسه: ص ص 385- 386.

[6]– عز الدين عمر موسى: المرجع السابق، ص 303.

إشارة واحدة تعود إلى العصر المريني[1]، ويبدو أن المغاربة لم يكونوا يطلبون ذلك لأن عملتهم كانت نازلة عن سكك معاصريهم باستثناء صقلية، وضرب نصارى إسبانيا دينارا يساوي دينارين مرابطين[2]، وكان الدينار المؤمني الموحدي يعادل نصف دينار مصري من ضرب صلاح الدين[3].

وفي تعاملات التجار فيما بينهم فلقد كان تجار المدن الإيطالية يودعون أموالهم في ديوان المشرف ومنها يدفع المشرف للتجارة المغاربية، ولكن العلاقة بين التاجر الأجنبي والمغربي كانت تقوم على أساس الثقة المتبادلة فلا تجد التاجر المغربي يتقيد بما يحتفظ التاجر الأجنبي من أموال الديون فيبيعه بالسلف وقد يتبع التاجر المغربي الطريقة ذاتها مع عميل أجنبي حديث بضمانة آخر قديم موثوق فيه[4]، كما أن التاجر المغربي قد يشتري في جنوة ويدفع في وهران أو سبتة أو أي مرسى آخر ترسو فيه السفن[5].

وفي حالة قيام الثقة أساسا للتعامل في التجارة الخارجية كثيرا ما تجد أن العلاقات الشخصية وتبادل الهدايا بين التجار مظهرا من مظاهرها[6].

ونجد عددا من المفردات العربية الاقتصادية في اللغة الأوروبية التي تدل على أنه للتجار والتقاليد العربية الإسلامية تأثير عميق في الحياة الاقتصادية وتطورها في البلدان الأوروبية[7] حيث يذكر " موريس لومبار " أن الكلمة الإيطالية (Zecca) مشتقة من

---

[1]– عز الدين عمر موسى: المرجع السابق، ص 303.

[2] –Mateu, F.Y.Liopis, Glosario hispanico se numismaticas Barcelona, 1946, p p 48-61-96.

[3]– أبي الحسن محمد بن أحمد: رحلة بن جبير، دار بيروت للنشر، بيروت، 1959،ص ص 24 -30.

[4]– عز الدين عمر موسى: المرجع السابق،ص 305.

[5]– نفسه.

[6]- Goitien,Jews and Arabs : Zheir contacts through the Ages , New York, Schocken, 1955,p112.

[7]– عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 147.

الكلمة العربية (دار السكة) وكلمة (Cheque) مشتقة من كلمة (صك)[1] العربية والمعروف أن الصكوك كانت معروفة في المغرب ومنذ وقت بعيد حيث يذكر ابن حوقل: " ولقد رأيت صكا فيه ذكر حق لبعضهم على رجل من أودغست وهو من أهل سجلماسة باثنين وأربعين ألف دينار."[2] وكانت ذلك في منتصف القرن 4ه/ 10م، وكلمة (Tarif) وهي مصطلح جمركي مأخوذ من العربية (تعريف)[3].

ويذكر " ليفي بروفنسال" أن في اللغة الاسبانية العديد من التسميات لمناصب ذات صبغة مالية وتجارية مازال البعض منها مستعملا وهي ذات أصول عربية منها: (Almojarife) من المشرف وهو مراقب الخزانة والشؤون المالية وكلمة (Alfarada) من الكلمة العربية الفرضة[4] وهي ضريبة فرضها المرابطون على اليهود لتجهيز الحملات العسكرية لأغراض الجهاد[5].

ومن أهم السلع المغربية المصدرة إلى أوروبا نجد التمر السوسي[6]، والسكر والنيلة الدرعية[7] والنحاس[8]، وبعض المناديل النادرة الصنع[9]...إلخ، أما الواردات من الدول الأوروبية فنجد الرقيق خاصة من الصقالبة، حيث يشير صاحب " الحلل الموشية "[10] إلى جملة ما اشتراه " يوسف بن تاشفين " منهم في سنة 464ه/1071م بقوله: " ولما كانت سنة أربع وستين

1- لومبار موريس: الإسلام في مجده الأول، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1979،ص 337.

2- ابن حوقل: المصدر السابق،ص 99.

3- عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص 148.

4- Levi .Provincal ; L'Espagne musulmane six[éme] siècle , paris ,1931, p 98.

5- ابن عذاري: المصدر السابق، ج4،ص 23، وأنظر عن الفرضة التي فرضها يوسف بن تاشفين على اليهود.

6- الإدريسي:صفة المغرب، المصدر السابق،ص 4، وأنظر أيضا: الزهري: كتاب الجغرافيا،ص 119.

7- الزهري: المصدر السابق،ص 117، وأنظر : الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق، ص 61.

8- البكري: المصدر السابق،ص 162.

9- الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق،ص 61.

10- مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق،ص 25.

وأربعمائة قوى أمره وعظمة شوكته... وبعث إلى الأندلس فاشترى منها جملة من العلوج."[1]

بالإضافة إلى تجارة الرقيق نجد سلعا أخرى مثل الأقمشة التي كانت تستورد من " جنوة " و "ميلان " و" لمباردي "[2]، كما كانت ثياب الملف الصوفية تصل إلى المغرب من " فنلدا" والسيوف من " بيزة"[3] ، أما القطن والكتان والحرير فيرد من " سبتة وبجاية " من " جنوة وبيزة "أو عن طريقهما من بلاد المشرق[4]، ومادة الصباغ من اسبانيا أو أوروبا أو من الهند[5]، وكانت مواد الكحل[6] والطفل[7] والحديد[8] والنحاس ترد من طليطلة.

كما نجد بعض المواد الأخرى التي كان يصدرها المغرب إلى البلدان الأجنبية والتي لم تذكرها مثل: الزيت الصفاقسي إلى بلاد الروم وصقلية وايطاليا وسواحل أوروبا[9]، الزيتون الأندلسي إلى كريت[10]، والشب السوسي إلى أوروبا[11]، والأواني الفخارية تصدر من الأندلس إلى أوروبا وانجلترا[12].

---

[1]- العلوج: يقصد بها هنا الصقالبة وسواهم من الرقيق الأبيض، أنظر: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 25.

[2]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص 149.

[3]- الزهري: كتاب الجغرافيا، المصدر السابق، ص ص68، 76، 77.

[4]- نفسه : ص 78.

[5]- الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 188، وأنظر أيضا: الزهري: المصدر السابق ،ص 78.

[6]- الزهري: المصدر السابق ،ص 80.

[7]- المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج1،ص 200.

[8]- الزهري: المصدر السابق،ص 104.

[9]- البكري: المصدر السابق، ص 20، وأنظر : الحميري: الروض المعطار،ص 19، وأنظر أيضا: المقري، نفح الطيب، ج3، ص 213.

[10]- الزهري: المصدر السابق،ص 129.

[11]- نفسه: 117.

[12]- عمر عز الدين موسى: المرجع السابق،ص 327.

والملاحظ على التجارة سيطرة المدن الايطالية على التجارة المغربية الخارجية إذ أن العديد من السلع كانت تستورد من تلك المدن، كما أنه هناك نشاط تجاري واسع مع أوروبا يشمل حتى آلات القتال والمواد التي تصنع منها حتى في ظروف الحرب.

1-2- الروابط الثقافية:

لقد وصلت الحضارة العربية الإسلامية إلى معظم بلدان أوروبا الجنوبية والوسطى والغربية عن طريق شبه جزيرة إيبيريا في الشمال الغربي؛ وصقلية في الشمال الشرقي[1].

وتعتبر جزيرة صقلية[2] المثلثة الشكل، إحدى المعابر الأربعة للحضارة العربية الإسلامية في طريقها إلى بلدان أوروبا المختلفة، وهي تقسم البحر إلى قسمين، ولا تبعد كثيرا عن إيطاليا إذ لا يفصلها عنها سوى مضيق مسينا الذي لا يزيد عرضه عن 3 كلم، واهتم المسلمون فيها بتطوير أنماط الفلاحة ووسائل الري واستصلاح الأراضي، وإقامة السدود، وأدخلوا إليها زراعة القطن وقصب السكر، واستغلوا ثرواتها كالحديد والنحاس والفضة في صناعة العملات والنقود وبعض الأدوات، وأدخلوا إليها صناعة الحرير والورق، ونشّطوا الحركة التجارية وطوروها واتجهوا إلى النشاط العلمي والإبداع الثقافي حتى حوّلوا الجزيرة إلى معقل للعلوم والمعارف الإسلامية والإنسانية[3]، مما جعل الرحّالة والجغرافيون مثل: الإدريسي وابن جبير يشيدان بمفاخرها العمرانية والاقتصادية،وبقصور ومساجد وأحياء ومدن **باليرمو، سرقوسة، مازرة، مرسى علي**، وغيرها...الخ[4].

وعندما سقطت الجزيرة في أيدي النورمان في مطلع النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، اهتم ملوكهم بالتراث العربي الإسلامي، فشجّع حكامها مظاهر الحركة الفكرية والثقافية والإسلامية كما دعّموا وزعماء الجالية الإسلامية التي بقيت فيها،

1- يحيى بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 50.

2- صقلية: فتحها الأغالبة اوائل القرنين 3ه/ 9م ، وبقيت تحت الحكم الإسلامي حوالي ثلاثة قرون، أنظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص118.

3- يحيى بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، ص 51.

4- أحمد توفيق المدني: المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، ط1، 1365ه،ص 284.

وكتب **روجر الأول** على مراسيمه باللغة العربية إلى جانب اللاتينية واليونانية، كما كلّف **روجر الثاني** الشريف الإدريسي بتأليف كتاب له عن جغرافية الأرض وأقاليمها فأنجزه له[1].

وحتى فرديريك الثاني في القرن الثالث عشر الميلادي، أحاط نفسه بالمظاهر العربية الإسلامية وبحاشية إسلامية إفريقية، حتى دُعِي بالإمبراطور الشرقي لأنّه كان يشجّع العلماء والجغرافيين والفلكيين والأدباء المسلمين، ويجمعهم حوله ويستعين بآرائهم ويُجلّهم.[2]

وبفضل الإسلام الذي حمله مسلموا القيروان والمسيلة والمهدية وجيجل وبجاية إلى هذه الجزيرة الصغيرة حجما والعظيمة تقدّما؛ انتقلت الحضارة إلى مدن جنوب إيطاليا: **أمالفي، سيرة، جنوة، بالرمو**، وغيرها، ومنها إلى فرنسا وكل بلدان غرب أوروبا ووسطها.[3]

وشملت جهود المسلمين الحضارية، ميادين كثيرة في الآداب والفلسفة والتاريخ والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية والطب والجغرافية والفنون، والصناعات وغيرها، وكان لشعوب المغرب الإسلامي دور بارز وتأثير كبير على أوروبا.[4]

ففي ميدان الأدب أثّرت الثقافة الإسلامية على الأدب الأوروبي، حيث يقول الباحث " روكسين جب " : " ولعل خير ما أسدته الآداب الإسلامية لآداب أوروبا أنها أثّرت بثقافتها وفكرها العربي في شعر ونثر العصور والوسطى "[5]، وتمكن بفضلها الأوروبيون من خلق نزعة جديدة في آداهم الأوروبية، حيث أن الأدب العربي الإسلامي المغربي كان له تأثير كبير على الدراسات النثرية الأوروبية لما تمتاز به آداب جنوب أوروبا من البساطة

---

[1]- يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، ص 51.

[2]- جمال الدين الشيال: أثر الإسلام والعرب في النهضة الأوروبية، القاهرة، 1970، ص ص 365- 398.

[3]- يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، ص 52.

[4]- نفسه: ص 57.

[5]- هاملتون أليكساندر روكسين جب: تراث الإسلام، بيروت، 1972، ص 189- 190.

وخيال خصب، وذلك راجع للتأثر بالبيئة العربية والتأثير العربي في أهل الأندلس ومسلمي صقلية وجنوب إيطاليا[1].

وأما في ميدان الفلسفة، فيعتبر ابن رشد وابن طفيل وابن باجة على أرس قائمة فلاسفة الغرب الإسلامي الذين أثّروا في فلسفة أوروبا، وحرّروها من الجمود، وساهمت تعاليم ابن رشد الفلسفية وتلاميذه من بعده في التأثير بالأوروبيين ودفعهم على التمرّد على الكنيسة وعصيانها والأخذ بمبادئ العقل والفكر الحر.[2]

وفيما يخص الرياضيات فلقد أثّر المسلمون تأثيرا كبيرا على بلدان أوروبا ، وخاصة إيطاليا، إذ برع المسلمون في هذا الميدان (الحساب والهندسة والجبر وحساب المثلثات والفلك)، ونقلوا أصول هذه العلوم من الإغريق والهنود ودرسوها واستفادوا منها، وأضافوا عليها تعديلات ومعلومات جديدة ، وعرّفوهم نظام الأعداد العشرية والصّفر اللذان يمثلان ثورة في علم الحساب والرياضيات، والمسلمون هم الذين اختاروا سلسلتي الأرقام الهندية والمستعملة حتى اليوم في بلدان المشرق الإسلامي، ومسلمو المغرب الإسلامي هم الذين استعملوا الدائرة صفرا، فنقلها الأوروبيون عبر الأندلس وبجاية وصقلية.[3]

ومن أعلام المسلمين في الرياضيات بالمغرب الإسلامي **مَسْلَمَة المجريطي**، وتلاميذه: ابن السمح وابن الصفار والكرماني وأمية بن الصلت.[4]

وفي ميدان الفلك، زوّد الفلكيون المسلمون بالمغرب الإسلامي أوروبا بالمعلومات الفلكية الهامة التي توصلوا إليها، ومن أبرزهم **إبراهيم الزرقالي** (1029ه/ 1087م) وجابر

1- غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، 1964، ص 474.

2- يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ والجزائر والعرب، ج1، ص 58.

3- نفسه: ص 58- 59.

4- زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، وأثر الحضارة العربية في أوروبا ، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، 1964، ص 80- 84.

ابن أفلح الإشبيلي و الحسن المراكشي وإسحاق البطروجي الإشبيلي ، وترجم تراثهم إلى اللغة اللاتينية وباقي اللغات الأوروبية الأخرى منذ القرن 13م.[1]

وفي ميدان الطب والصيدلة كان لبجاية ومعبر صقلية دور هام في إمداد أوروبا بتجارب مهمة في ميدان الطب والعلاج والجراحة والصيدلة، ومن أبرز الأطباء المسلمين المغاربة الذين أثّروا في أوروبا أطباء عائلة " ابن زهر " بمؤلفاتهم وتجاربهم، **وابن البيطار المالقي وابن حزم**، و **ابن الدارس البجائي**، وغيرهم من الذين ترجمت كتبهم ومؤلفاتهم عدة مرات إلى اللاتينية ــــ ويعتبر أبو القاسم الزهراوي القرطبي 936ه/ 1013م من الاطباء والجراحين الكبار في الغرب الإسلامي، الذي ابتكر عدة عمليات جراحية دقيقة في العيون والأسنان والولادة، ويعتبر الطبيب ابن الجزار أحمد بن إبراهيم الذي عاش في القيروان حتى توفي عام 1004م من روّاد الطب في المغرب الإسلامي ، وترجمت معظم كتبه إلى اللاتينية[2].

ومن أبرز الأطباء الأفارقة الذي كان له دور في إمداد الطب الأوروبي بمعلومات قيّمة **قسطنطين القرطاجي التونسي**، الذي ولد بقرطاجة عام 400ه/ 1009م، ونبغ منذ صغره في العلوم والمعارف الطبية، وسافر إلى العديد من المدن في المشرق والمغرب الإسلاميين للاستزادة بالعلم والمعرفة، ثم استقر بصقلية، وترجم العديد من المؤلفات العربية إلى اللاتينية ؛ ويعتبر من الرّوّاد الذين قدّموا الطب العربي والخبرة الطبية العربية الإسلامية إلى أوروبا ، وهو الذي فتح الطريق "لجيرارد لكردلموني" 1114م- 1176م ليبرز في المجال الطبي[3].

بالإضافة إلى أطباء آخرين اشتهر بهم المغرب الإسلامي، وتركوا بصماتهم في الطب الأوروبي مثل: **الحكيم الدّلسي أبي عبد الله محمد بن يحي بن عبد السلام** من مدينة دلّس، الذي

---

[1]- يحيى بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ والجزائر والعرب، ج1، ص 60- 61.

[2]- نفسه: ص 61- 62

[3]- جلال مظهر: أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، نهاية عصر الظلام وتأسيس الحضارة الحديثة، بيروت، 1967، ص 184- 191.

كان طبيبا وفقيها وكاتبا وأديبا، و **أميّة بن أبي الصلت وابن رشد وابنم ميمون ولسان الدين ابن الخطيب**؛ وكلهم أصحاب مؤلفات مشهورة وتجارب وخبرات واسعة[1].

ويتضح أن الطب الإسلامي المغاربي قدّم لأوروبا فوائد كثيرة ورائدة، تتجلّى في الكتب الجامعية التي تناولت معظم فروع علم الطب، وفي المعرفة الواسعة للعقاقير والأدوية[2].

كما نجد علم الجغرافيا الذي برز فيه الإدريسي الذي قام بعدة رحلات إلى الأندلس وبلدان المغرب الإسلامي، وجنوب فرنسا وإيطاليا، وصقلية واليونان وآسيا الصغرى وإنجلترا، ثم اتجه إلى صقلية واستقر بعاصمتها باليرمو؛ وحظي برعاية من طرف حاكمها " روجر الثاني " 11101م-1154م الذي كلّفه بوضع كتاب عن جغرافية الأرض، فأنجزه وسمّاه : **نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والآفاق و البلدان والمدائن وآفاق "**، وقد ترجمه الأوربيون وبقي مرجعا لهم طوال ثلاثة قرون[3].

لقد ساهم العلماء المسلمون؛ وكذلك المراكز الثقافية الحضارية بالمغرب الإسلامي بشكل كبير في إنارة الطريق لأوروبا لتنهض من نومها وتتخلص من تسلّط رجال الكنيسة فيها[4].

2- المشرق الإسلامي:

2-1- العلاقات التجارية:

عرفت منطقة المغرب نشاطا اقتصاديا هاما، ساهم في بعث الحركة التجارية مع مختلف الأقطار ومنها المشرق الإسلامي، حيث نجد أن معظم مناطقه كانت لها علاقات ومبادلات تجارية نشيطة عبر مختلف الطرق والمسالك التجارية.

---

[1]- يحيى بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ والجزائر والعرب، ج1، ص 64.

[2]- زيغريد هونكة: المرجع السابق، ص 263- 269.

[3]- جلال مظهر: المرجع السابق، ص 314- 329، وأنظر: أحمد توفيق المدني : المرجع السابق، ص 236- 237.

[4]- يحيى بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ والجزائر والعرب، ج1، ص 66.

فها هو المغرب الأقصى على عهد المرابطين يعرف علاقات تجارية مع بلدان المشرق مما سهل على تطوير العلاقات والروابط، ارتباط بلاد المغرب بطريق بري وآخر بحري سهلا عملية الاتصال المباشر بينهما، أما الطريق الأول فهو طريق الساحل[1] أما الطريق الثاني فهو طريق مصر – سجلماسة الذي تحولت إليه القوافل بعد هجرها لطريق مصر – غانة لما عرف عن هذا الطريق من مخاطر طبيعية كالعواصف الرملية[2] وأيضا هجمات اللصوص والفتن يعني هذا أن الطريق لم يكن مؤمنا، ويقول ابن حوقل: " وفيها الطريق من مصر إلى غانة، فتواترت الرياح على قوافلهم ومفردهم فأهلكت غير قافلة وأتت على غير مفردة وقصدهم أيضا العدو فأهلكهم غير دفعة فانتقلوا عن ذلك الطريق، وتركوه إلى سجلماسة."[3]

وبتحول الطريق على " سجلماسة " أصبحت مركزا لتجمع التجار المشارقة من الكوفة وبغداد والبصرة وأقاموا بها وذلك للإشراف على قوافلهم المتجهة إلى غانة وبلاد السودان[4] لتحمل الذهب وغيره من المنتوجات الأخرى الجنوبية لتعود بها إلى المشرق، ومما زاد على ثراء التجار المشارقة يقول ابن حوقل: " وكانت القوافل تجتاز بالمغرب إلى سجلماسة وسكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة والبغداديون الذين كانوا يقطعون ذلك الطريق، فهم وأولادهم وتجارتهم، دائرة ومفردهم دائمة وقوافلهم غير متقطعة إلى أرباح عظيمة، وفوائد جسيمة ونعم سابغة قل ما يدانيها في بلد الإسلام سعة لحال."[5]

كما اتسع نشاط التجار المشارقة إلى المدن الساحلية حيث كانت الموانئ المغربية ترد إليها السفن القادمة من مصر وبلاد الشام محملة بالبضائع المشرقية. فيذكر المؤرخ " ابن سعيد " أن مدينة " سبتة " كانت ترد إليها السفن المحملة بالقطن من مدينة " حلب "

[1]– ابن حوقل: المصدر السابق،ص ص 60-61.

[2]– عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص 154.

[3]– ابن حوقل: المصدر السابق،ص 61.

[4]– عيسى ابن الذيب: المرجع السابق،ص 154.

[5]– ابن حوقل: المصدر السابق،ص 61.

ليعم أرجاء بلاد المغرب الأقصى[1]، كما يشير أيضا إلى التجار الأغنياء بها وشرائهم للسفن الكبيرة بما فيها من بضائع هندية وغيرها[2].

وساعد الموقع الاستراتيجي لدولة بني حماد والظروف السياسية والاقتصادية على ازدهار التجارة في الدولة، خاصة وأنها تتمتع بسواحل طويلة ومراسي والأسواق[3] والروابط التجارية فكانت لها علاقات مع مصر لاسيما بعد قدوم جيش مغربي إلى مصر مع المعز لدين الله الفاطمي الذي كان له الأثر الكبير في فتح الطرق التجارية مع المشرق الإسلامي ومصر على الخصوص خاصة بعد تأمين الطرق البرية التي أصبحت منتظمة وواضحة التي سهلت العمليات التجارية[4]، ويذكر الإدريسي:" أن مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة والبضائع بها نافقة وأهلها مياسير تجار وبها من الصناعات والبضائع ما ليس بكثير من البلاد وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى، وتجار الصحراء، وتجار المشرق، وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة "[5]. بالإضافة إلى قلعة بني حماد التي كانت مركزا تجاريا هاما حيث يذكر البكري أنها مقصد للتجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب.

كما أن مدينة الجزائر كانت عامرة آهلة، وتجارتها مربحة وأسواقها فاتحة وصناعاتها نافعة، أما قسنطينة فكانت بها أسواق وتجار وأهلها مياسير ذو أحوال واسعة ومعاملات مع العرب.[6]

---

[1]– ابن سعيد: المصدر السابق،ص 154.

[2]– نفسه: ص 139.

[3]– مبخوت بودواية وآخرون: المرجع السابق،ص 149.

[4]– نفسه: ص 150.

[5]– الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق،ص 90.

[6]– نفسه: ص 64.

وساهم استقرار المرابطين بتلمسان في نشر الأمن والهدوء فكثرت الخيرات وازدهرت الصناعات، ولم تنقطع التيارات التجارية بين المغرب الأوسط والمناطق الأخرى وساعد في ذلك وجود شبكة كثيفة من الطرق سهلت الانتقال من مكان إلى آخر[1].

وظلّت المدينة تتمتع برواجها الاقتصادي رغم الأحداث السياسية الطارئة والمتجددة فمن حكم إلى آخر ظلّت تلمسان الموحدية مركزا تجاريا هاما، حيث يقول ابن خلدون أن سكان مدينة تلمسان كانوا أكثر الناس ثروة باستثناء أهل فاس وأغمات وأن هذه المدينة كانت سوقا يلتقي فيها التجار من كل مكان، فتذر هذه التجارة على أهل البلد الأموال الطائلة فيطيب لهم العيش وتحلو لهم الحياة، فمتى عظم الدخل عظم الخرج ومتى عظم الدخل والخرج اتسعت أحوال الساكن ووسع المصر[2].

ونشطت الحركة التجارية في تلمسان الزيانية حيث كان التجار يجوبون أنحاء البلاد لا يفتك بهم أحد فقوافلهم غادية رائحة وأسواق التجارة نافقة والتبادل قائم[3].

أما السلع التي كانت تصدر من المغرب إلى المشرق فنجد العنبر والحرير والأكسية الصوفية الرفيعة والدنية والصوف وكل ما يصنع منه، والحديد والرصاص والزئبق والخدم المجلوبون من أرض السودان وأرض الصقالبة[4].

وبلغ التين المالقي إلى مصر[5]، والفستق القفصي إلى مصر[6]، والزيت الإشبيلي إلى المشرق والزيت الصفاقسي إلى مصر[7]، والثياب النفزاوية إلى مصر، والأقمشة الكتانية التونسية

---

[1]ـ محمد بن عمرو الطمار: تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 50.

[2]ـ ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، ط1، ص 316.

[3]ـ محمد بن عمرو الطمار: المرجع السابق، ص 94.

[4]ـ ابن حوقل: المصدر السابق، ص 97.

[5]ـ ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، المصدر السابق، ص 93.

[6]ـ مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 154.

[7]ـ البكري: المصدر السابق، ص20، وأنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، ص107، وأنظر أيضا: الاستبصار: ص 116-117.

إلى أقطار شتى[1]، كما يصدر الوشي المذهب من الأندلس إلى المشرق[2]، والكبريت الأحمر المرسي يصدر إلى الهند والشام والعراق وأقطار أخرى[3].

بالإضافة إلى الخيول العربية والبربرية والسمك المقدد والجلود المدبوغة والمصبوغة التي تستعمل للدباغة مثل القشور المعروفة بالقشور البجائية، وكانت تشمل هذه الجلود جلود البقر والغنم والخيول والماعز والجمال، بالإضافة إلى القمح والشعير والفستق واللوز والتين المجفف والقطن والمرجان الذي اشتهرت به دولة بني حماد حيث كان يكثر بسواحل عنابة ومرسى الخرز[4]، الذي كان يكثر فيه معدن المرجان ويقصده التجار من سائر البلاد ليخرجون منه الكثير وكانت تصدر هذه المادة نحو المشرق واليمن والهند والصين[5].

كما برزت ألمرية[6] ومرسية[7] ومالقة؛ كأهم مراكز لتصدير الحلل الموشية التي لقيت رواجا كبيرا في الإسكندرية والشام، والديباج والأقمشة التي تصل إلى مصر واليمن ومكة[8].

وفي المقابل نجد أن السفن المشرقية تخرج بالحنطة من ميناء ماسة[9] قاصدة ميناء الأبلة[10]، ومنه إلى الصين. وبالتالي فقد ربط التجار بين بلاد المغرب والمشرق، والذي ساهم في تشجيع التبادل التجاري بين بلدان المغرب ومصر ووقوعها في طريق قوافل الحج حيث نجد

---

[1]- ابن سعيد: المصدر السابق، ص ص 109-220.

[2]- المقري: نفح الطيب، ج1، المصدر السابق،ص 201.

[3]- ابن سعيد: المصدر السابق،ص 31.

[4]- مبخوت وآخرون: المرجع السابق،ص 151.

[5]- نفسه.

[6]- ألمرية: من أشهر مراكز الأندلس بناها عبد الرحمن الناصر عام 334ه وهي في الجنوب الشرقي للأندلس، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 130.

[7]- مرسية: مدينة على نهر شقورة بناها عبد الرحمن الثاني الأموي، أنظر: المصدر نفسه، ص 114.

[8]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص 145.

[9]- ماسة: يسميه الإدريسي مرسى ماست ويقع على المحيط الأطلسي ويبعد عن مرسى آسفي بمائة وخمسين ميلا، أنظر: الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق،ص 74.

[10]- الآبلة: مدينة في العراق تبعد عن البصرة أربعة فراسخ ويعد هذا المرسى مرفأ الصين وما دونها، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 98.

الحجاج المسافرين لتأدية فريضة الحج وفي الغالب تكون هذه القوافل محملة بالبضائع المغربية ويشير المؤرخون إلى العديد من القوافل منها قافلة للحج خرجت من وادي سبو متجهة إلى المشرق سنة 503ه/1109م وكانت هذه القوافل محملة بالبضائع المغربية خاصة الذهب سواء تبرا كان أو مسكوكا[1].

ولعب التجار اليهود دورا نشيطا وكبيرا في التجارة الخارجية خاصة مع مصر بفعل القرابة العائلية التي ربطت بين تجار اليهود المشارقة والمغاربة[2] ، حيث يشير البكري إلى تواجد جالية معتبرة منهم في " فاس" فيقول: " وهي أكثر بلاد المغرب يهودا يختلفون منها إلى جميع الأفاق."[3] كما يذكر الحميري تفضيل اليهود السكن في سجلماسة للاكتساب لعلمهم أن التبر متوفر بها[4].

وبالتالي فقد تركز اليهود على طول الخط الرئيسي لتجارة السودان ساعدهم في إقامة علاقة تجارية مع التجار المشارقة الذين يصلون هذه المدينة، ولقد برع اليهود[5] في التجارة عامة وبوجه خاص مع المشرق فكثر ثراؤهم في فاس بفضل عملهم في الصياغة والصيرفة[6].

وتميزت العلاقات التجارية بين التجار المغاربة والمشارقة، فنجد أن التجار المشارقة كانوا يتخذون من الوكالة نظاما لهم، فالوكيل هو الذي يوزع البضائع على الشركاء وقت وصول التجار المشارقة ويقوم ببيع بضائعهم، كما يقوم لهم مقام المصرف حيث يودعون أموالهم عنده وعن طريقه يتم الدفع[7].

1- عيسى بن الذيب: المرجع السابق،ص 156.

2- نفسه: ص 157.

3- البكري: المرجع السابق،ص 115.

4- الحميري: المصدر السابق، ص 307.

5- وصفهم صاحب الاستبصار بأهم تجار هذه البلاد وأغنياؤها وخاصة مدينة فاس، أنظر: الاستبصار: المصدر السابق، ص 202.

6- نفسه :ص 202، وأنظر : حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، المرجع السابق،ص 371.

7- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص ص 158-159.

ونتيجة لهذه المعاملة التجارية أصبح للتجار المشارقة أصدقاء من التجار المغاربة وصارت بينهم علاقة مودة ومراسلات، ومن بين المراسلات نجد أن أحد تجار الإسكندرية كتب إلى صديقه التاجر بالقاهرة يخبر فيها أن صديقه التاجر بمدينة فاس قد أرسل إليه قضيب من الذهب بهدف بيعه وشراء حرير أندلسي لحسابه[1].

كما كان التجار المشارقة والمغاربة يؤدون الخدمات التجارية فيما بينهم فهذا تاجر من فاس بالمغرب الأقصى يقدم معروفا لأحد التجار من مصر كما أنّ صديقا من فاس — لم يذكر اسمه — أرسل يطلب عملية تجارية لبيع بعض العطور الشرقية[2].

وساهم الأندلس في العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والمشرق، حيث أدى دور كبير في تسويق منتجاته إلى المشرق عبر موانئها التي تقصدها سفن المشرق خاصة من الإسكندرية[3] والشام[4]، فبالإضافة إلى المواد السالفة الذكر نجد أيضا الطين الذي يستخرج من موضع بالقرب من اشبيلية ليعم مصر والشام والعراق[5]، وما يدل دلالة واضحة على العلاقات القائمة بين بلاد الأندلس والمشرق ما يذكره " عبد العزيز سالم " عن وجود قبور بمدينة ألمرية تحمل أسماء بعض التجار، أحدهما اسكندري الأصل وآخر شامي الأصل[6]. وقد برز عدد كبير من التجار المغاربة الذين مارسوا نشاطا تجاريا كبيرا، حتى أصبحوا يشكلون بيوتا تجارية كبرى في مصر[7].

---

1 – جمال أحمد طه ذنون: المرجع السابق، ص 242.

2 – نفسه.

3 – الإسكندرية: مدينة مشهورة في مصر وهي مدينة على نهر بحر الروم رسومها بينة وآثار أهلها ظاهرة تنطق عن ملك وقدرة... للمزيد من التفاصيل أنظر: ابن حوقل: المصدر السابق،ص ص 150–151، وأنظر أيضا: محمد العبدري البلنسي: المصدر السابق، ص 142، وأنظر كذلك: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 193.

4 – الحميري: المصدر السابق،ص 538.

5 – الإدريسي:نزهة المشتاق، المصدر السابق،ص 188.

6 – عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية — قاعدة الأسطول الأندلسي– ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1984، ص 170.

7 – عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: البيوت التجارية المغربية بالقاهرة في القرن 16م، المجلة التاريخية، العدد 119، السنة 32، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، جوان2005، ص 89.

2-2- الروابط الثقافية بين مدن المغرب ومدن المشرق:

عرفت العلاقات الثقافية والتبادل العلمي نمواً طيلة الحكم الإسلامي، وعلى مدى قرون وقرون عديدة بين المشرق والمغرب، وهذا تؤكده الصلات بين العلماء والفقهاء والشعراء والمحدثين، فقد كانت كل من البصرة والكوفة وبغداد والقيروان، تاهرت وفاس وتلمسان مراكز الإشعاع العلمي والثقافي[1].

ولقد عقدت في مساجد العواصم ورباطات السواحل حلقات العلم والمناظرة فضلا عن الأسواق التي ضمت بين أهلها أجلة المشايخ الذين أصبحت بيوتهم معاهد حقيقية لطلبة العلم، كما اجتمع الأمراء بالعلماء والفضلاء والأطباء والشعراء والوافدين من المشرق[2]، وكان للعلماء دور هام رغم القطيعة السياسية بين بلاد المشرق والمغرب، حيث ارتحل علماء المغرب إلى المشرق وعلماء المشرق إلى المغرب من أجل طلب العلم والاستفادة من بعضهم البعض، فنجد مثلا رحل علماء المغرب إلى دمشق وبغداد والبصرة، ومنهم من قصد المدينة وأخذ عن إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس، وتتلمذ على يده ثم عاد إلى المغرب ليلقن الناس ما تلقاه[3].

ومن العلماء " الإمام سحنون " الذي رحل في سنة 188ه إلى مصر ودرس بها على كبار أصحاب مالك خصوصا " عبد الرحمن ابن القاسم " وعليه كان اعتماده في تحرير المدونة[4] ، كما أخذ بالحجاز على جماعة من المحدثين والفقهاء، وكانت دعوته سنة 191ه[5] ليلقّن ما تعلمه لطلابه بالمغرب، كما كان الفضل الكبير إلى أسد بن الفرات الذي رحل إلى بلاد المشرق، وواظب على دروس الإمام مالك ودون خلاصة مشاهداته وتجاربه في كتابه

---

[1]- رشيد الزواودي: التبادل العلمي بين المشرق والمغرب، مجلة الحضارة الإسلامية والمغرب، العدد1، تصدر عن المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران 1993،ص 325.

[2]- سعد زغلول: المرجع السابق،ص 351.

[3]- تمامي نقرة: المرجع السابق،ص 43.

[4]- المدونة: في المسائل المجردة، مسائل حقيقية والأحكام أحكام الملك وصحبه وتشتمل على نحو ستة وثلاثون مسألة، أنظر: أحمد أمين: ظهور الإسلام،ج1،ط3،ص 298.

[5]- رشيد زواودي: المقال السابق،ص 331.

" في تاريخ الفقه الإسلامي " باسم الأسدية وبذلك بدأ المذهب المالكي يشهد سرعة الانتشار ووجد له مكان في أوساط بلاد المغرب[1].

كما قدم إلى المغرب إسحاق بن عمران البغدادي وهو طبيب بعد طلبه " زيادة الله بن الأغلب "، ومن خلاله ظهر الطب بالمغرب وعرفت الفلسفة[2]، وتتلمذ له في القيروان " إسحاق ابن سليمان الإسرائيلي " الذي ألف بدوره في الطب والحكمة والمنطق، وقد خدم الأغالبة، وممن برزوا في مجال الشعر " بكر بن حماد الزياني " الذي رحل إلى المشرق ودخل البصرة والكوفة، ولقي بعض كبار شعرائها كأبي تمام وعاد إلى القيروان وغلب على شعره الوعظ والزهد[3].

كما ساهم الرستميون في النهضة العلمية والثقافية، نظرا لتشجيع أئمة الرستميين لها حتى أنهم كلما ظهر في المشرق كتاب يهمهم جلبوه إليهم وزودوا به مكتباتهم[4].

وتعد مكتبة المعصومة أكبر مكتبة في المغرب كله أنشأها بنو رستم لجمع الكتب النادرة، لأنهم اعتنوا بالعلم بجميع فنونه وفيه الأدباء والشعراء، وكانت تشتمل على ثلاثمائة ألف من النوادر والمخطوطات ونفائس الكتب[5].

كما ساهمت مختلف المؤسسات في ربط العلاقات الثقافية بين القطرين حيث كانت المساجد تعد من أكبر المعاهد الثقافية لدراسة الحديث والفقه واللغة، وبذلك تنوعت العلوم وأصبح الكثير من هذه المساجد مراكز هامة للحركة العلمية[6]، وبرز مسجد البصرة الذي كان فيه حلقة من أجل الجدل وبجانبه حلقة من الشعر والأدب، حيث كانوا يحضرون هذه الحلقات من شعوب وديانات مختلفة؛ وهكذا صارت الثقافات التي كان للإسلام أثر في

---

1 ـ محمد أبو زهرة: مالك، حياته وعصره، آراؤه وفقهه،ط2، دار الفكر العربي، القاهرة (د.ت) ،ص 343.

2 ـ تمامي نقرة: المرجع السابق،ص 58.

3 ـ أحمد أمين: ظهور الإسلام،ص 301-302.

4 ـ رابح بونار: المغرب العربي، تاريخه وثقافته،ط3، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1968، ص 64.

5 ـ سليمان داود بن يوسف: حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، مطبعة أبو داود، الجزائر، 1993،ص 63.

6 ـ حسن علي حسن: تاريخ الإسلام، ج2،ص 284.

مزجها، تلتقي في تلك المراكز التي أصبحت مراكز إشعاع حضاري ومنبعا يدور منه العلماء والأدباء[1]، ومن بين هذه المراكز: بيت الحكمة ببغداد، وفي القيروان والمعصومة...

وتعتبر بيت الحكمة أول معهد علمي أنشأ في الإسلام أقامه الخليفة **جعفر المنصور** وأشتهر أمره في خلافة **الرشيد** ثم **المأمون**[2] وكان المنصور مولعا بعلوم الحكمة من الطب والفلك والهندسة وهو أول من راسل ملك الروم في طلب الكتب العلمية فبعث إليه كتاب " إقليدس " وبعض كتب الطبيعيات، واجتمع بها نخبة من العلماء الذين ترجموا المؤلفات إلى العربية، وأصبحت تعقد بها ندوات ومجالس علمية[3].

وبيت الحكمة الموجود بالقيروان والتي تأسست سنة 265ه أنشأها إبراهيم بن الأغلب وأسندت رئاستها إلى " أبي ياسر الشيباني "[4] وجلبوا الكتب اليونانية واللاتينية وتعد من أرقى مدارس العصر تدرس فيها العلوم على اختلافها من عقلية ونقلية، ومنها كانت تخرج طبقة مثقفة من تلك البلاد[5] واستقدم إليها إبراهيم عددا كبيرا من علماء الفلك والطب والنبات والرياضيات من المشرق، وكان يبعث كل عام وأحيانا كل ستة أشهر سفارة إلى بغداد لاقتناء الكتب المشرقية[6].

والمكتبة المعصومة التي أسسها ابن رستم وتعد من أجمل المكاتب العربية في ذلك العصر، جمع فيها الرستميين العديد من الكتب القيمة في مختلف العلوم والرياضيات[7]. ويذكر أن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بعث ألف دينار إلى إخوانه من أهل المشرق بالبصرة ليشتروا بها الكتب فلما وصلهم الألف اجتمعوا واتفقوا بأن يشتروا بها زفافا ويجعلوا من أنفسهم الحبر

---

[1]- حسن علي حسن: تاريخ الإسلام، ج2،ص 284.

[2]- عبد العزيز سالم: محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2004.ص 199.

[3]- نفسه:ص 195-200.

[4]- الشيباني: هو إبراهيم ابن أحمد الشيباني المعروف بالترياضي، أصله من بغداد استقر بالقيروان بعد أن طاف العالم وجلب منها الكثير من الكتب، أنظر: تمامي نفزة: القيروان عبر العصور،ص 58.

[5]- أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ط2، دار المعارف، الجزائر، 1963،ص 76.

[6]- عبد العزيز سالم: محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية،ص 202.

[7]- أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المرجع السابق،ص 76.

والأقلام[1]، وأخذوا بالنسخ، فنسخوا له أربعين حملا من الكتب وقد اشتغل عبد الوهاب في دراسة هاته الكتب وقيل أنه قال: " إنني لن أستفيد من كتب المشرق إلا ثلاثة مسائل جديدة " وهذا يدل أن المغرب كان في درجة المشرق في العلم[2].

ولقد جاء التواصل العلمي والثقافي بين المغرب والمشرق الإسلامي عن طريق أعلام اختاروا عن طواعية نشر العلم في جزء أو في أجزاء من المغرب لإسلامي، وهم خير مثل للتبادل العلمي، الذي جاء عن طريق سفرياتهم، إما لمزيد الاستفادة والمناظرة وإما للتدريس بالمساجد أو نسخ بعض المخطوطات[3].

كما أن الرّحلة في طلب العلم أمرا شائعا بين طلاب العلم في العصر الإسلامي، حيث كانت فكرة ضرورة الأخذ عن الشيخ مباشرة والجلوس إليه لها أهمية كبرى في التعليم في تلك الفترة، وشملت الرحلة العلمية تدفق طلاب العلم من مدينة فاس على مراكش والأندلس وكثر طلاب العلم الذين وفدوا على الأندلس من مدينة فاس لينهلوا العلم من معاهدها حتى أن الكثيرين من علماء وقضاة فاس كانوا قد تلقوا تعليمهم في مراكز العلم الأندلسية.

وقام طلبة فاس برحلات علمية إلى المشرق، يقظون فيها الأعوام الكثيرة من أجل نَهل العلم ولقاء الشيوخ، فنجد مثلا محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي المتوفي عام 604ه/1207م، قد رحل إلى المشرق ولقي هناك أكثر من مائة شيخ أخذ عنهم، وجمع في ذلك فهرست سماه " **النجوم المشرقة في ذكر من أخذ عنه من كل ثبت وثقة**" ولقد أثرت الهجرة العلمية في ازدهار الحركة.

كما أنّ معظم دول المغرب قد ربطتها علاقات قوية أدت إليها رابطة الجوار والإسلام من جهة، ورابطة الخلافة من جهة ثانية، ورابطة الخطر المشترك الذي يهدد العالم الإسلامي من

---

[1] – السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، ص 576.

[2] – محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص 373.

[3] – رشيد الزواودي: المقال السابق، ص 333.

جانب الغرب المسيحي الأوروبي ومن جهة ثالثة، ورابطة الحج لأن مصر تقع على الطريق الرئيسي الذي يوصل حجاج المغرب إلى أرض الحجاز من جهة رابعة[1].

ويبدو أنّ القافلة التي تبدأ من القاهرة تتجه أولا صوب المغرب إلى أوجلة، ومرزوق، وهناك تتصل بقافلة أخرى من طرابلس فيتجه بعضها نحو الجنوب إلى كانم برنو.

ويبدو أنه منذ منتصف القرن 10ه/ 16م، حفلت بلاد السودان الأوسط والغربي بالآلاف من المسلمين الوطنيين والمستوطنين، ومن الرحالة والتجار المسلمين من شتى أصقاع العالم الإسلامي: من المشرق ووادي النيل بصفة خاصة، ومن بلاد المغرب العربي في شمال إفريقيا، كما سافر عدد كبير من المسلمين الوطنيين في غرب إفريقيا لأداء فريضة الحج، وطلب العلم في القيروان وفاس والأزهر وفي مكة والمدينة[2].

وكان المرتحلون من المغرب إلى المشرق سواء للحج أو لطلب العلم أو التجارة، يتبعون دروبا ومسالكا برية، كانت توصلهم إلى مصر ومدنها، ومنها إلى الحجاز[3] وبلاد الشام.

ويعتبر السفر لأداء الحج، رغم مشاقه ومصاعبه، وبعد المسافة بين المغرب والمشرق، أحد أهم عوامل الاتصال بين المغرب والمشرق، حيث كان المسلمون حريصين على السفر إلى البقاع المقدسة، ويؤكد ابن عبّاد الرّندي[4] في إحدى رسائله، حيث يقول:" **المشي إلى الحج في هذه الأزمنة مما يعظم حرص الناس عليه وتميل نفوسهم إليه، ويؤثرون المشقة والقلة والغربة اللازمة له على الراحة والجدة والإقامة** "[5].

---

[1]- سيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ط2،دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1972، ص 234.

[2]- سيد أحمد العراقي: تجارة القوافل بين الشمال وغرب إفريقيا وأثرها الحضاري، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد 1984، ص 155.

[3]- عبد الرحمن بالأعرج: العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2007-2008، ص 108.

[4]- ابن عباد الرندي: هو الشيخ الصوفي أبو عبد الله محمد بن عباد النفزي الحميري الرندي(733- 792ه/ 1332-1390م)، من كبار علماء الأندلس، له كتاب التنبيه الذي وضعه على حكم ابن عطاء الله السكندري(ت709ه/ 1309م)، أنظر: أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، طبع على هامش الديباج لا بن فرحون، مصر، 1351ه، ص 279- 281.

[5]- عبد الرحمن بالأعرج: المرجع السابق، ص 110.

وعملت الدول على تمهيد الطرق وتأمينها وإقامة دليل لركب الحجيج المغاربة، وكذلك بالمراسلات مع سلاطين المماليك وشكرهم على ما كانوا يبذلونه لإنجاح مواسم حج المغاربة إلى البقاع المقدسة[1].

وكان ملوك المغرب عامة قد اعتادوا بعث المصاحف والربعات الشريفة وحبسها على الحرمين، وكانوا يكلّفون الشخصيات والعلماء للقيام بهذا الدور الهام[2].

وكان ركب الحجيج المغاربة ينطلق من المغرب الأوسط باتجاه مصر، وهو يتكون من عدة فئات من المجتمع ممن لهم القدرة على إقامة ركن الحج، وخاصة من الطلبة والعلماء الذي كان هدفهم من رحلة الحج لقاء العلماء والاحتياط بهم وتبادل المعارف معهم والأخذ والاستفادة من علمهم[3].

كما وفرت قافلة الحج عند مرورها بمصر ذهابا وإيابا للطلاب والعلماء، من المغرب عامة فرصة الالتقاء بالفقهاء والمشايخ وأعيان العلماء المصريين الذين ذاع صيتهم في المشرق والمغرب، فيتم التبادل الثقافي والعلمي.وعند عودة الركب إلى المغرب كانت تنشر أخبار مصر والعلماء ما كان يُرَغّب الطلبة أكثر في الارتحال إليها[4].

وأخذ المشارقة يأخذون العلم من المغاربة في إطار تبادل ثقافي ميّزه وجود عدة علماء وطلبة من عدّة أقطار إسلامية في مكان واحد، مما سهّل عملية الاتصال والأخذ والعطاء العلمي والثقافي، وإطلاع كل شخص على المستجدات العلمية الحاصلة في بقاع العالم الإسلامي[5].

---

[1]– عبد الرحمن بالأعرج: المرجع السابق، ص 110.

[2]– ابن الخطيب: تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006، ص 119.

[3]– القلصادي أبو الحسن: رحلة القلصادي تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب، تحقيق :محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص 135.

[4]– عبد الرحمن بالأعرج: المرجع السابق، ص 111.

[5]– ابن بطوطة: المصدر السابق، ج1، ص 165– 166.

وبذلك فإن رحلة الحج توفر فرصة ثمينة تمتزج فيها أفكار علماء المغرب والمشرق، ويتم من خلالها تعرّف العلماء على بعضهم البعض شخصيا، بعدما كانوا يتعارفون عن طريق المراسلات والمؤلفات، فيعرف كل عالم قدره ومكانته عند الآخرين، ومدى توافق أفكاره وآرائه مع أفكار أقرانه من علماء الأقطار الإسلامية[1]، ويحصل المزيد من العلم بلقاء كبار علماء مكة والمدينة المنورة، ولا تكاد تخلو ترجمة عالم من المغرب الأوسط من وجود شيوخ له أخذ عنهم بمكة والمدينة أو أخذوا عنه، وكان ذلك من فضائل وخصال رحلة الحجّ في المجال الثقافي.[2]

كما ساهمت الرحلة في طلب العلم في تقوية الاتصال الثقافي بين الأقطار، خاصة وأنّ الطلبة في المغرب كانوا لا يكتفون بما يحصّلونه في مدنهم من المعارف والعلوم، بل كانوا يشدّون الرّحال إلى مختلف أقطار العالم الإسلامي مشرقا ومغربا من أجل الاستزادة من العلوم والتعمق فيها[3]، ورغبتهم في المزيد من العلوم والتحصيل دفعهم إلى التنقل إلى جامع الزيتونة بتونس، وإلى جامع القرويين بفاس، وكذلك غرناطة وبجاية في المرحلة الأولى، ثم كانوا يشدون الرّحال إلى مصر أين كانت تتوفر بها المدارس والخانقاوات وكبار المدرّسين والشّيوخ[4].

وكانت الرحلة في طلب العلم توفر للطلبة مجموعة من الفوائد منها:

- الالتقاء بالمشايخ والعلماء والاحتكاك بهم والأخذ عنهم.
- أخذ العلم عن طريق الرواية بدلا من أخذه عن طريق الكتب.
- التعرّف على مناهج التعليم والتخصّصات العلمية المختلفة[5] .

[1]- عبد الرحمن بالأعرج: المرجع السابق، ص 111.

[2]- القلصادي: المصدر السابق، ص 134- 135.

[3]- لخضر عبدلي: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005، ص 99.

[4]- عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق، ج2، ص 327.

[5]- عبد الرحمن بالأعرج: المرجع السابق، ص 112.

- التعرّف على البلدان والشعوب وثقافاتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وإمكانية التبادل الثقافي بين المجتمعات الإسلامية[1].

وكان الطلبة المغاربة يلقَوْن الحفاوة والترحيب بمصر، حيث كانوا طبقة متميّزة عن الطلبة الآخرين كالسودان[2]، والعجم[3]، وأهل ريف مصر، فقد خصّص لهم رواق خاص بهم بالجامع الأزهر، الذي يعدّ الجامعة الأولى في العالم الإسلامي من حيث العلوم التي كانت تدرّس به، وكذلك العدد الكبير من الطلبة الذين كانوا يدرسون فيه.

وعُرف رواق المغاربة بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه والاشتغال بأنواع العلوم، كالفقه والحديث والتفسير، والنحو ومجالس الوعظ وحلقات الذّكر[4]. ووجود رواق المغاربة بالجامع الأزهر بجوار الطوائف الأخرى كان من شأنه أن ينتج للطلبة القادمين من المغرب الاحتكاك بالطلبة الآخرين القادمين من باقي الدول الإسلامية، وهو ما أنتج جوّاً من التبادل الثقافي تمثل في المناظرات وتبادل الآراء، والاستفادة المتبادلة بين الطلبة والعلماء، وذلك ما كان سبباً في توسيع أفق طلاب العلم وتعمقهم أكثر في مسائل العلوم بتخصصاتها المختلفة[5].

وكان للأساتذة دور كبير في دفع الطلبة إلى الارتحال لطلب العلم، كما كان التوجّه إلى مصر نابعا من الرّغبة في العلم، وكذلك لما كان يتوفّر من عناصر الجذب، من الإقامة والأرزاق، وعناية سلاطين المماليك بالطلبة والعلماء الوافدين عليهم، وفي ذلك يقول ابن خلدون: " ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر، فهي أم العالم وإيوان الإسلام وينبوع العلم والصّنّاع"[6].

---

[1]- لخضر عبدلي: المرجع السابق، ص 100.

[2]- كان للطلبة السودانيين مدرسة خاصة بهم لدراسة المذهب المالكي بمصر، أنظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 281.

[3]- العجم: هم الروم أو السلاجقة وكان منهم الكثير من الصوفية بمصر، أنظر: ابن بطوطة: المصدر السابق، ج1، ص 56.

[4]- عبد الرحمن بالأعرج: المرجع السابق، ص 114.

[5]- القلصادي: المصدر السابق، ص 126-127.

[6]- ابن خلدون: المقدمة، ص 1051.

ومن أهم المنشآت التي خصصت للطلبة المغاربة، بما فيهم طلبة المغرب الأوسط بمصر:

أ- **رواق المغاربة بالجامع الأزهر:** قصد المغاربة مصر لأخذ العلم عن كبار علمائها، واشتهر المماليك بترحيبهم وإكرامهم للوافدين عليهم، فقد كثر عدد من ارتحل من المغرب إلى مصر، واستمرت حركة الرحلة من المغرب إلى المشرق منذ القدم رغم الاضطرابات السياسية، واختلال الأمن عبر المسالك، بسبب الثورات الداخلية والحركات العسكرية للصليبيين ضد بلاد المغرب والمشرق وشواطئهما[1].

ب-**دار المغاربة بالإسكندرية:** كانت الإسكندرية إحدى أهم المراكز الثقافية بمصر، وقد وصفها الرّحالة والجغرافيون وبيّنوا مدى اتساع عمرانها، وكثرة مرافقها الاجتماعية، والتجارية، والثقافية، فقال عنها الإدريسي: " **حصينة الأسوار، ناهية الأشجار، جليلة المقدار، كثيرة العمارة، رائجة التجارة، شامخة البناء، ...شوارعها فساح...**"[2]. وعبّر عنها المقديسي بقوله: " **قصبة نفيسة على بحر الروم، عليها حصن منيع ، وهو بلد شريف كثير الصالحين والمتعبدين...**"[3].

وكانت الإسكندرية تضم الكثير من المؤسسات الثقافية والتعليمية، وبلغ عدد مساجدها، حسب تقدير بعض المؤرخين حوالي 12 ألف مسجد[4]، منها "جامع العطارين"، كما اشتهرت بمدارسها "كالمدرسة العدلية "، التي كانت مخصصة للمذهب الشافعي، و" المدرسة العوفية "نسبة للحافظ أبي الطاهر بن عوف الزهري(ت581ه/ 1185م)، تلميذ الطرطوشي، وخصصت للمذهب المالكي، وكذلك "مدرسة ابن الجارة " للفقهاء المالكية [5].

---

[1]- عبد الرحمن بالأعرج: المرجع السابق، ص 114.

[2]- الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 196- 197.

[3]- المقديسي: المصدر السابق، ص 196- 197.

[4]- ابن جبير: المصدر السابق، ص 11.

[5]- عبد الرحمن بالأعرج: المرجع السابق، ص 116.

وقصدها(الإسكندرية) الطلبة المغاربة أكثر من غيرها، إضافة إلى مؤسسات القاهرة، كما عمل صلاح الدين الأيوبي على إنشاء دار للمغاربة بالإسكندرية سنة 577ه/ 1181م، وكان هدفه منها نصرة مذهب السّنة، وكذلك تحويل المغاربة المقيمين بالإسكندرية عن المذهب الشيعي، خاصة المغاربة الذين قدموا مع الفاطميين.

وكانت دار المغاربة خلافا لمدارس الإسكندرية التي كانت مخصصة للفقه الشافعي أو المالكي، شاملة لجميع المذاهب السنية، إضافة إلى فروع العلم المختلفة، وجُعلت لطلاب العلم والمتعبدين الوافدين من بلاد المغرب إلى الإسكندرية، وعبّر أحد الكتّاب عن دار المغاربة بالإسكندرية، بأنها كانت عبارة عن جامعة إسلامية، وبذلك عُرف النظام الجامعي والتخصص في فروع العلم، والاهتمام بالمغتربين من الطلبة، وتقديم الخدمات العلمية، والصحية، والاقتصادية، والاجتماعية، للتفرغ لطلب العلم عن طريق دار المغاربة بالإسكندرية[1] .

3- السودان الغربي:

3-1- العلاقات التجارية:

لعبت الصحراء الكبرى في تاريخ السودان الغربي[2] ما لم يلعبه المحيط الأطلسي من الأدوار الحضارية العامة، فقد كانت طرق القوافل الصحراوية إلى السودان الغربي بمثابة معابر، انتقلت من خلالها الحضارة الإسلامية من المغرب إلى السودان الغربي[3] .

---

[1]- محمود زيتون: الحافظ السّلفي أشهر علماء الزمان، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ت)، ص 116- 117.

[2]- السودان: تطلق كلمة السودان على الأقوام التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى، فسمّوا بلادهم ببلاد السودان، التي يحدها من الشمال الصحراء الإفريقية الكبرى، وجنوبا درجة 10° شمال خط الاستواء، والمحيط الأطلسي من الغرب ، وينقسم السودان إلى ثلاثة أقسام: السودان الشرقي، والسودان الأوسط والسودان الغربي، هذا الأخير يطلق على إفريقيا الغربية التي تقع إلى الجنوب ، يحدها شرقا بحيرة التشاد وغربا المحيط الأطلسي وجنوبا خليج غينيا، أنظر: يحي بوعزيز : تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى 20م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص 9.

[3]- الأمين عوض الله: تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى نهاية القرن 16م، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1983، ص ص 69- 70.

ولقد كان لتوحيد السودان والمغرب الأقصى والأندلس[1]، بعيد الأثر في التجارة الداخلية والخارجية في عهد دولة المرابطين[2]، فقد شهدت الأسواق التجارية في كل من المغرب، والأندلس، وبلاد السودان الغربي حركة تجارية نشيطة؛ وهذا راجع لعدة عوامل منها:

الاستقرار السياسي الذي شهدته البلاد، إذ أصبحت السلطة السياسية في يد أمراء المرابطين الذين عملوا على نشر الأمن والاستقرار؛ هذا ما شجع الاتصال التجاري بين المدن المختلفة والبعيدة[3] ، ووجود سلطة مركزية قوية تشجع على التجارة وتعمل على حماية الطرق والتجّار وتوفير كل ما تحتاجه القوافل وغيرها من المدن المغربية والأندلس والسودان الغربي[4].

ومن أهم الطرق والمسالك التجارية على العهد المرابطي، وخاصة من المغرب الأقصى إلى بلاد السودان نجد:

---

[1]- الأندلس: تأخذ شكل مثلث يحيط بها البحر من جميع الجوانب فجنوبها يحيط به البحر الشامي (البحر المتوسط)، وشمالها وغربها يحيط بهما البحر المظلم (الأطلسي) ، وحدُّها الشرقي جبال ألبرنيه الذي يفصلها عن أوربا، أما عن إفريقية فيفصلها عنها جبل طارق، أنظر: عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ص 13- 14، وأنظر أيضا: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، مج2، ص 525.

[2]-المرابطين: أطلق عليهم اسم الملثمون لاتخاذهم اللثام ، وقد تميزوا به عن مختلف القبائل المنتشرة بشمال إفريقيا، وينتمون إلى قبيلة لمتونة البربرية إحدى بطون صنهاجة البربرية، التي يتفرع منها عدة بطون: مسوفة، جدالة ولمطة، أسسوا دولتهم من منطقة الصحراء الغربية الواقعة جنوب وادي درعة مما يلي المحيط الأطلسي والمتصلة بشمال بلاد المغرب الأقصى، وجنوبا ببلاد السودان، أنظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 371.

[3]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 135.

[4]- أبو عبد الله بن أبي القاسم القيرواني ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، ط3، المكتبة العتيقة، تونس، (د.ت)، ص ص 107- 109.

الطريق الشرقي: يبدأ من تلمسان[1] عبر وجدة وفاس، صفروي، سجلماسة ودرعـــة[2] وتامدلت، أودغشـــت ثم بلاد السودان، أو من سجلماسة إلى غانة[3] مباشرة، وذلك لأن المرابطين قد سيطروا على هذه المناطق خلال مرحلة الفتح.

الطريق الغربي: من تلمسان فوجدة وفاس؛ ثم يتجه إلى الغرب ناحية " مكناسة الزيتون"، جبال فزاز، تادلا عبر جبال درن، أغمات، أودغشت، أو أغمات سجلماسة[4] ومنها إلى بلاد السودان.

والواضح أنّ الطرق الرئيسية إلى بلاد السودان تبدأ غالبا من " سجلماسة "، التي زادت أهميتها بعد هجر الطريق المار عبر زويلة وغدامس، بسبب العواصف الرملية والأخطار التي واجهتها القوافل التجارية.

ويمكننا القول أن المسالك التجارية الرئيسية للحركة التجارية تمركزت حول أربعة مراكز[5]، هي: **أغمات ، تلمسان، سجلماسة، فاس** ، وكثرة الطرق التجارية بين سجلماسة وتلمسان تدل على أنهما كانتا المركزين الرئيسيين في تجارة السودان إبان الحكم المرابطي، وسجلماسة أهم مدخل لطرق القوافل التجارية إلى بلاد السودان وأكثرها شهرة وأهمية.[6]

---

[1]- تلمسان: تعد محطة رئيسية للطريق العابر للصحراء، والمعروف بطريق الذهب، ويبدو أن بعض العائلات التلمسانية الناجحة في تجارتها أخذت على عاتقها حفر آبار هذا الطريق وحمايته، وهي عائلة المقريين. أنظر: نصر الدين براهامي، سيدي محمد نقادي: تلمسان الذاكرة، منشورات تالة، الجزائر، 2007، ص 38.

[2]- درعة: مدينة بالمغرب في جهة سجلماسة ، تبعد عنها بثلاث مراحل وتعرف باسم واديها " وادي درعة " ، أنظر: الحميري: الروض المعطار، المصدر السابق، ص ص 235- 236، وأنظر أيضا: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 118.

[3]- غانة: مدينة في بلاد السودان تبعد عن سجلماسة مسيرة شهرين، وهي أكثر بلاد السودان قطرا، وغانا مدينتان أحداهما يسكنها الملك والثانية تسكنها الرعية والتجار وغيرهم، وإليها كان يقصد تجار المغرب الأقصى لجلب الذهب، أنظر: البكري: المصدر السابق، ص 149.

[4]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 91.

[5]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص ص 68- 70.

[6]- نفسه: ص 70.

كما احتلت ليبيا في العصر الوسيط موقعا جغرافيا ممتازا، فبفضل مهارة تجارها استطاعت أن تلعب دورا حضاريا هائلا بين أقطار السودان وجزر المتوسط، مثل جزيرة كريت وجنوة ومالطة، بفضل شبكة الطرق المتعددة التي تربطها بالصحراء الكبرى وبلاد السودان، وواحاتها المنتشرة بقصورها وعواصمها عبر صحراء فزان، إذ تمثل محطات تجميع وتوزيع للقوافل التجارية وملتقى لتبادل البضائع والإشعاع الحضاري على أقطار السودان. [1]

ولقد كان لجبل نفوسة أهمية تجارية خاصة في تجارة القوافل التي تنطلق من طرابلس في اتجاه السودان عبر مدينة " جادو"[2] بالجبل الشرقي إلى غدامس[3]. وانطلقت القوافل التجارية من "جراطة زوارة " إلى غدامس التي كانت تخترق الناحية الغربية لجبل نفوسة.

ومن أهم مدن جبل نفوسة " شروس " أم قرى نفوسة ، تحتل موقعا هاما وهي من أهم المدن المحصنة تحصينا طبيعيا، حيث تحيط بها الجبال من كل الجهات، وهي تبعد عن طرابلس بمسيرة خمسة أيام[4].

كما اشتهر إقليم فزان، إذ كان من أهم المراكز التجارية ، ويرتبط هذا الإقليم مع الصحراء الكبرى إلى السودان بشبكة كبرى في غاية الأهمية، بحيث سهلت على القوافل التجارية عملية الاتصال والتبادل التجاري، كما يعتبر امتدادا للشريط الصحراوي، وهم مجموعة من الواحات التي كان لسكانها دور إيجابي في استقبال القوافل وتوفير الماء، و مبادلتهم بالبضائع المحلية، ومن أهم واحات الإقليم[5]: واحة زويلة، مرزوق، ودان[6]، أوجلة، الكفرة. وتميزت كل

---

[1]- إبراهيم فخار، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن 19م ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1983، ص ص 47- 50.

[2]- جادو: مدينة بناصية نفزاوة، فيها منبر وجامع، أنظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص 95.

[3]- إبراهيم فخار: المقال السابق، ص 50.

[4]- نفسه: ص 53.

[5]- إبراهيم فخار: المقال السابق، ص 56.

[6]- ودان: جزائر نخل متصلة وعمارات كثيرة...ومن مدينة سرت إلى ودان خمس مراحل، وودان قصران، الذي يلي الساحل خال؛ والذي مع البرية مسكون ، ولها آبار كثيرة، ويزرعون بها الذرة وبها غابات وحولها شجر التوت وشجر التين ونخل كثير، وتمور ودان أطيب تمور من تمور أوجلة الكثيرة...أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 312، وأنظر أيضا: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 116.

واحدة بوطن منفرد يشتمل على قصور عديدة ذات نخيل وأنهار[1].

أما إقليم نفزاوة [2] فيشمل الشريط الصحراوي الذي يمتد من السوس الأقصى غربا إلى فزان وودان، ويندرج في هذا الشريط الذي استغلته القوافل المراكز التالية: تارودانت، سجلماسة، صحراء الجزائر إلى صحراء ليبيا.[3]

ويقول الإدريسي: " ...ثم بلاد الجريد قبلة تونس وهي نفطة وتوزر وقفصة وبلاد تفراوة وتسمى كلها قصطيلة، ثم قابس قبلة سوسة ثم فزان وودان قبلة طرابلس قصور متعددة ذات نخل وأنهار...". [4]

أما الطريق من نفراوة إلى السودان الغربي فكان التجار يتوجهون إما عن طريق توزر أو غدامس فصحراء الهقار إلى فقاو، وهذا الطريق هو أقرب بالنسبة لسكان بلاد الجريد إلا أنه طريق قليل الفائدة لأنه ليس به محطات تجارية أخرى. [5]

أما الطريق الثاني فهو الذي تنطلق منه القوافل من توزر او غدامس في اتجاه أودغست وغانة وغيارو وكومبي صالح وتادمكت، ولكن عبر وارجلان وسجلماسة، خصوصا وأن التجار يصلون إليها للتزود بالملح من مناجم " تغازة "ليبيعونه في سنغاي وتومبكتو[6].

أما وارجلان فكانت أهم العواصم التجارية وملتقى القوافل القادمة من تيهرت وتلمسان وفاس، وقد وصفها الإدريسي في القرن الثاني عشر ميلادي بقوله: " وارجلان مدينة فيها قبائل مشرفون وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى غانة فيخرجون منها

---

[1]- إبراهيم فخار: المقال السابق، ص 57.

[2]- تتكون نفزاوة من ثلاثة قصور متقاربة، كثيرة السكان، لكنها مستورة بأسوار تحيط بدور أكثر منها كآبة، والأراضي تصلح للتمور، أنظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 145.

[3]- نفسه.

[4]- الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص ص 276- 278.

[5]- إبراهيم فخار: المقال السابق، ص 64.

[6]- تنبكتو: بالنون عند الوزان، اسم مدينة بناها ملك يدعى منسا سليمان عام 610ه، على بعد نحو اثني عشر ميلا من أحد فروع النيجر...، أنظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 165.

التبر ويضربون في بلادهم سكة باسمهم أي باسم بلدهم".[1] ولقد سلك التجار الطريق الثاني لما له من أهمية بالغة.

ويذكر السلاوي الناصري أن التاجر المغربي إذا سافر إلى غانة بثلاثين جملا رجع منها بثلاثة جمال أو جملين، واحد لركوبه والثاني للماء، وأن ثمن أحمال الثلاثين حملا يوضع فيها من التبر ما يملأ مزودا واحدا ما يعني أنه رجع محملا بالذهب، ونلاحظ اهتمام التجار المغاربة بالسودان ومدى ارتباط حياتهم الاجتماعية والاقتصادية بتجارة القوافل.[2]

كما يمكن ذكر بعض المسالك التجارية التي كانت القوافل تمر بها:

- من سجلماسة إلى ولاتة[3] ومنها إلى تومبوكتو وجني وغاو.
- من تلمسان يمر هذا الطريق بغرداية وتوات وينتهي إلى تومبكتو.
- من تقرت وورقلة ينطلق طريق آخر إلى غاو مباشرة، وهذا الطريق يتصل شمالا ببضائع الموانئ في الشمال مثل: جزائر بني مزغنة، بجاية.
- من واحة الجريد[4] في جنوب تونس ينطلق الطريق، وغالبا ما تمر قوافله بورقلة وسوف وغدامس.[5]

---

[1]- الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص296.

[2]- السلاوي الناصري، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: الناصري جعفر والناصري محمد، ج2، دار الكتاب، الرياض، 1972، ص 225.

[3]- ولاتة: مملكة صغيرة بالنسبة لسائر ممالك السودان، فليس لها من الأماكن المسكونة سوى ثلاثة قرى كبيرة، وأكواخ متفرقة بين حدائق النخل،...، أنظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 161.

[4]- الجريد: بلاد الجريد قبلة تونس وهي: نفطة وتوزر وقفصة وبلاد نفزاة، وتسمى كلها بلاد قصطيلة، ثم قابس قبلة سوسة ثم فزان وودان قبلة طرابلس قصور متعددة ذات نخل وأنهار، أنظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 365، وأنظر أيضا: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 142.

[5]- مبخوت بودواية: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، جامعة تلمسان، 2005- 2006، ص 311.

- من طرابلس[1] الغرب على الساحل اللّيبي ينطلق طريق يمر بغدامس ، ويمر فرع منه بفزان، وينتهي إلى بورنو وغاو.

- وينطلق من مصر طريق يواجه سيوة و بزويلة وكادمكة وينتهي إلى غاو وتومبكتو.

ولقد نشطت الحركة التجارية في الصحراء الليبية بفضل[2] عواصمها التجارية وعلاقتها مع السودان الشرقي[3] والأوسط[4] إلى السودان الغربي، وذلك بفضل عاملين أساسيين:

– وجود مدن صحراوية هامة مثل: اجدابية [5] وزويلة ومرزوق وأوجلة[6]...

– تعدد طرق القوافل وشبكة الموصلات التي تخترق ليبيا من طرابلس شمالا إلى الجنوب ومن وسط الصحراء، حيث تتفرع الطرق شرقا وغربا.

وكانت طرابلس، وجبل نفوسة[7]، يمثلان نقطة انطلاق القوافل عند الذهاب، ونقطة الرجوع[8].

---

[1]– طرابلس: مدينة حصينة عليها سور حجارة، وهي في نحر البحر، بيضاء حسنة الشوارع متقنة الأسواق، وبها صنّاع وأمتعة يتجهز بها إلى كثير من الجهات، ....كثيرة شجر الزيتون والتين، وبها فواكه جمة ونخل، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 297.

[2]– إبراهيم فخار: المقال السابق، ص 47.

[3]– السودان الشرقي: ويشمل مناطق وادي النيل وروافده العليا جنوب بلاد النوبة، ويعرف عند العرب ببلاد الزنج، أنظر: يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 9.

[4]– السودان الأوسط: ويشمل حوض بحيرة تشاد والمناطق المحيطة بها في إفريقيا الوسطى، أنظر: المرجع نفسه.

[5]– اجدابية: على ضحضاح مستو، بناؤها بالطين والآجر وبعضها بالحجارة ولها جامع نظيف، وليس بها ماء وبها نخيل حسب كفايتهم وبمقدار حاجتهم،...بها قوافل كثيرة مارة بها من بلاد السودان....أنظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص 67.

[6]– أوجلة: مدينة صغيرة متحضرة فيها قوم ساكنون كثيرو التجارة، بها نخيل وغلات لأهلها، ومنها يدخل إلى كثير من أرض السودان نحو بلاد كوكو وبلاد كوار، وهي في رصيف طريق والوارد عليها والصادر كثير، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 312، وأنظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص 67.

[7]– جبل نفوسة: جبل عال، فيه منبران لمدينتان تسمى إحداهما شروس والأخرى جادو، أنظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص ص 94- 95.

[8]– إبراهيم فخار: المقال السابق، ص 58.

وتعتبر مدينة " زويلة "[1] أهم المدن الصحراوية التي عرفت ازدهارا في صحراء ليبيا في العصر الوسيط، فمنذ القرن العاشر الميلادي إلى الثاني عشر الميلادي[2] اشتهرت " زويلة " بقبيلة هوارة التي أسست دولة بني الخطاب، التي يسميها ابن خلدون " زويلة بن الخطاب " وأحيانا يقول " ملوك زويلة "[3]، واشتهرت المدينة بتجارة العبيد أكثر من جلودها، حيث كانت مركزا لهذه التجارة القادمة من كوار وكانيم، كما كانت محط جميع القوافل التي تقصدها من طرابلس وجادوا أو من اجدابية وأوجلة ومرزوق ودارفور، ولقد كان تخصص القوافل التي تقصد زويلة مركزا على نقل العبيد والعاج، هذه التجارة التي كانت تعتبر الأكثر رواجا وطلبا من مصر وطرابلس.[4]

وعلى عهد بني مرين[5] عرفت تجارة القوافل بعض التطور، حيث تجددت العلاقات الدبلوماسية بين سلاطين المغرب وسلاطين بلاد السودان، حيث أن في الفترة ما بين القرنين 13م و 14م كانت تجارة القوافل تحت حماية الدول، حيث يقول عبد القادر زيادية : "أحمال القوافل التي تجهز سنويا إلى مالي من منطقة وارجلان بلغت اثنا عشر ألفا ، ويمكن أن تكون القوافل القادمة من طرابلس ونفوسة في اتجاه غدامس ووارجلان وعندها تفترق القوافل إما إلى تادمكت عبر صحراء الجزائر والهقار وإما إلى غاو وتومبوكتو وأودغست.

---

[1]- زويلة: مدينة صغيرة وبها أسواق ، ومنها يدخل إلى بلاد السودان، ويشرب أهلها من آبار عذبة، ولها نخل كثير وتمرها حسن، والمسافرون يأتونها بأمتعة من جهازها وجمل من أمور يحتاجون إليها، والعرب تجول في أرضها، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 313.

[2]- إبراهيم فخار: المقال السابق، ص 58.

[3]- الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 312.

[4]- إبراهيم فخار: المقال السابق، ص ص 59- 60.

[5]- بنو مرين: يشير ابن خلدون إلى نسبهم ويتوقف عند بني واسين فيقول: " بنو مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن حديج ابن فاتن بن ديدر بن عبد الله بن ورتنبص بن المغربي إبراهيم بن سحيك بن واسين، أنظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 166.

ولعبت العلاقات الرسمية القائمة بين بني مرين ومالي دورا إيجابيا في تنشيط التجار، ونجد أن مملكة " كانيم " احتفظت بعلاقاتها التجارية الواسعة مع ليبيا عبر صحراء فزان.[1]

لقد لعبت تلمسان دورا بارزا في الحركة التجارية نحو بلاد السودان؛ لاسيما في العهد الموحدي بحكم موقعها الجغرافي الممتاز[2]، وبسبب وجود طرق مختصرة بينها وبين بلاد السودان.

أما على عهد الدولة الزيانية كانت التجارة تتم عن طريق القوافل عبر الهقار في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي(14م)، وكان عدد جمالها يبلغ اثنا عشر ألف جمل في أحيان كثيرة، وكانت القوافل التجارية إلى السودان الغربي تخترق الصحراء من جميع جوانبها.[3]

ولقد راجت التجارة بين الإمارة الزيانية[4] وممالك بلاد السودان الغربي من القرن السابع إلى التاسع الهجريين (13- 15م)، فكان التجار يقومون برحلة تجارية مرة في السنة وقبل الشروع فيها يستعدون لها بتوفير وسائل النقل، وتحديد طرق الرحلة، والتزود بالماء واكتراء الدليل.

تنطلق من العاصمة الزيانية طرق تتبعها القوافل التجارية إلى بلاد السودان الغربي، حيث ازدهرت تجارة تلمسان بعد زحف الهلاليين على بلاد المغرب في القرن الخامس الهجري(الحادي عشر الميلادي)، وما تبع ذلك من اختناق النشاط التجاري في المناطق الشرقية.

---

[1]- عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسقين (1493- 1591م)، الجزائر، 1972، ص 115.

[2]- عبد الحميد حاجيات: المقال السابق، ص 97.

[3]- ميخوت بودواية: المرجع السابق، ص 310-311.

[4]- الإمارة الزيانية: استقل بنو عبد الواد بالمغرب الأوسط بعدما ضعفت الدولة الموحدية، واختاروا تلمسان عاصمة لدولتهم لأهمية موقعها الجغرافي،فشجعوا التجارة حتى أصبحت تضاهي بعض العواصم في العالم الإسلامي، وبقيت عاصمة للدولة حوالي ثلاثة قرون، رغم ما تعرضت له من هجومات من المرينيين من الغرب والحفصيين من الشرق، أنظر:يحيى ابن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص 84، وأنظر أيضا: عبد الرحمن بن خلدون: العبر، ج6، ص 404.

وكانت القوافل تسلك طرق مختلفة في القرنين الخامس والسادس الهجري (11-12م)، حيث تخرج القافلة من تلمسان فتتجه إلى سجلماسة في اتجاه بلاد السودان الغربي فتقطع القوافل التجارية رحلاتها في ثلاث مراحل كبرى[1]:

المرحلة الأولى:

وتنتهي عند سجلماسة أو توات أو عين صالح،ويربط بين كل محطة من هذه المحطات وبين تلمسان طريق، وأهم هذه الطرق طريق تلمسان- سجلماسة، وينقسم إلى فرعين:

- فرع يصل بين تلمسان ووجدة ويصل تازة، عبر تاوريرت وأجرسيف إلى فاس، ثم يقطع بعض المدن في الجنوب ومنها: صفرو وتادلا وأغمات وريكة، ثم درعة ثم سجلماسة وهو اطول من الفرع الثاني وأكثر أمنا.[2]
- وفرع آخر يربط تلمسان بوجدة ثم بجبل تامريث وينتهي إلى سجلماسة ، ويلتقي الفرعان في سجلماسة، وتبلغ المسافة بينها وبين عاصمة الدولة الزيانية حوالي 10 مراحل

وطريق تلمسان — توات ينقسم إلى:

- فرع يشق نعامة وتيوت ومغراو وغوبرت وأولاد سيدي عيسى ثم توات.
- وفرع ثاني يتجه إلى سبدو ويعبر بوسمغون إلى تيميمون.[3]
- وفرع ثالث يمر عبر أولاد سيدي الشيخ إلى تيميمون ويخرج من هذا الطريق عدة فروع[4].

واعتبرت الدولة الزيانية بمثابة همزة وصل بين أوربا وإفريقيا جنوب الصحراء لاعتمادها في اقتصادها على الزراعة والصناعة والمبادلات التجارية الداخلية والخارجية.[5]

---

[1]- لطيفة بن عميرة: المرجع السابق، ص 84.

[2]- نفسه: ص 84

[3]- مبخوت بودواية: المرجع السابق، ص 265.

[4]- لطيفة بن عميرة: المرجع السابق، ص 85.

[5]- مبخوت بودواية: المرجع السابق، ص 266.

المرحلة الثانية:

وتتمثل في الطرق الرابطة بين سجلماسة وتوات وعين صالح نحو بلاد السودان الغربي، ومن سجلماسة إلى تغازى مدينة الملح، ثم إلى مدينة " إيولاتن" بداية بلاد السودان.[1] يربط مدينة سجلماسة بمدينة تابلبالت ثم تغازى إلى تاودني وينتهي في تومبكتو.

المرحلة الثالثة:

تمتد الطرقات في داخل بلاد السودان الغربي من إيولاتن، فتسير القوافل إلى زاغري (ديورة) ثم بلد " ارسو" من مملكة مالي[2] ثم مدينة مالي.[3] وانطلاقة القوافل تكون محددة الزمان والمكان، ويحددون طريق سفرهم لمدة شهرين فيختارون المسلك[4] الذي تتخلله المراعي وتنتشر به الآبار، واعتمادهم كان على الجمال، حيث كانت وسيلة سفر وغذاء بالإضافة إلى وجود الدليل الذي يقود القافلة لكي لا تضيع ، ويعرف المسالك الآمنة ومواقع الآبار.[5]

ولقد كان الدليل يؤجر بأثمان مرتفعة، فقد أجّر ابن بطوطة دليلا من تغازى إلى إيولاتن بمائة مثقال من الذهب[6] ، كما كان ملوك تومبوكتو يدفعون سبعة آلاف وثلاثمائة مثقال من ذهب لحماية رسلهم إلى سجلماسة.[7]

وكانت القافلة تضم مجموعة من التجار يخضعون لنظام خاص، وعلى رأسها قائد يسيّرها وينظمها، وكانت القوافل تسير في صحراء الجنوب؛ حيث يقول الإدريسي : " هذه

---

[1]– لطيفة بن عميرة: المرجع السابق، ص 85.

[2]– مالي: سيطرت على الجزء الغربي من بلاد السودان، ووفر حكام مالي الأمن في البلاد لتشجيع التجارة بين الشمال والجنوب، أنظر: ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، دار صادر ودار بيروت، 1960، ص 44.

[3]– لطيفة بشاري: التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين(13– 14م) ، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1406– 1407هـ/ 1986- 1987م، ص 82.

[4]– لطيفة بن عميرة: المرجع السابق، ص 86.

[5]– نفسه.

[6]– ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 441.

[7]– عبد الكريم يوسف جودت: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، في المغرب الأوسط خلال القرنين 3و4هـ/ 9-10م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت)، ص 212.

الصحراء يسلكها المسافرون في زمان الخريف "[1]، وكانوا يمشون حتى يشتد الحر فيحطون أحمالهم ويقيدون جمالهم ثم يخيمون لأخذ قسط من الراحة. [2] وتواصل القافلة مسيرتها بعد العصر، وتسير جزءا كبيرا من الليل، ثم تتوقف لتأخذ قسطا من الراحة ثم تستأنف الرحلة آخر الليل حتى ترتفع درجة الحرارة فتتوقف مرة أخرى، وكانت تقطع ما بين 35كلم و 40 كلم[3] بمعدل عشر ساعات سيرا في اليوم. [4]

وقد تتعرض القوافل التجارية للعديد من المخاطر منها ندرة الماء، حيث أن المسافرين كانوا يختارون الطرق التي تتوفر على المياه، إلا أن بعض المسالك التجارية لم تكن تتوفر على منابع الماء كالخط الرابط بين إيولاتن وتومبكتو فلا يوجد إلى بعد 100 أو 200 ميل، بالإضافة إلى الطريق بين سجلماسة وتومبكتو. [5]

وكان المسافرون يلجأون لشراء الماء، كما يتعرضون لمضايقات قطاع الطرق أيضا، رغم أن الدول كانت تحاول حماية قوافلها، إلا أنها لم تسلم من هجومات القبائل التي تعشق النهب والغزو والسلب[6]، واعتمد المسافرون على أنفسهم في حماية قوافلهم بحمل السلاح أو الاستعانة ببعض الحراس المسلحين، كما كانوا يدفعون الأموال لشيوخ القبائل التي تعيش في المناطق التي يمرون بها. [7]

---

[1] – الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 317.

[2] – ميخوت بودواية: المرجع السابق، ص 315.

[3] – نفسه.

[4] – لطيفة بن عميرة: المرجع السابق، ص 88.

[5] – ميخوت بودواية: المرجع السابق، ص 316.

[6] – ويوجد أخطار أخرى كالرياح والعواصف، كما أن الضياع كان مشكلا حيث تغطي الكثبان الرملية الطرق ونتيجة هذا الضياع هي الموت.

[7] – لطيفة بن عميرة: المرجع السابق،ص 88.

وقد وفر ملوك مالي الأمن للقوافل طوال القرن 14م، حيث يقول ابن بطوطة نقلا عن لطيفة بن عميرة في رحلته إلى السودان: " فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم سارقا أو غاصبا "[1].

ونظرا لإخضاع المرابطين لأقاليم المغرب الأقصى المختلفة في ظل حكومة واحدة تحرص على فرض الأمن الاستقرار، فقد نشطت الحركة التجارية بين المغرب الأقصى وجنوب الصحراء، والتي كانت مصدرا أساسيا للتجارة الخارجية للبلاد، ولقد انتظمت القوافل المتجهة إلى الجنوب والقادمة منه، وصار المغرب الأقصى ممرا آمنا لتجارة الصحراء إلى بلاد الأندلس وأوربا والمشرق، لهذا اكتسبت التجارة المغربية والصحراء أهمية بالغة ، فتوسعت السلع المتبادلة بين القطرين، وكانت أهم السلع وأشهرها على الإطلاق الذهب لكثرته.[2]

وتتفق أغلب المصادر[3] على أن أفضل الذهب في بلاد غانة هو ذهب " غيارو "[4]، أما أكثر المناطق ذهبا فهي مدينة " كوغة "[5]، وكان الذهب المستورد من " غانة "وجنوبها يستخدم في سك العملة، حيث يعود به التجار إلى دور السكة ليضرب دنانيرا يُتَصرف بها في التجارة.

وإلى جانب الذهب[6] كانت تجارة الرقيق تمثل إحدى السلع التجارية الهامة منذ أقدم العصور، وكانت بلاد السودان مصدرا لرقيق المغرب الأقصى[7]، ويشير الإدريسي إلى كيفية

---

[1]– لطيفة بن عميرة: المرجع السابق، ص 89.

[2]– عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 135.

[3]– مثلا البكري: المصدر السابق، ص 176.

[4]– غيارو: مدينة في بلاد السودان تبعد عن غانة إحدى عشر مرحلة، وتحدد بمسيرة ثمانية عشر يوما إلى عشرين يوما، وعن نهر " النيجر " باثني عشر ميلا، وهي من الأقاليم التابعة لملك غانة، أنظر : الحميري: المصدر السابق، ص 427.

[5]– كوغة: مدينة تبعد عن غانة خمسة عشر يوما، تقع على الضفة الشمالية لنهر " النيجر "، وسكان المدينة مسلمون، أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 504، وأنظر أيضا: البكري المصدر السابق، ص 179، وأنظر كذلك: الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق، ص 27.

[6]– كانت سجلماسة و أودغست المحطتان الرئيسيتان لاستقبال ذهب السودان الغربي.

[7]– عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 137.

الحصول على الرقيق من السودان وبخاصة من أرض " الزغاو "[1]، فيذكر أن أهالي المدن المجاورة يسرقون أبناء هؤلاء القوم الذين يتنقلون في هذه الصحاري ويسيرون بهم ليلا إلى بلادهم، ثم يخفونهم بعض الوقت، وبعدها يبيعونهم إلى التجار القادمين إليهم من المغرب الأقصى بثمن بخس الأمر الذي ساعد على رواج هذه التجارة وانتشارها بكثرة، إذ يقول الإدريسي: " ويباع منهم كل سنة أمم وأعداد لا تحصى "[2].

ولم تقتصر السلع الواردة من بلاد السودان على الذهب والرقيق، بل شملت سلعا أخرى مثل العاج[3] والشب[4] ، والجلود خاصة جلود الحيوانات المفترسة النادرة في المغرب، وكان أهمها على الإطلاق حيوان اللمط الذي يتخذ من جلده تروسا يقال لها " الدرق اللمطية"، وهي خفيفة لا تنفذ منها السهام.[5]

ويبدو أن كمية السلع المتبادلة بين المغرب وبلاد السودان كانت كثيرة مما دعى الإدريسي إلى القول بأنها كانت " بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال "[6].كما أن عائدها كان وفيرا مما شجع تجار بعض المدن الجنوبية خاصة أغمات على إرسال قوافلهم وعبيدهم إلى بلاد السودان، فكان التاجر الواحد يرسل ما بين سبعين والمائة جمل كلها محملة بالسلع، ونتيجة لهذا الثراء الفاحش وصفهم الإدريسي بقوله: " ولم يكن في دولة الملثّم أحدا أكثر منهم أموالا ولا أوسع منهم أحوالا وبأبواب منازلهم علامات تدل على مقادير أموالهم "[7].

---

[1] – الزغاو: منطقة من مناطق بلاد السودان تبعد عن " انجيمي" ستة أيام ، وزغاو عبارة عن كور عديدة وبها الكثير من السكان حرفتهم التجارة، أما قوتهم فهو الذرة ولحوم الجمال المقددة والسمك، ولباسهم كان من الجلود المدبوغة، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 294.

[2] – نفسه.

[3] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 138.

[4] – الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق، ص ص 39– 40.

[5] – عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 138.

[6] – الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق، ص 66.

[7] – نفسه.

أما السلع الصادرة إلى بلاد السودان فكثيرة إلا أن الملح كان أشهر سلعة يحملها التجار إلى السودان، ذلك أن ملوك " غانة " كما يقول ابن حوقل كانوا في حاجة ماسة إلى هذا الملح[1] ، وكان المغاربة يحصلون عليه من مناجمه في " تانتال "[2] و " أوليل "[3]، ومنها يتجه إلى بلاد السودان.[4] والذي يؤكد أهميته في التجارة أن العمل في تلك الجزيرة كان متصلا ليل نهارا يحفر عنه كسائر المعادن والجواهر[5]، وتسببت ندرة الملح مع حاجة الإنسان الطبيعية لمادته، إلى ان صارت قيمته أغلى من الذهب، حتى أن سعر الحمل منه كان 200 إلى 300 دينار.[6]

ولقد احتل الملح مكانة هامة لدى التجار وأصبح له وزن خاصة كسلعة ثمينة، إذ صار بمثابة العملة اليوم، يتعاملون به في حياتهم التجارية العادية إذ يقول البكري: " وتجارة أهل بلد كوكو بالملح وهو نقدهم "[7].

ولا شك أن تجارة الملح في هذه الفترة كان لها عائد كبير على تجار المغرب الأقصى نتيجة احتكارهم لها، لاسيما وأن مناجم الملح كانت بأراضي " مسوفة "[8]، و " جدالة "[9] الصنهاجيتين.

---

[1]– ابن حوقل: المصدر السابق، ص 101.

[2]– تانتال: يمكن أن تكون " تغازى " لتشابه المعلومات عن هذا المنجم عند البكري: المصدر السابق، ص 171، وأيضا: ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 674.

[3]– أوليل: تقع على ساحل المحيط الأطلسي، تبعد عن مدينة "سلا" عشرة مراحل، وعن " أودغست " خمسة وعشرين مرحلة، وسكانها من جدالة، أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 64، وأنظر أيضا: البكري: المصدر السابق، ص 171.

[4]– عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 140.

[5]– البكري: المصدر السابق، ص 171.

[6]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص 101.

[7]– نفسه: ص 183.

[8]– مسوفة: إحدى قبائل صنهاجة، وكانت مضاربها الصحراء بين سجلماسة وأودغست، في الجنوب، وكانت بعض بطونها تمتد شرقا حتى " تادمكة " و "كوكو" ، أنظر: حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 289.

[9]– جدالة: إحدى قبائل "" صنهاجة " تمتد مضاربها حتى مصب نهر السنغال، وقد اتخذت من أوليل " مركزا لها، أنظر: البكري: المصدر السابق، ص 171، وأنظر أيضا: حسن علي حسن: المرجع السابق، ص ص 297- 298.

ومن بين المعادن الأخرى التي تصدرها بلاد المغرب إلى السودان معدن النحاس الذي ترجع أهميته إلى عهد دولة " غانة "[1]، نظرا لتوافره بكثرة خصوصا في منطقة " إيجلي "[2] التي يعمل فيها على شكل سبائك، ومنها يتجهز به إلى بلاد السودان[3] ، ويتضح أن النحاس كان يستعمل كزينة إذ يقول الحميري: " يسافر التجار من سجلماسة إلى مدينة في حدود السودان يقال لها غانة وجهازهم الملح وعقد خشب الصنوبر...وخرز الزجاج وإسورة من نحاس أحمر وحلق وخواتم نحاس لا غير "[4].

كما شملت صادرات المغرب أيضا بعض المواد الغذائية مثل القمح والسميد[5]، على الرغم من أن القمح كان يزرع في السودان إلا أن الكمية التي تنتج منه غير كافية لسد حاجات السكان، ومن ثم كانت القوافل تحمل منه أحمالا كبيرة إلى بلاد السودان.[6]

واستوردت غانة أيضا الفواكه المجففة لانعدامها تماما في بلاد السودان، يقول الإدريسي: " ليس في بلاد السودان شيء من الفواكه الرطبة إلا ما يجلب إليها من التمر من بلاد سجلماسة "[7].

وشملت السلع المغربية أيضا الأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر والزجاج والأصداف، والأحجار الكريمة والآفاويه والعطر، وبعض الآلات المصنوعة من الحديد.[8]

[1]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 141.

[2]- إيجلي: هي قاعدة بلاد السوس الأقصى تعرف هذه المدينة بكثرة بساتينها وفواكهها، وتشتهر بزراعة قصب السكر، أنظر: البكري: المصدر السابق، ص 162، وأنظر أيضا: الحميري: المصدر السابق، ص 71.

[3]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 141.

[4]- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص 12.

[5]- الحميري: المصدر السابق، ص 435.

[6]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 142.

[7]- الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق، ص 4.

[8]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 142.

* المراكز التجارية في السودان:

1- ينى أو نياني[1] "Niani": كانت عاصمة لمملكة مالي[2]، موقعها هام قريب من مناجم الذهب[3] ولقد جذبت العاصمة الجديدة تجار المغرب فاتخذوها مركزا لنشاطهم التجاري كما أقام البعض فيها وفي عام 1352م زار ابن بطوطة مدينة مالي وكتب عنها في كتابه تحفة النظار[4]، إلا أنه بزوال مملكة مالي نجد أهميتها قد انتهت[5] ولقد زارها "الحسن الوزان" في القرن 16م فيقول:" لم تكن سوى قرية تسمى مالي ويصفها: كانت هناك قرية كبيرة تحتوي على ستة آلاف عائلة أو أكثر وتسمى مالي وكانت تسمى بها المملكة كلها وهي مقر إقامة الملك والمنطقة تنتج الكثير من القمح واللحم والقطن ويوجد الكثير من الصناع بها والتجارة في جميع الأمكنة، والملك يرحب بجميع الغرباء في كرم و كان السكان أثرياء وأغنياء بفضل تجارتهم".[6]

ولقد تحكمت مالي في طرق القوافل التجارية الرئيسية نتيجة ترامي أطرافها واتساعها، فضلا عن وجود معادن الذهب والنحاس والملح داخل حدودها، ثم إن أراضي مالي خصبة زراعية حيث كانت تنتج القطن و الأرز والذرة والقمح التي كـانت تسد حاجات[7]

---

[1]- نياني: تقع الآن في شمال شرق غينيا (كوناكري) وللمزيد من المعلومات أنظر: أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي مج2، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1981- 1982،ص 241.

[2]- مالي: تعد مملكة مالي الإسلامية من أقوى وأغنى الدول الإفريقية التي ظهرت في غربي إفريقيا ومنطقة الساحل، حيث امتدت من المحيط الأطلسي غربا إلى أواسط الصحراء الكبرى شرقا شاملة ما يعرف اليوم بدول مالي والسنغال وغامبيا وشمال بوركينافاسو وغرب النيجر وجنوب موريتانيا وشمال غينيا بما في ذلك الجهة الغربية والشمالية لحوض نهر النيجر ومدن تومبوكتو وجيني وغاو، أنظر: محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريدية: المسلمون في غرب إفريقيا - تاريخ وحضارة - ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،ص 75.

[3]- الأمين عوض الله: المقال السابق، ص 82.

[4]- محمد فاضل ، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 79.

[5]- الأمين عوض الله: المقال السابق،ص 82.

[6]- ليون الإفريقي: وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج2، ص164.

[7]- محمد فاضل، سعيد إبراهيم: المرجع السابق، ص 96.



الشعب، أما الشعير فلا وجود له، كما أنتجت الفواكه والخضار مثل: اللوبيا، والقرع[1] والباذنجان، واللّفت، أما الحيوانات فكانت أشهرها الخيول تأتي بعدها البغال، والحمير، والبقر والغنم، والماعز، والجمال، وهناك حيوانات أخرى مثل: الفيلة والأسود والنمور والتماسيح[2] وحيوان اسمه اللّمط[3]، ومن الطيور الإوز والدجاج والحمام، وقد جلبت مالي الكثير من الحبوب والخضروات والحيوانات المستأنسة من الدول المجاورة ومن مصر مثل: الثيران والغنم والماعز والحمير والدجاج، ومن الخضروات والحبوب والقرع والفول والبازلاء[4].

2- تومبكتو: تقع مدينة تومبوكتو على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بما يعرف منحى نهر النيجر وتعتبر هذه المدينة حلقة وصل بين السودان الغربي والصحراء الكبرى[5]، وهي قريبة من نهر النيجر، حيث يبعد عنها في الصيف 16 ميلا أما في الخريف فإن ماء النهر يقترب منها فيصل إلى بعد سبعة 7 أميال من المدينة[6]، ولموقعها ميزتان مهمتان:

الأولى: أنها كانت على مفرق طرق القوافل التجارية حتى قيل عنها أنها المكان حيث يلتقي فيه الجمل بالزورق النهري[7].

الثانية: أنها كانت منذ أول نشأتها مدينة إسلامية وإحدى الحواضر الإسلامية الهامة في غرب إفريقيا[8].

---

[1]- محمد فاضل، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 94.

[2]- نفسه: ص 95.

[3]- حيوان اللمط: يشبه الثور الكبير وله قرنان كالرمح تطول بطول بدنه، تؤخذ من جلده تراس تنسب إليه.

[4]- إبراهيم علي طرخان: دولة مالي الإسلامية، دراسات في التاريخ القومي الإفريقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973 ، ص ص 135-137.

[5]- محمد فاضل، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 96.

[6]- الهادي الدالي مبروك: مدينة تومباكتو: مركز حضاري هام، في العلاقة بين مملكة مالي الإسلامية وأهم المراكز بالشمال الإفريقي، http://azwad.jeeran.com /tombouctou .html. , 2004/07/13

[7] -Timbuktu Educational Fondation ; ‘ History of Timbuktu’ ,www.timbuktufondation .org /history .html, 20/05/2004.

[8]- محمد فاضل، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 96.

ويقال عن أصل اسم كلمة تومبكتو أنه مشتق من اسم طوراقية تدعى "تن أبوتوت" كانت تمكث قرب بئر ماء وعند هطول المطر كان الطوارق يتركون بضاعتهم عندها، إلا أنه هناك اختلاف حول آراء أصل الكلمة[1]، إما أن تكون علما لتلك المنطقة هو احتمال أنها كانت لها مكانة مرموقة بين جماعتها التي كانت تقطن معها وبذلك أصبح اسمها علما من أعلام تلك المنطقة[2].

ولقد كان الوضع الاقتصادي للمدينة مميزا حيث أن موقعها كان له الأثر الكبير في إعطاء هذه المدينة مركزا حيويا واستراتيجيا لكثرة مرور القوافل بها، وكان ذلك له أهمية بالغة في الجانب الاقتصادي والحضاري، أما المجال الاقتصادي فعرفت بتجارتها عبر العصور حيث كانت التجارة تمثل المصدر الرئيسي لسكانها[3]، وتأتي بعدها الثروة الحيوانية التي تمثلت في الإبل والأبقار والأغنام والخيل والحمير، وكانت حرفة الرعي حرفة أساسية في حياة السكان المجاورين للمدينة فتوافدوا عليها يبيعون أغنامهم ويشترون ما يحتاجون إليه من سلع ودباغة، كما عرف سكانها إتقانهم لحرف الذهب والفضة[4]، ولقد مثلت التجارة الشريان الرئيسي لسكان المدينة في المجال الاقتصادي.

وكانت مركزا تجاريا هاما في عهد سلطنتي مالي وسنغاي[5]، حيث أن موقعها على نهر النيجر جعلها حلقة اتصال بين تجارة المغرب وتجارة السودان، وكان الذهب والملح محور التجارة لما يمثلان من قيمة عظيمة لدى سكان السودان الغربي، وكان الملح يصل من تغازى[6] إلى تومبوكتو، ووُجد الملح في شكل ألواح ضخمة متراكبة كأنها قد نحتت ووضعت تحت

---

[1]- محمد فاضل، سعيد إبراهيم: المرجع السابق، ص 97.

[2]- الهادي الدالي مبروك: المرجع السابق،ص 98.

[3]- محمد فاضل، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 99.

[4]- الهادي الدالي مبروك: المرجع السابق،ص 2.

[5]- الأمين عوض الله: المقال السابق،ص 82.

[6]- تغازى: تقع اليوم في أقصى الزاوية الشمالية الشرقية لدولة مالي قرب الحدود مع الجزائر وموريتانيا، وكانت تغازى منجم الملح الذي تطلع له كل البقاع في غرب إفريقيا، تعرف الآن باسم تراهازا Trahaza، وقد زارها الرحالة ابن بطوطة عام 753ه -1352م، أنظر: ابن بطوطة: مج2، المصدر السابق،ص 772.

الأرض ولشدة ضخامتها لم يكن الجمل يحمل منها إلا لوحين، وكانت البيوت والمساجد تبنى بهذه الألواح[1].

ووصل الناس إلى هذه المدينة من كل مكان خاصة من الشمال الإفريقي عبر الصحراء الكبرى[2]، فوصلها تجار من فزان وغدامس وطرابلس الغرب حاملين بضائعهم ليقايضوها بالذهب والرقيق والعاج وريش النعام والبخور والصمغ، أما من المغرب الأقصى فوصلها تجار سجلماسة[3] وفاس ومنطقة السوس يحملون بضائعهم إليها ويعودون بنفس البضائع[4] الأخرى، بالإضافة إلى التجار القادمين من مدن توات[5] وغاووجني[6] وكان الوضع جيدا في المدينة حيث لم يتأثر اقتصادها في الفترة ما بين القرنين الخامس والسادس للهجرة (5ه-6ه/11م-12م) بالمضاربات التجارية التي كانت تحدث في المناطق المجاورة ومنذ ذلك الوقت وقوة تومبكتو الاقتصادية في تصاعد خصوصا بعد سقوط دولة غانة في القرن الثالث عشر ميلادي، وهكذا شهدت تومبكتو تجارة واسعة امتدت من الشمال الإفريقي والسودان الغربي والشرق العربي[7] وأهم الطرق التجارية التي كانت تصل بين تومبكتو بتلك المدن هي:

---

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، مج2، ص 773.

[2]- محمد فاضل، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 99.

[3]- سجلماسة: اندثرت هذه المدينة حيث يوجد مكانها اليوم بقرية تسمى الريطاني وتقع في المغرب في القطاع الأوسط للحدود بين هذه الدولة والجزائر.

[4]- الهادي الدالي مبروك: المرجع السابق،ص 3.

[5]- توات: إقليم توات يضم ثلاث مناطق، من بينهم منطقة توات وعين صالح ومنطقة قورارة، ثم عمم اسم توات على الإقليم، أنظر: فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرن 18م و19م، ديوان المطبوعات الجامعية، 1977، ص 1. يقال أن تسمية الإقليم من اللغة التكرورية، ويقال أن السلطان كناكي موسى تخلف الكثير من أصحابه لوجع رجله أصابه في ذلك المشي تسمى توات في كلامهم فانقطعوا بها وتوطنوا فيها فسمي الموضع باسم العلة، أنظر: عبد الرحمن السعدي: تاريخ السودان، تحقيق: هودس، مطبعة بردين، باريس، 1964، ص 07.

[6]- جني: تتاخم مملكة ولاتة، تبعد عنها بمسافة خمسمائة ميل في الصحراء وتمتد على نهر النيجر على امتداد 20 ميلا تقريبا، أنظر: ليون الإفريقي: المصدر السابق، ج2، ص 162.

[7]- محمد فاضل، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 100.

1- طريق من مصر[1] عبر كانو فتومبكتو.

2- طريق من تونس إلى تومبكتو.

3- طريق من المغرب الأقصى مرورا بسجلماسة وتوات إلى تومبكتو.

4- طريق من تغازى مرورا بمدينة ولاّتة ومنها إلى تومبكتو.

5- طريق من طرابلس الغرب ومنها إلى غدامس ومن ثم إلى تومبكتو.

وتمتعت هذه الطرق بشروط عالية للسفر ونقل البضائع منها وجود الماء ومرورها بمناطق آمنة ومستقرة.

وقد شهدت المدينة في القرن 8ه/14م رخاءا اقتصاديا وعلميا حيث تمتعت بحركة اقتصادية نشيطة وكثرت فيها الحوانيت وخاصة تلك التي تبيع المنسوجات القطنية والأقمشة التي تأتي من أوروبا وقد ساعد توفر الأمن والنظام في المدينة ظهور هذا الانتعاش الهام والمتميز[2] في المجال التجاري والصناعي والزراعي.

3- مملكة غانة[3]:

هي إحدى ممالك السودان الغربي وقد وجدت هذه التسمية في الكثير من أمهات الكتب القديمة[4]، ككتاب تحفة النظار لابن بطوطة وكتاب صورة الأرض لابن حوقل، وأصل

---

[1]- مصر: لها حد يأخذ من بحر الروم من الإسكندرية ويزعم قوم من برقة في البرية حتى ينتهي ظهر الواحات ويمتد إلى بلد النوبة ثم إلى حدود أسوان حتى ينتهي إلى بحر القلزم، أنظر: ابن حوقل: المرجع السابق،ص 132، وأنظر أيضا: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 188.

[2]- محمد فاضل، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص ص 100-101.

[3]- غانة: القديمة تشمل جنوب موريتانيا وشرقي السينغال حاليا وجزءا من مالي وربما غينيا أيضا لكنها غير غانة الحالية.

[4]- هوارية بكاي: العلاقات الزيانية المرينية- سياسيا وثقافيا- ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، الجزائر، 2007- 2008، ص5.

التسمية نسبة للغة الساركولية، وقد أطلق الاسم على كل المملكة التي قامت خلال القرن الثالث ميلادي وامتد عمرها حتى القرن الثالث عشر للميلاد[1].

ولقد كانت الأحوال الاقتصادية لغانة مزدهرة جدا وكانت الحياة بها سهلة ومريحة واعتمد اقتصادها على مجموعة من العوامل ساهمت في بروزها كقوة اقتصادية هامة منها:

– **الذهب**: الذي يعتبر أهم عامل في ازدهار اقتصاد غانة إذ اكتسبت هذه المملكة شهرة عظيمة من وجود هذا المعدن الثمين في أراضيها حيث أن ملكها كان يوصف بملك الذهب، ووُجد الذهب في المملكة في منطقة بامبوك Bambouk الواقعة بين نهر السينغال وروافده الجنوبةي وفاليم Falém[2] ، وفي منطقة بورBouré[3] ، الواقعة إلى الجنوب الشرقي من المنطقة الأولى حيث سيطرت غانة على منجم الذهب الهائل[4] ، كما وُجد أيضا في منطقة و"نقارة"[5] التي تقع في جنوب المملكة، ويقول ابن الفقيه الهمذاني أن " **الذهب في رمال غانة** "[6] ويقول ابن حوقل عن غنى ملك غانة من الذهب فيقول: " **وملك غانة أيسر من على الأرض بما لديه من الأموال المدخرة من التبر.** "[7]

ويقول البكري، أنّ ملك غانة كان يستصفي لنفسه أجود الذهب ويدع ما سواه لشعبه حتى لا تهون قيمة هذا المعدن، وكان عند بعض الملوك قطع كبيرة من الذهب تصل إلى حجم الحجر الضخم[8].

---

[1]– ياقوت الحموي: المرجع السابق،ص 184.

[2]–فاليم: تقع هذه المنطقة اليوم في شرق مالي على الحدود مع السنغال.

[3]– بور: تقع هذه المنطقة اليوم في شمال شرق غينيا.

[4]– نعيم قداح: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة عمر الحكيم: مكتبة أطلس، دمشق، 1960، ص ص 38-39.

[5]– ونقارة: تقع في غرب مالي.

[6]– ابن حوقل: المصدر السابق،ص 101.

[7]– البكري: المصدر السابق،ص 176.

[8]– نفسه:ص 177.

ويبدو أن ملوك غانة أمموا الذهب ووضعوه في يد الحكومة للمحافظة على قيمته في الأسواق، ثم يذكر أبو حامد الغرناطي أن أهل غانة أحسن السودان ميزة وأجملهم صورا[1].

وقد شملت الخزائن الملكية ألواح الذهب التي كانت رمزا للعظمة وكان حجمها كبيرا[2]، وتجارة الذهب كانت رائجة ومنتشرة جدا وخاصة مع العرب المسلمين الذين كانوا يأتون لشرائه من التجار الغانيين وينقلونه إلى أسواق شمال إفريقيا، ثم يصدر من هناك إلى بلدان البحر المتوسط[3]، وفي المقابل كانت القوافل المغربية تنقل النسيج والملح ومصنوعات الزينة[4].

وغانة كانت محطة للقوافل القادمة من مصر والقيروان والمغرب، وللقوافل الأخرى القادمة من المناطق الجنوبية في أعالي نهر السنغال والنيجر، وكانت العاصمة كومبي صالح[5] المركز التجاري للإمبراطورية، واعتبرت من أهم الأسواق التجارية الضخمة في زمانها خصوصا في تجارة الجملة، وكانت تزدحم فيها القوافل التجارية، وتكثر فيها مستودعات التجار الأجانب الذين كانوا يقيمون في بيوت بنوها فوق مخازنهم[6].

ومن أهم صادرات غانة إلى شمال إفريقيا: **العاج، بيض النعام، الصمغ وبعض الجلود الحيوانات البرية وجوز ثمرة الكـــولا**، بالإضافة إلى الذهب الذي يعتبر أهم مـــادة

[1]– ابن حوقل: المصدر السابق،ص 101.

[2]– أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ص 112.

[3]– نعيم قداح: المرجع السابق،ص 39.

[4]– محمد فاضل، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 66.

[5]– كومبي صالح:كانت واسعة الأرجاء، أنيقة المباني، بها أسواق عديدة تزينها أشجار النخيل والحناء، وكانت من أنشط المراكز التجارية بالمملكة، بالإضافة إلى بعض المدن المجاورة كمدينة أودغست التي كانت ملتقى القوافل التجارية، وتبعد مدينة كومبي صالح بـــ 205 كلم إلى الشمال من مدينة باماكو الحالية، أنظر : مبخوت بدواية: المرجع السابق، ص 103.

[6]– نعيم قداح: المرجع السابق،ص 39.

والأولى تجاريا، ولقد شجع الأمن الذي كان سائدا على انتشار التجارة في المنطقة[1]، حيث أن التجار المسلمين والغانيين أوجدوا أصولا معينة للتعامل التجاري فيما بينهم[2].

4- مملكـــة سنغـــاي:

تعد المملكة من أهم المدن في السودان الغربي، وتميزت بفترتين تاريخيتين واحدة قبل الأسقين والأخرى بعدها؛ إذ يمثل هذا الأخير أهم الفترات الزمنية في بلاد سنغاي من حيث الحكم السياسي أو التطور الاقتصادي والثقافي.

وحكم المملكة أسرة تسمى عائلة ضياء يقال أنها قدمت من طرابلس حاليا تحت زعامة قبائل لمثة وهوارة ثم مع مرور الزمن وصلت هذه القبائل إلى صحراء النيجر واستقرت هناك وقد حكمت هذه الأسرة سنغاي إلى غاية 1335م[3].

ثم انتقل الحكم إلى عائلة " سني " في الفترة ما بين (1335م-1493م)، وهي عائلة تنحدر من عائلة ضياء الأمازيغية الأصل، حيث انتقل أول سلطان بها سمي علي عام 1335[4] ليفصلها عن المملكة السابقة الذكر مالي بعد ضعفها وانحلالها واتخذ لقب " سني " بمعنى " السلطان علي " لينحدر من هذه الأسرة ثماني عشر أميرا يعتبر عهد "علي" الكبير أهم عهد للمملكة قبل الأسقين، لأنه في عهده توسعت المملكة ودخلت طور الإمبراطورية لتضعف الإمبراطورية بعد الإطاحة بها من طرف الأسقيا الحاج محمد الكبير بثورة قام بها ضد عائلة " سني " بعد وفاة " سني علي " مباشرة.

ويعتبر " الأسقيا محمد " المؤسس الحقيقي لدولة سنغاي الذي سيدوم حكمها أكثر من قرن من الزمن[5]، وستبلغ دولة سنغاي في عهده أوج ازدهارها حيث نظمت الإدارة و جهّز

---

[1]- محمد فاضل، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 66.

[2]- نعيم قداح: المرجع السابق،ص 40.

[3]- عبد القادر زبادية: المرجع السابق،ص 26.

[4]- مبخوت بودواية: المرجع السابق، ص ص 50-52.

[5]- نفسه: ص 52.

الجيش وضمّ إلى سلطة البلاد أراضي جديدة في الشمال وعلى سواحل المحيط الأطلسي[1] فاتسعت المملكة في عهده لتمتد من مناطق الفولاني، وحوض السينغال في الغرب، إلى منطقتي أغادس[2] ودندي[3] وحدود إمارة الهوسا[4] في الشرق.

ويعتبر عهد الأسقيين هو العهد الذي انتقل وترسخ فيه الإسلام في السودان الغربي، بحيث وصف هذا العهد بالعهد الذهبي من طرف المؤرخين، حيث بلغت المملكة ازدهارا ثقافيا وعلميا وتجاريا[5] ، خاصة بعد تنفيذ الأسقيا محمد عدة مشاريع تعود بالثروة والازدهار على البلاد فلقد عمل على حفر القنوات على ضفاف نهر النيجر لزيادة مساحة الأراضي المزروعة وأوجد الأوزان والمكاييل الموحدة[6]، وأنشأ أسطولا صغيرا من سفن التموين وأقام نظام الضرائب يكون الدفع بمقتضاه عينا، وذلك ليملأ الخزانة العامة وسيطر على تغازى الغنية بالملح، مما ساعده على خلق نشاط تجاري واسع تمتعت البلاد بفضله برخاء اقتصادي هام جلب إليها الكثير من تجار طرابلس الغرب وفاس وتلمسان[7].

اعتمد اقتصاد مملكة سنغاي بالدرجة الأولى على تجارة الذهب والملح إضافة إلى سيطرتها على الطرق التجارية الرئيسية بين الشمال والجنوب؛ وبفضل الأمن والاستقرار الذي كانت تعيشه المملكة نجحت التجارة جدا وعمّ الرخاء والثراء الحكومة والشعب جميعا[8].

---

[1]– محمد فاضل، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 117.

[2]– آغادس: تقع اليوم في وسط دولة النيجر.

[3]– دندي: منطقة تقع على نهر النيجر بين شمالي البينين وغربي نيجيريا.

[4]– إمارة الهوسا: كانت عبارة عن عدد من الدولة – المدينة، كل منها محاط بسور، وتدعى " بيرني "، يرأسها ملك يدعى "ساركي " ، وظلّت جميعها منفصلة، وكانت تقع بين مملكتي سنغاي في الغرب وبرنو في الشرق، وهذا الموقع جعلها مطمع هاتين المملكتين، ولكن لم تقع في قبضة النفوذ السياسي لأي منها، أنظر: أحمد شلبي: المرجع السابق، مج6، ص 128.

[5]– هوارية بكاي: المرجع السابق،ص 08.

[6]– نعيم قداح: المرجع السابق،ص 73.

[7]– نفسه.

[8]– محمد فاضل، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 126.

ولقد ارتبطت المملكة بعلاقات قوية مع بلدان المغرب العربي وبمكان وادي النيل ووصلت إليها جميع البضائع من أوروبا ومن الشرق ومن بلاد المغرب وقد صمت مملكة سنغاي أهم المدن التي اعتبرت مراكز تجارية وحضارية وهي: **غاو، جني.**

أ- غـــاو: تعتبر أهم الحواضر في المملكة ومقر إقامة السلطان، هي مدينة عتيقة على نهر النيجر، جنوب مدينة تادمكت بتسع مراحل[1]، وقد بلغت درجة كبيرة من التطور والازدهار بحيث باتت عامرة بالسكان والمباني[2] ، وقد بلغ عدد بيوتها حوالي 7626 بيت لذلك صنفت من أكبر وأجمل مدن السودان[3] ووجد بها أيضا القصور والمساجد ومقبرة الأسقيين[4].

كما يوجد بها تجار أثرياء وترد إليها الأقمشة من المغرب وأوروبا، و يوجد بها سوق للرقيق وتصلها القوافل بعد مدينة تومبكتو ثم تغير الوضع، حيث أصبحت ترد إليها القوافل، ثم مدينة تومبكتو[5].

ب- جنـــي: تعتبر مركزا اقتصاديا هاما وتأسست في القرن 3ه واشتهرت بتجارتي الملح والذهب، وهي سوق كبيرة يلتقي فيها تجار الملح وتجار الذهب، ليتم مبادلة الملح بالذهب، وساعد موقعها الممتاز في منطقة محاطة بالمياه، ويشير المؤرخون إلى ثروتها الحيوانية والسمكية والزراعية، ولاسيما القطن الذي يشتريه التجار المغاربة لتصديره إلى أوروبا مقابل أواني نحاسية وأسلحة وغيرها من السلع[6].

---

[1]- الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق،ص 11.

[2]- ميخوت بودواية: المرجع السابق،ص 53.

[3]- نفسه: ص 5.

[4]- عبد القادر زبادية: المرجع السابق،ص 108.

[5]- الأمين عوض الله: المقال السابق، ص 83.

[6]- نفسه: ص 84.

ومن هنا نجد تدفق التجار المغاربة على المدن السودانية خاصة "جني" التي وصفت بأنها سوق عظيم من أسواق المسلمين وكان يلتقي بها تجار الملح والذهب[1].

5- كانم[2] وبرنو:

عرفت الحياة الاقتصادية في المملكة نشاطا هاما لما تتمتع به من موقع هام وواسع، ويقول القلقشندي: " **غالب عيشهم الأرز والقمح والذرة وبيلادهم التين والليمون واللفت والباذنجان ومن المحاصيل أيضا القطن والنخيل..**"[3]، وقد سيطرت "برنو" على الطرق والمسالك التجارية المارة بها ساعدها في تنشيط الحركة التجارية، رغم أنها لا تملك الذهب مثل باقي المراكز في السودان الغربي، إلا أن سيطرتها على الطرق أمّن لها مدخولا وعائدات لا بأس بها.

ومن السلع التي كانت تصدرها الرقيق وكانت تستبدله بالخيول والمصنوعات المصرية والأوروبية، بالإضافة إلى الجلود وريش النعام والعاج بالإضافة إلى الثياب والمنسوجات[4]، واشتهرت برنو بصناعة الأسلحة من الحديد والواضح أن هذه الصناعة وصلتها من مصر؛ كما وصلتها أيضا صناعة القوارب[5].

ولقد عرفت المملكة علاقات وثيقة مع بلدان شمال إفريقيا حيث اختلط السكان مع بعضهم البعض، وبانتشار الإسلام توطدت علاقاتها مع بنو حفص في تونس الذين ساعدوهم في حروبهم الداخلية، بالإضافة إلى علاقتها مع طرابلس الغرب، ومع مالي التي كانت تصدر إليها النحاس[6].

---

[1]- جمال دنون طه: المرجع السابق،ص 240.

[2]- كانم: بكسر النون من بلاد البربر وفي أقصى بلاد المغرب في بلاد السودان، أنظر: إبراهيم طرخان: المرجع السابق، ص 45.

[3]- القلقشندي: المصدر السابق،ص 152.

[4]- محمد فاضل، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 142.

[5]- إبراهيم طرخان: المرجع السابق،ص 167.

[6]- محمد فاضل، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 143.

3- 2- الروابط الثقافية:

أخذت مدن السودان الغربي طابعا تجاريا لوقوعها في طرق القوافل التجارية القادمة من الشمال ومناطق أخرى، لكن سرعان ما أصبحت تشكل مراكز هامة تجلب إليها التجار نظرا لما تتوفر عليه من منتوجات متنوعة، وكان لوصول التجار إليها دور هام في نشر الإسلام في غرب إفريقيا خاصة من شمال القارة متّبعين الطرق والمراكز التجارية عبر الصحراء وعلى طول الساحل الأطلسي، وذلك عن طريق التجار كما ذكرنا والدعاة المصلحين لتصبح أقطار السودان الغربي مركزا شعاعي ديني هام.

ويبدو أن انتشار العقيدة الإسلامية على يد التجار ومن معهم من الدعاة حيث كان للقوافل التجارية دوراً بارزاً في انتشار الإسلام والازدهار الاقتصادي بغرب إفريقيا، خاصة تلك التي تخرج من تونس إلى برنو غرب بحيرة تشاد؛ ومن جنوب الجزائر إلى بلاد الهوسة شمال نيجيريا؛ ومن جنوب مراكش إلى مصب نهر السنغال ومنحى نهر النيجر[1].

ويبدو أن بروز أي مدينة تجارية سيؤدي بها إلى الظهور كمركز ثقافي يجمع المعلم والمتعلم بعدما كانت تجمع البائع والمشتري، فتصبح مركزا لتبادل السلع والأفكار معا[2].

ويبرز اختلاف المدن حيث يغلب على البعض من المدن الطابع الاقتصادي مثل: جني في مالي وتغلب الجانب العلمي على مراكز أخرى، مثل مدينة كانو في نيجيريا واشتهرت تومبكتو في مالي بالأمرين معا[3] ولقد كانت تصلها من الشمال الخيل والأقمشة والملح؛ ثم تعود[4] محملة بالذهب والعبيد والأخشاب والمنتجات الاستوائية[5].

1- محمد فاضل، سعيد إبراهيم: المرجع السابق، ص 35.

2- نفسه: ص 38.

3- أحمد شلبي: المرجع السابق،ص 194.

4- محمد فاضل، سعيد إبراهيم: المرجع السابق، ص 39.

5- نفسه.

ولقد كان التجار يترددون على المراكز التجارية في السودان الغربي فاحتكوا بالسودانيين أثناء إقامتهم بهذه المراكز؛ ونتيجة لهذا الاحتكاك انتشر الإسلام وتأثر بهم السودانيين[1].

كما عمل بعض التجار إلى تشييد المدارس والمساجد وكانوا يرسلون بعض الطلاب المجتهدين من السكان الأصليين لإرسالهم إلى المعاهد الإسلامية في الشمال الإفريقي ومصر، ليتلقوا المزيد من العلم؛ وليعودوا قادة للفكر الإسلامي في بلادهم[2].

ولقد أدّى ثراء التجار المسلمين آنذاك دورا كبيرا في تحسين صورة الإسلام في غرب إفريقيا، فساعد ذلك الغني التاجر المسلم على بناء منزل جميل والظهور بمظهر الكرم والسخاء، كما اهتم التجار باحترام مواقيت الصلاة سواءا فردا أم جماعة أو الجمعة ولا يشربون الخمر[3]، فلقد كان التاجر يلفت انتباه السكان بهذه الصفات وبكثرة وضوئه وعبادته.

وبما أنّ القوافل التجارية تحمل معها إلى السودان عدة آلاف من البشر سنويا، مما جعل أثرها ملموسا، وقام التجار بتعميق العلاقات الثقافية من خلال إنشائهم المدارس لتعليم القرآن وأقاموا المساجد[4]، وبالتالي مارسوا نشاطا تعليميا إلى جانب مزاولتهم للنشاط الاقتصادي.

كما ساهم التجار بنشر اللغة العربية التي هي لغة القرآن، فيجب على من يريد الدخول في الإسلام تعلمها إضافة إلى استعمال التجار للغة العربية في معاملاتهم، كما اختلط

---

[1]- حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963، ص 57.

[2]- أحمد شلبي: المرجع السابق،ص 206.

[3]- محمد فاضل ، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 40.

[4]- الأمين عوض الله: المقال السابق،ص 95.



المسلمون بالسكان الأصليين عن طريق التزاوج حيث كان من أهم عوامل نجاح انتشار الإسلام بالمنطقة[1].

والواضح أن انتشار الإسلام في البلاد السودانية، ارتبط بداية مع التجار والمسلمين الأوائل الذين كانوا على مذهبهم، خاصة وأن التجارة مع السودان كانت حكرا لجماعات الخوارج انطلاقا من " تاهرت " و " سجلماسة "، بالإضافة إلى سيطرة تلك الجماعات الخارجية على المداخل الصحراوية إلى البلاد السودانية، وأسهم التجار في بسط سلطان الدولة وتوسيع رقعتها بنشر الإسلام بين المجموعات غير المتجانسة عرقيا ولغويا فغذا الإسلام عاملا موحدا[2].

وارتبطت مصالح الحكام مع التجار، من خلال عملهم على ازدهار التجارة الداخلية، وربطها بالتجارة العالمية عبر الصحراء، فتوفر للحكام عائد مالي كبير فطوروا مؤسسات دولهم ووسعوها لتتناسب مع الظروف المتغيرة[3].

ولقد سهل الحكام أمور التجار الوافدين بإشاعة الأمن وإعفائهم من الضرائب، وتشجيعهم على نشر الدين الجديد، وجذب العلماء إلى مناطقهم والاستفادة منهم في إدارة شؤون مملكتهم، ووجد ارتباط وثيق بين الحكام والتجار والعلماء، حيث نجد قول سني علي: **" لولا العلماء لا تحلو الدنيا ولا تطيب "**[4].

وحرص الحكام على تشجيع بناء المساجد وإحياء مكاتب القرآن وتدريس علومه واحترام معلميه وطلابه وعرفت بلدة " كنجور ": **" بأنها بلد العلماء فلا يدخلها جند سلطان إلا سلطان كياك نفسه مرة كل عام وذلك في شهر رمضان حاملا الهدايا والصدقات لسدنة العلم وطلابه وفي ليلة القدر يأمر بطبخ الطعام ثم يجعل المطبوخ في**

---

[1]– الأمين عوض الله: المقال السابق،ص ص 95-96.

[2]– عمر عز الدين موسى: انتشار الإسلام في غرب إفريقيا حتى القرن 16م، مجلة ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1985،ص50.

[3]– نفسه: ص 51.

[4]– عمر عز الدين موسى: المقال السابق،ص 51.

المائدة أي القدح الكبير ويحملها فوق رأسه وينادي قراء القرآن وصبيان المكتب ويأكلونها والقدح على رأسه يحملها وهو قاعد وهم قائمون يأكلون، تعظيما لهم ..."[1].

ومن عادة الملوك أيضا تعظيم موكب الحجاج، فعندما يأتون وينزلون ظاهر البلد ... يخرج عليهم الأسكيا ويتلقّاهم بالكسوات واللباس ويسألهم الدعاء ويترك بهم.

وقد أدت سياسة الحكام دورا إيجابيا في نشر الإسلام في البلاد السودانية، وكان لها الدور الأعظم في إسلام العامة خاصة، عندما أسلم السكان الأصليون نتيجة احتكاكهم بالتجار الوافدين أو تلقي العلم من العلماء الزائرين أو المقيمين[2]، بالإضافة إلى تأثير الهجرة البشرية من خارج البلاد السودانية أو هجرات جماعات سودانية، كانت قد أسلمت من منطقة إلى أخرى، ولعبت هذه الهجرات دورا هاما، إذ اعتبرت من أهم القنوات التي نشرت الإسلام في البادية والحاضرة، وبين العامة والخاصة في المدن، وبين الزارع والرعاة في الأرياف وذلك كله لاختلاط البربر والعرب والسكان الأصليين إما مصاهرة أو معايشة على اختلاف أديانهم وتباين ألسنتهم فامتزجت الدماء وتداخلت الثقافات[3].

وساهم الدعاة والمعلمون في نشر الإسلام في السودان الغربي، ونجح أغلبهم لأنهم عملوا بمبدأ التآخي والمساواة بين المسلمين الجدد، ولم يكن هناك تعصب للون ولا للجنس ونظرا لمستوى هؤلاء الدعاة الذين تخرجوا من مدارس القيروان وفاس وطرابلس والقاهرة فقد أثروا تأثيرا كبيرا وإيجابيا على سكان هذه البلاد، وساهموا مساهمة فعالة في نشر الثقافة الإسلامية[4].

كما أن موجة انتشار العمران على حساب البادية، ساعد على اختلاط الأجناس وتمازجها فلم يستقر العمران على قواعد الدول مثل " غانا "و" مالي "و" غاو "و" أبجمي "،

1– عمر عز الدين موسى: المقال السابق، ص 52.

2– نفسه:ص 53.

3– نفسه.

4– الأمين عوض الله: المقال السابق،ص 98.

وإنما شمل العمران مدنا عدة في الدولة الواحدة مثل: تومبكتو وجني في أيام دولة مالي ثم سنغي، يقول السعدي نقلا عن عمر عزالدين: " **وقد ساق الله تعالى لهذه المدينة المباركة سكانا من العلماء والصالحين من غير أهله من قبائل شتى وبلاد شتى** "[1].

ونتيجة للحركة التجارية النشيطة في المنطقة، وتبادل الأفكار الدينية وانتشار الإسلام، نشطت قوافل الحج إلى الأراضي المقدسة، فكانت تخرج من غرب إفريقيا قوافل عديدة، يجتمع الناس في البقاع المقدسة على اختلاف شعوبهم ولغاتهم من كافة أنحاء العالم، للصلاة والحج وعندما يعودون إلى بلادهم يكونون مملوءين بالحماسة من أجل نشر العقيدة السامية، ويقف هؤلاء الحجاج على الجهاد ونشر الإسلام[2].

واعتبرت الرحلة للحج إحدى القنوات التي انتشر بها الإسلام، لاسيما في الفترات الأخيرة، حيث كان من أهم العوامل الفعالة في حركات التغيير الإسلامي في البلاد السودانية، فلقد استقر الكثير منهم في المدن السودانية يدرسون ويدرّسون، ومن أمثال هؤلاء: **عبد الرحمن التميمي، أحمد بن عمر بن محمد أقيت الصنهاجي، مخلوف البايلي...إلخ**[3].

ونتيجة لانتشار الإسلام في بلاد السودان مع التجارة أولا ومع اختلاط الأجناس والرحلة للحج وتشجيع الدول السودانية للعلم وطلبته، فقد ازدهرت تدريجيا ثقافة إسلامية عربية ابتداءا من القرن 12م ووصلت درجة عالية من الازدهار في القرن 16م[4].

وما يدل انتشار الإسلام الواسع بين سائر الناس، كثرة المساجد في المدينة الواحدة كما في غانا ولم تكن مدينة مسلمة وقتها، ونجد أيضا المساجد الجامعة التي تقام فيها الجمعة في المدينة الواحدة، مع أن الراجح عند المالكية عدم تعددها إلا بشروط عزيزة[5].

---

[1]- عمر عز الدين موسى: المقال السابق،ص 54.

[2]- عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430هـ-515هـ/1038م-1121م، مع نشر وتحقيق: رسائل أبي بكر بن العربي،ط1، دار الغرب الإسلامي، 1988،ص 156.

[3]- عمر عزالدين موسى: المقال السابق،ص 56.

[4]- نفسه: ص 54.

[5]- نفسه:ص 55.

ويرتبط بكثرة المساجد، مسألة التعليم فبالإضافة إليها هناك كثير من العلماء والقراء منتشرون في بلاد السودان مدن وقرى وبوادي حسبما أوضحته روايتا " أسكيا " عن القراء والسعدي عن علماء جني ويحدثنا الكعتي عن تومبكتو فيقول: **"وفيها مدارس معلمي الصبيان الذين يقرؤون القرآن مائة وخمسين أو ثمانين كتبا"**[1]، ويبدو أنها كانت مركزا تجاريا وثقافيا هاما.

والانتشار الكبير للإسلام، والعدد الهائل للمعلمين والعلماء والطلاب، أدّى إلى ثقافة مزدهرة أصيلة في العلوم النقيلة، فقد كثُر بين العلماء من برعوا في القرآن والحديث وعلومها والفقه المالكي أصوله وفروعه ونواز له، واللغة العربية والمنطق ويذكر الحسن الوزان: " أن المخطوطات والكتب كانت من أهم سلع تجارة عبر الصحراء وتباع في البلاد السودانية أكثر من أي سلعة أخرى."[2]

ويقول الكعتي عن أسكيا داود: **" له خزائن الكتب وله نساخ ينسخون له كتبا وربما يهادي بها العلماء"**[3]، وكثرة مجالس العلم التي يحضرها علماء من ذوي المعرفة الوافرة والعلم الغزير كمجلس " ماي برنو " أو يكون للأسقيا داود مجلس لتعلمه، حيث كان حافظا للقرآن وقرأ الرسالة وأتمها وكذا كان أسكيا الحاج حافظا للقرآن[4].

وازدهرت المراكز التجارية في غرب إفريقيا والتي تحولت فيما بعد إلى مراكز ثقافية، تشجع العلم والعلماء ومن أهم هذه المراكز نجد: **أودغست وغانة، جني وتومبكتو**[5].

---

[1]- محمود الكعتي: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، طبعه السيد هوداس، طبع بمطبعة بردين، باريس 1913،ص 180، وأنظر: مبخوت بودواية: المرجع السابق،ص 222.

[2]- عمر عزالدين موسى: المقال السابق،ص 56.

[3]- الكعتي: المصدر السابق، ص 94.

[4]- عمر عز الدين موسى: المقال السابق،ص 56.

[5]- عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق،ص 157.

وتعتبر أودغست من المراكز الثقافية الهامة، والتي كان لها دور كبير في نشر الإسلام والثقافة العربية في منطقة السودان، فهي من المراكز الأولى التي انتشر منها الإسلام إلى رحاب السودان[1].

وكان لموقعها الممتاز كمحطة تجارية هامة لقوافل الصحراء، أثر كبير في نشر الأفكار والثقافات التي كان يحملها التجار والمسافرون من العلماء والطلاب عبر الصحراء[2].

وقد وصفها البكري: "... **وفيها مساجد كثيرة آهلة، وكان بهذه المساجد المعلمون لتعليم القرآن الكريم، والسنة وتعاليم الإسلام، كما كثرت بها المدارس لتعليم الأطفال** "[3].

أمّا عن مدينة غانة فنجد بها بيوتا على طراز مغربي جميل، وساهم التجار في بناء عدد من المدارس، التي تعلم القرآن الكريم واللغة العربية، فأقبل عليها السكان الغانيون بشغف كبير[4]، مما جعل اللغة العربية لغة الثقافة الوحيدة بالبلاد واللغة المستعملة في التبادل التجاري والمراسلات[5].

وازدهرت مدينة غانة، فأصبحت تعجّ بالتجار وعملائهم، والفقهاء والطلبة، وكان سكانها يبلغون أكثر من ثلاثين ألف نسمة، ومساكنها من الحجارة وبعضها من طابقين، وتشمل على العديد من الحجرات[6].

---

[1]- عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص 158.

[2]- Corne vin Robert, Histoire de l' Afrique des origines au XVI siècle, Tome 1,p 297.

[3]- البكري: المرجع السابق،ص 158.

[4]- محمد فاضل وسعيد إبراهيم كربدية: المرجع السابق،ص 73.

[5]- نعيم قداح: المرجع السابق،ص 41.

[6]- عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق،ص 160.

وتعتبر مدينة جني من أهم المدن السودانية التجارية والثقافية وقد ازدهرت بفضل تأمين الطرق التجارية وانتشار الأمن، وامتازت بسعتها وبأنها سوق عظيمة من أسواق المسلمين يلتقي فيها التجار من جميع البلاد[1].

ووصل إليها طلاب العلم والفقهاء وكان الطلبة يسارعون إلى العلماء والفقهاء لاقتباس علمهم، والتتلمذ على أيديهم وكانت الحلقات الدراسية والمناقشات العلمية تبدأ من منتصف الليل إلى صلاة الصبح وبعد الصلاة يجلسون حول العلماء إلى الزوال، تتخللها فترة راحة وتبدأ من جديد بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر[2].

ويقول السعدي: " **فهي مدينة ميمونة مباركة، ذات سعة وبركة**"[3]، وبإسلام أميرها " كنبرو " في نهاية القرن الحادي عشرة الميلادي، حذت حذوه الرّعية، وأسلمت الرّعية[4]، ويقال أنه لمّا أراد اعتناق الإسلام جمع كل العلماء في مملكته، وكان عددهم أربعة آلاف ومائتي عالم، وأسلم على يدهم، وطلب منهم أن يدعو الله أن ينصر مدينته، ثم هدم قصره وبنى مكانه مسجدا عظيما مبالغة في حبه للدين الإسلامي[5].

وتعتبر مدينة تومبكتو منارة العلم والعلوم الإسلامية، حيث كان لها الأثر البعيد في نشر الإسلام وفي الرقي الحضاري خاصة منذ القرن 14م-17م، في منطقة السودان الغربي إذ اقترن تاريخ الحياة الثقافية في تلك المنطقة بمدينة تومبكتو التي كانت زاخرة بالعلوم، يؤمها العلماء وطلاب العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وترعرع الدين في مساجدها وأصبحت مجمعة العلماء من كل مكان[6]، وقد بلغت مكانة كبيرة في الثقافة العربية حتى أنها

---

[1]- عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص 162.

[2]- نفسه.

[3]- السعدي: المصدر السابق،ص 11.

[4]- عصمت عبد اللطيف: المرجع السابق،ص 162.

[5]- السعدي: المصدر السابق،ص 12-13.

[6]- محمد فاضل ، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 101.

كانت لا تقل عن مكانة القيروان في تونس، أو فاس في المغرب الأقصى، أو قرطبة في الأندلس، أو القاهرة في مصر[1].

ووصل إلى المدينة العديد من التجار الذين ساهموا في بروزها كمركز تجاري واقتصادي هام، ثم تبعهم العلماء الذين سكنوها وخدموا العلم فيها[2]، فكانت مركزا ثقافيا وفكريا يجتمع فيه العلماء من جميع الأجناس والألوان، ووفد إليها علماء وفقهاء من بلاد المغرب والأندلس ومصر والحجاز وكافة بلاد السودان[3]، لأنهم وجدوا بها التشجيع والرعاية من طرف سكانها وسلاطينها[4].

ولقد ربطت مدينة تومبكتو بالجامعات المغربية الإسلامية، علاقات وطيدة إذ تدين في ثقافتها وحضارتها إلى المغرب؛ فكانت على اتصال وثيق بمراكش[5] والقيروان وتلمسان وغدامس وطرابلس.

وانتشرت مظاهر الحضارة والمؤثرات الثقافية والفكرية من شمال إفريقيا إلى السودان الغربي، مما ساعد على الازدهار الثقافي خاصة ما بين القرنين6ه-9ه/12م-15م، وقد سكنها التجار والعلماء الصالحون[6] خاصة علماء المغرب، الذين كانوا دائبي الرحلة إليها، كما كان علماؤها كثيرا ما يقيمون بفاس أو مراكش يعملون ويتعلمون[7]، ووصلها العلماء من أهل مصر وغدامس وغرب ليبيا وتقرت بالجزائر ومنطقة وادي درعة في جنوب المغرب وفاس والقيروان ومراكش والحجاز، وأصبحت مركزا للتعليم الإسلامي، انتشرت بها المكتبات الخاصة من أجل التأليف والنسخ[8]، حيث أنها كانت مدينة عظيمة الشأن، وفيها

[1]- عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق،ص 163.

[2]- محمد فاضل، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 101.

[3]- حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 270.

[4]- عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق،ص 163.

[5]- الأمين عوض الله: المقال السابق،ص 101.

[6]- محمد فاضل ، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 101

[7]- الأمين عوض الله: المقال السابق،ص 101.

[8]- محمد فاضل ، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 101.

كثير من الدكاكين المملوءة بالمنسوجات والكتب[1] فكانت تومبكتو منارة العلم في السودان، سكنها الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل بلاد[2].

وارتبطت المدارس في غرب إفريقيا ارتباطا شديدا بالدين، وفي أول الأمر ألحقت المدارس بالرباط، حيث كان يقيم المرابطون للتعبد والتعلم، ثم أصبحت ملحقة بالمساجد فكان إلى جانب كل مسجد غرفة أو غرفتان لتعليم الأولاد، وكانت هناك أمهنة لنوم الطلاب الذين يأتون من أماكن بعيدة، على أنّ المساجد كانت بمثابة المقر الرئيسي لتلقي العلم[3].

وانتشرت المساجد في السودان الغربي، وكانت خير أمكنة للتعلم والوعظ والإرشاد[4]، ومن أهم مساجد تومبكتو المسجد الجامع الكبير، ويعتبر من أقدم وأكبر مساجد تومبكتو ويبدو أن المسلمين أنشؤوه عندما استقروا بالمدينة. وكان بناؤه على صورة متواضعة تتناسب مع حجم سكان المدينة في تلك الفترة أي 6ه/12م[5]، ومسجد سانكوري الشهير، فقد بنته في الأصل سيدة فاضلة، ثم أُعيد توسيعه عدة مرات كان آخرها على أيام الأسقيا داود[6]، والجزء الشمالي منه الذي يعتبر جامعة هامة انفتحت على العديد من الجامعات ومراكز العلم في الأندلس والمغرب مثل: فاس، مراكش، بجاية، طرابلس الغرب وتشابهت مع جامعة القروين بفاس من حيث منهاج التعليم وأساليب التدريس[7].

ومن أشهر العلماء الذين كانوا بالسودان الغربي وأثروا فيه وتأثروا بعلماء آخرين من مناطق بعيدة نجد:

1- عبد القادر زبادية: المرجع السابق،ص 102.

2- السعدي: المصدر السابق،ص 21.

3- عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق،ص 167.

4- محمد فاضل، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 102.

5- جوامع تومبكتو: الموسوعة العربية العالمية،مج8، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1996،ص 546.

6- عبد القادر زبادية: المرجع السابق،ص 104.

7- محمد فاضل ، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 105.

محمد أقيت وأسرته: استقر محمد أقيت بتومبكتو في منتصف القرن 9ه، وقد انحدر من هذه الأسرة علماء كان لهم الأثر البالغ في الثقافة الإسلامية واللغة في السودان الغربي عامة وتومبكتو خاصة منهم:

محمد بن عمر محمد أقيت: هو أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحي التكروري التومبكتي ، عرف بالحاج أحمد وهو جد أحمد بابا التومبكتي، وأكبر الإخوة الثلاثة اشتهروا بالعلم وكانوا من أهل الخير والفضل والعلم، وأخذ عن عدد من الشيوخ منهم جده لأمه الفقيه أندغ محمد قاضي مدينة تومبكتو وخله الفقيه المختري النحوي[1] وبعض شيوخ منطقة توات[2]، ارتحل إلى المشرق الإسلامي وحج عام 890ه/1485م، ولقي العالم الجليل جلال الدين السيوطي وخالد الأزهري إمام النحو وغيرهما.

القاضي محمد سانو الونكري: كان فقيها عالما عابدا صالحا، قدم إلى مدينة جني في أواخر القرن 9ه، قادما من قرية تسمى " طور" القريبة من جني وعند استقراره بها أحاطه السلطان بمظاهر التبجيل والاحترام[3].

وأصبح بعد ذلك من أهل الشفاعة لديه وعندما زار الشيخ محمود بن عمر بن محمد أقيت عالم بلاد السودان وإمامها مدينة جني في مطلع القرن 10ه التقى بهذا العالم، فأعجب بعلمه وصلاحه فأثنى عليه، ولمّا رجع إلى تومبكتو نقل ما رآه من حاله وعلمه وصلاحه وزهده إلى مسامع أمير المؤمنين الحاج أسقيا محمد، فعينه على قضاء مدينة جني بعد عودته من الحج حوالي سنة 904ه[4].

[1]- مبخوت بودواية: المرجع السابق،ص222.
[2]- الكعبي: المصدر السابق،ص 85.
[3]- مبخوت بودواية: المرجع السابق،ص 226.
[4]- نفسه.

بالإضافة إلى علماء آخرين أمثال: عبد الله بن محمود أقيت ومحمد بن محمود بن عمر اقيت، أحمد باي التميكني والسعدي والقاضي محمد كعت صاحب تاريخ الفتاش[1].

كما أن للزوايا والطرق الصوفية دورا في نشر الثقافة الإسلامية، أما فيما يخصّ الطرق الصوفية، فقد ارتبط غالبية المسلمين في غرب إفريقيا برجال الدين بوساطة إحدى الطريقتين " القادرية " أو " التجانية " ، ولقد كان انتشار هاتين الطريقتين ولاسيما التجانية واسعا جدا، ومن بين الطرق الصوفية التي كان لها انتشار واسع في السودان الغربي الطريقة القادرية التي أسسها سيدي عبد القادر الجيلاني[2] في العراق، ثم انتقلت إلى وسط إفريقيا في القرن 15م، وبعد الشيخ عمر بن الشيخ البجائي أول من أوصل هذه الطريقة إلى الأطراف الشمالية للسودان الغربي، حيث أقبل الكثير من السودانيين على الانضمام إليها، وذلك راجع لنشاط دعاتها الذين حرصوا على[3] نشر الدين والعلم معا بإنشائهم الكبير من المدارس والمراكز في ولاتة أول مركز لطريقتهم[4]، ثم تومبكتو التي كانت في هذه الفترة قد وصلت أوج قيمتها الثقافية والاقتصادية والعمرانية[5]، مما ساعد الكثير من الدعاة العرب على نشر هذه الطريقة الصوفية وممارسة نشاطاتهم الأخرى الدينية والثقافية وتشجيع وتحفيز الطلبة للاستزادة في العلم والترحال من أجل طلب العلم إلى شمال إفريقيا كالقيروان وفاس وتلمسان وتوات والقاهرة، وتعد الطريقة القادرية أقوى الطرق الدينية في الصحراء وأكثرها توغلا في السودان الغربي[6].

1– عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 104- 105.

2– عبد القادر الجيلاني: مؤسس الطريقة القادرية ولد بجيلان شمال إيران 1078م ثم انتقل إلى بغداد عام 1095م فاتصل بشيوخ العالم والتصوف وبرع في أساليب الوعظ والتفقه وسمع الحديث وقرأ الأدب عمل في التدريس والإفتاء في بغداد سنة 1133م وكان يفتي على المذهب الشافعي والإمام بن حنبل، عرف بالتواضع والتسامح الديني وحب البر والشفقة على الفقراء وكان لا يقوم لأحد من العظماء ولا أعيان الدولة.... توفي في بغداد سنة 1166م من مؤلفاته الفتح الرباني وكتاب الفيوضات الربانية، أنظر: أحمد توفيق عياد: التصوف الإسلامي تاريخه ومدارسه وطبيعته وأثره ، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة 1970، ص 279-283.

3– مبخوت بودواية: المرجع السابق،ص 255.

4– محمد فاضل ، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 43.

5– مبخوت بودواية: المرجع السابق،ص 226.

6– نفسه: ص 256.

وأوفرها نجاحا في نشر الإسلام[1] ومن العوامل التي ساعدت على انتشارها وتوغلها إتباع أساليب مختلفة في نشر الدعوة الإسلامية قربتهم من الناس، فكثيرا منهم جلسوا معلمين للأطفال أو الصبية، وكان أغنياء الصوفية يفتحون المدارس للطلاب أو يختارون أذكى الشبان ويرسلونهم إلى مراكز العلم والثقافة في شمال إفريقيا، ليعودوا قادة بين أهلهم[2]، وعملت على تأسيس منارة العبادة والتعليم في المساجد ومدارس، وحتى عن طريق المصاهرة مع أهالي البلد أو بشراء العبيد لتعليمهم مبادئ الدين الحنيف، ثم عتقهم ونشر مبدأ الحرية والمآخاة والعدل والمساواة[3]، وكان أول من نشر الطريقة القادرية بالسودان الغربي" الشيخ عبد الكريم المغيلي التلمساني"[4]، وعنه أخذ الطريقة " الشيخ سيدي عمر بن الشيخ سيدي أحمد البكاي بن سيدي أحمد الكنتي " 959ه/1552م، وأصبحت تسمى بالبكائية وهي جزء من القادرية وانتشرت كثيرا في أوساط الجماهير في السودان[5].

ونجحت الطريقة بانضمام الملوك وأمراء السودان الغربي إليها، والذين اتخذوا من مقدمي الطريقة القادرية مستشارين لهم، فاستفادوا منهم ومن علمهم، مما سهل انتشارها وكانت أكثر انتشارا في بلاد الغرب السوداني[6].

---

[1]- مبخوت بودواية: المرجع السابق،ص 256.

[2]- محمد فاضل، ، سعيد إبراهيم: المرجع السابق،ص 44.

[3]- مبخوت بودواية: المرجع السابق،ص 256.

[4]- عبد الكريم المغيلي التلمساني: فقيه ومفسر ومحدث ومتكلم منطقي رحل إلى السودان الغربي لنشر أحكام الشرع وقواعده وكان من أتباع الطريقة البكائية المتفرعة عن الطريقة القادرية وعمل على نشرها في الصحراء، توفي في توات عام 909ه/1503م، من تصانيفه: "البدر المنير في علوم التفسير " و" مصباح الأرواح في أصول الفلاح " و" شرح الجمل في المنطق " أنظر: عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية،مج10، مطبعة الشرقي، دمشق، 1957- 1961، ص 191.

[5]- مبخوت بودواية: المرجع السابق،ص 256.

[6]- فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين 18 و 19 م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص 110.

بالإضافة إلى الطريقة التيجانية[1]، التي وجدت لها أنصار عديدين بالسودان الغربي والطريقة الشاذلية[2] والسنوسية[3].

كما كان للزوايا دورا بارزا مثلها مثل المساجد والمدارس، في نشر العلم وتثبيت دعائم الإسلام بالمنطقة، ولقد أنشئت هذه الزوايا من طرف رجال الدين الصوفيين، ووصلت إلى السودان الغربي عن طريق علماء توات ورجالها الذين عرفوا بكثرة ترحالهم، وبنائهم للزوايا المتعددة الخدمات، فكانت عبارة عن منارة للعبادة والعلم ومراكز لإقامة الطلاب ونزول المسافرين وإيواء الفقراء وأبناء السبيل، وهذا النشاط ساهم كثيرا في انتشار الإسلام بالسودان الغربي[4].

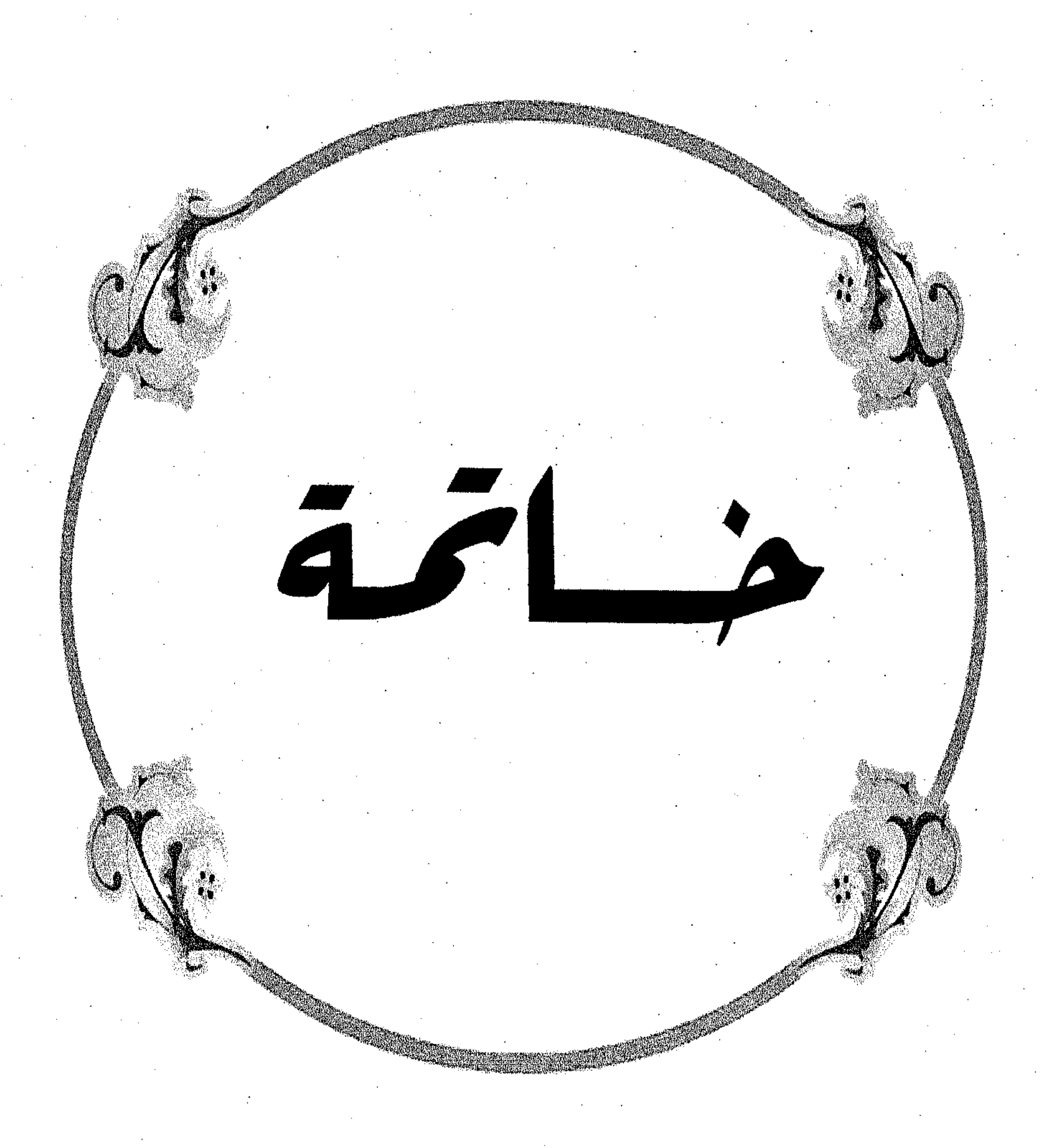
---

[1]- التيجانية: نشأت هذه الرابطة الروحية على يد الشيخ أحمد التيجاني الذي ولد في عام 1737م في قرية عين ماضي في صحراء الجزائر درس العلوم الشرعية وارتحل متنقلا بين فاس، تلمسان، تونس، قاهرة ومكة ....، أنشأ طريقته عام 1782م في قرية أبي سمغون في الجزائر ثم صارت فاس المركز الأول لها، ومنها انتشرت إلى إفريقيا الغربية توفي في عام 1815م، ودفن بزاويته بفاس، من أبرز آثاره:" كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي عباس التجاني"، أنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ،ط2، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، 1989،ص 125.

[2]- الشاذلية: تنتسب إلى مؤسسها الشيخ أبي الحسن الشاذلي، ت 656ه/1258م، وهو صوفي أصله من شاذلة بإفريقية ...، أنظر: عمار هلال: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا، الجزائر، 1988، ص 100.

[3]- السنوسية: فرقة دينية صوفية كان لها أثر بعيد في نشر الإسلام في غرب إفريقيا أسسها سيدي محمد بن علي السنوسي التي قامت بليبيا، ولد بمستغانم 1787م، تعلم على يد علماء مسقط رأسه، ثم ارتحل على فاس....، درس الصوفية وعين مدرسا بالجامع الكبير فيها....، أنظر: الموسوعة العربية العالمية،مج13، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض،1996،ص 156.

[4]- مبخوت بودواية: المرجع السابق،ص 262.



خـــاتمة

ومما سبق ذكره، لقد عرف المغرب حركة تجارية واسعة وانتعاشا كبيرا بين مختلف مدن المغرب الإسلامي خاصة، وبين مدن الأقطار المجاورة عامة، وذلك لما شهدته المنطقة من تبادل تجاري هام سمح بالتواصل الدائم بين شعوب المنطقة والمناطق الأخرى الذي أدى إلى تفاعل تجاري وثقافي وسياسي هام.

انتعشت بلاد المغرب اقتصاديا نظرا لما تتوفر عليه من منتوجات مختلفة ومتنوعة ولوفرة البضائع الفلاحية مثل: الحبوب، الزيتون، التين، الحوامض...إلخ والصناعية مثل: الصناعة المعدنية، صناعة الأسلحة، صناعة الورق...إلخ، أدى إلى انتشار هذه المنتوجات داخليا وخارجيا، لما تتميز به من جودة وإتقان في كل مدينة عن الأخرى.

كما عرف المغرب تطورا اجتماعيا، لاختلاف العناصر البشرية واختلاط الأجناس مع بعضها، وتأثير كل عنصر في مجال معين سمح لتطور الميدان الفلاحي والصناعي في المنطقة، ومن بين هذه العناصر نجد البربر، الأندلسيين، اليهود، العرب، العبيد...إلخ.

لقد ضم المغرب الإسلامي في القرن 3ه/9م، مناطق تجارية أساسية مثل: القيروان، تيهرت، المهدية، المسيلة، آشير التي اتصلت بها المسالك التجارية، وعرف المغرب الأقصى تطورا أيضا بواجهتيه البحريتين، لتغيير هذه المراكز لأسباب سياسية واقتصادية، فظهرت ظاهرة تأسيس المدن على حساب الأخرى بعد أن تفقد مكانتها الاقتصادية وبالتالي تفقد نشاطها التجاري، وتغير المسالك التجارية لتضم مراكز جديدة كتلمسان، فاس، مراكش، غدامس، توات وساهمت هذه المراكز في تنشيط الحركة التجارية والفكرية بين المدن المغربية والأقطار الأخرى وتنوع السلع المتبادلة.

ولقد شكلت الأسواق عصب الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المغرب وهي متنوعة إما يومية، أو مؤقتة، وموسمية، أسبوعية، وعسكرية ونجدها في كل بلاد المغرب مثل: سوق سوسة، سوق الأحد، سوق الثلاثاء، سوق الخميس، سوق درعة...إلخ.

واشتملت الأسواق على أنواع مختلفة من السلع وتميزت بإقبال كبير للناس نظرا للتنظيم الجيد والمحكم ولتوفر البضائع المعروضة من حبوب وزيت الزيتون واللحوم والقطن والخشب والملح والتمور والعسل والسكر والمرجان والعنبر والورق والمنسوجات والصوف والنحاس المصنوع والجلود...إلخ، ومن هذه الأسواق نذكر: سوق تلمسان، سوق فاس، سوق بجاية، سوق مراكش، سوق القيروان، وألمرية وبلنسية...إلخ.

كما برزت مدن أدت دورا رئيسيا وبارزا في الحركة التجارية بين المغرب والسودان الغربي الذي كان يعتبر منطقة لتجارة كثيرة ومربحة جدا، واعتبرت أغمات وسجلماسة وغدامس من أهم المراكز التجارية على الطريق الصحراوي.

ونشطت الحركة التجارية الخارجية لتوفر السلع التي فتحت للتجار أسواقا جديدة في الأندلس ليرتادها التجار المغاربة سلعهم، وتميزت منطقة البحر المتوسط بمنطقة العبور الآمنة لسلع بلاد السودان والمغرب والأندلس، فقامت علاقات تجارية بين هذه الأقطار وأوروبا حيث أصبحت البضائع تشق طريقها إلى تلك البلاد.

وارتبط تطور التجارة والعلاقات التجارية بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي بانتشار الإسلام ولاسيما في المناطق الصحراوية من المغرب الإسلامي وبصورة خاصة في جنوب الصحراء إثر التطور الكبير والسريع الذي شهدته التجارة الصحراوية ابتداءا من القرن الثالث الهجري من منتوجات فلاحية وصناعية تفتقر إليها كل مدينة وبالتالي تكمل بعضها البعض.

وظلت الحركة التجارية نشيطة داخل البلاد لارتباط المدن التجارية بالتجارة الخارجية، وشجع الموقع الجغرافي على ازدهار التجارة مع الشمال أو الجنوب، وظهرت مسالك ودروب تجارية جديدة تغيرت مساراتها ومراكزها الرئيسية، إما حسب الظروف الطبيعية أو السياسية، إلا أنها ظلت تشكل شبكة من الطرق الكبرى لجلب أهم السلع المتبادلة أو من الجانب الثقافي حيث اعتبرت أهم نقاط التواصل الفكري والثقافي بين مختلف المناطق.

ونجد الطرق البرية التي سلكتها القوافل التجارية، وكانت همزة وصل بين المدن المغربية في الشمال والمدن الصحراوية في الجنوب، وانطلقت هذه القوافل من العديد من المراكز في الشمال متوجهة نحو الجنوب.

كما أن منطقة المغرب تميزت بشبكة من الطرق البحرية التي شملت الشريط الساحلي، وضمت المدن الساحلية مثل: تنس، وهران، أرشكول، هنين، بجاية، مرسى الخرز، سبتة، سلا، طنجة، البصرة...إلخ وكل المراسي الواقعة على البحر والمحيط والتي كانت تؤدي دورا تجاريا داخليا وخارجيا، مما ساهم في بروز مراكز تجارية هامة على طول الساحل المغربي.

كما عرف عن سكان المغرب، استعمالهم للطرق النهرية مثل: نهر سفتد الذي استخدم للوصول إلى المحيط الأطلسي والعودة إلى البحر المتوسط، بالإضافة إلى نهر سبو بفاس، ووادي تافنة...إلخ وكانت الأنهار تستخدم في التجارة الخارجية أكثر منها الداخلية لعدم ملائمة الأنهار للملاحة، وهي تعتمد أساسا على البضاعتين الرئيسيتين الذهب والرقيق خاصة وأن منطقة السودان أصبحت تشكل المصدر الأول لهذه التجارة.

وقد ظهرت تجمعات سكانية في مختلف مراكز التجارة الموجودة على طول المسالك التي كانت تربط بين الصحراء جنوبا وموانئ البحر المتوسط شمالا، وبين الصحراء والمشرق الإسلامي، وتعتبر فئة التجار المسلمين أنشط عناصر سكان تلك المراكز ليس في النشاط التجاري فحسب بل في نشر الإسلام أيضا.

وتنوعت المبادلات التجارية بين المنطقتين حيث أن تجار المغرب أخذوا معهم المنتوجات الفلاحية والصناعية، خاصة الملح الذي كان يشكل تجارة مربحة جدا والذي وجد بمنطقة " تغازى " بكثرة.

بروز مراكز تجارية هامة في السودان الغربي مثل: مدينة جني، مدينة غاو، مدينة تومبكتو... التي ساهمت مساهمة فعالة في تنشيط الحركة التجارية بين مختلف المناطق.

وقد أدت القوافل التجارية دورا هاما في تنشيط وتدعيم الحركة التجارية خاصة من حيث جلب المواد الغريبة والنادرة، بالإضافة إلى الذهب الذي كان يجلب بكثرة باعتباره المنشط الهام للتجارة الإسلامية في العصر الوسيط والأساسي في تجارة المغرب حيث سيظل ذهب السودان طوال ستة قرون يغذي مصانع ضرب العملة الذهبية في بلاد المغرب ومنطقة البحر المتوسط، ويدعم حركة التبادل التجاري بين بلاد السودان والمغرب وبين المغرب والمشرق الإسلامي ومنطقة البحر المتوسط من جهة ثانية.

ويبدو أن تجارة الرقيق ظاهرة اجتماعية واقتصادية في تاريخ الاقتصاد الإسلامي وأصبح السودان الغربي مصدر جديد وغني، وكان له دور بارز في تاريخ التجارة المغربية خاصة وأنها تشكل المصدر الأول لتجارة العبيد ابتداءا من القرن الثاني والرابع الهجري، كما أن العبيد أصبحوا يشكلون القوة المنتجة الأساسية في جميع ميادين النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب.

ولقد كانت التجارة مصدر القوة المالية وبالتالي مصدر القوة السياسية والعسكرية وكانت القوافل التجارية تتجه من سجلماسة نحو فاس وأغمات وسوس ثم الجنوب في اتجاه أودغست وغانة عملا يدر على القبائل البربرية المقيمة بالقرب من المسالك التجارية أرباحا طائلة، خاصة لمساهمتها في تأمين الدروب التجارية للقوافل المارة بها وحمايتها من الأخطار المحيطة بها واستطاعت أيضا السيطرة على الطرق التجارية والمراكز المحيطة بها.

ويتضح أن المغرب ابتداءا من القرن العاشر الميلادي أصبح يهيمن على سلطة المواصلات التجارية البرية والبحرية، إذ اخترقت المنطقة شبكة من الطرق ربطته بأنحاء متباعدة ومختلفة فهناك الطرق الداخلية بين المدن المغاربية، والتي اتصلت بالمشرق وبلاد السودان وطرق ربطتها بالأندلس وبلاد الروم عبر الموانئ.

ولقد صاحب النشاط التجاري الواسع، وجود تنظيمات خاصة لتسهيل مهمة التجار من جهة واستمرار تدفق البضائع والسلع إلى البلاد بسهولة كبيرة من جهة أخرى

فعرفت أنواع متعددة من صيغ التعامل التجاري كالوكالة، واستخدام الصكوك في المعاملات التجارية وهي أعلى ما وصلت إليه النظم التجارية خلال هذه الفترات.

والواضح أن التجار وقوافلهم تحدوا كل الصعاب التي كانت تعرقل طريقهم وتحركاهم واستوردوا كل ما تفتقر إليه أسواق مدهم، ويصدرون كل ما فاض من حاجة السكان سواء داخل الإقليم الواحد أو الأقاليم الأخرى.

ولقد ساهم التجار مساهمة فعالة في التجارة الصحراوية حيث كانت المبادرة بيد التجار المسلمين الذين كانوا يتاجرون مع مناطق عديدة، خاصة بلاد السودان، ثم بدأ السودانيون يترددون على مدن الجنوب الغربي للمغرب إلا عند نهاية القرن 6ه-12م.

ويبدو أن الجالية المغربية في مدن السودان كانت مهمة من حيث المستوى الاجتماعي وتمثلت في أسر تجارية، أو علمية فقد شملت إلى جانب التجار، الفقهاء، القضاة، المقرئين، المدرسين، الخطباء، الطلبة...إلخ، وقد استطاعت هذه الجالية فرض نفسها في المنطقة ووصلت إلى دواليب الحكم، ونشاطهم كان أيضا رسميا من خلال الوظائف الرسمية التي تقلدوها.

ويمكن القول إن العلاقات التجارية كانت تنفث الروح في باقي العلاقات الاخرى من كل نوع، فالعنصر الأساسي الذي أثر في التطور الاجتماعي والحضاري بالسودان يتمثل في العامل التجاري، حتى أن المؤرخين ترجع الدور للقوافل والمسالك التي قدمت فرصا للإطلاع على العادات والمعطيات الحضارية في حوض البحر المتوسط وتأثيرها على بلاد السودان.

كما أن النشاط الثقافي والعلمي بين مدن المغرب والمشرق قد تطور وتسارعت خطواته وتأثر كل واحد بالآخر، وذلك من خلال كثرة الرحلات العلمية للعلماء والطلبة وتشجيع السلاطين للعلم وطلبته.

والمؤكد أن الجمع بين التجارة والعلم هو إحدى خصائص الحضارة الإسلامية في جميع العصور، حيث نجد تعايش مبادئ الإسلام مع باقي الديانات، ووجود علاقات وصداقات بين السكان المحليين والتجار المغاربة، أدى إلى تأثير المسلمين بصفة خاصة على سكان بلاد السودان.

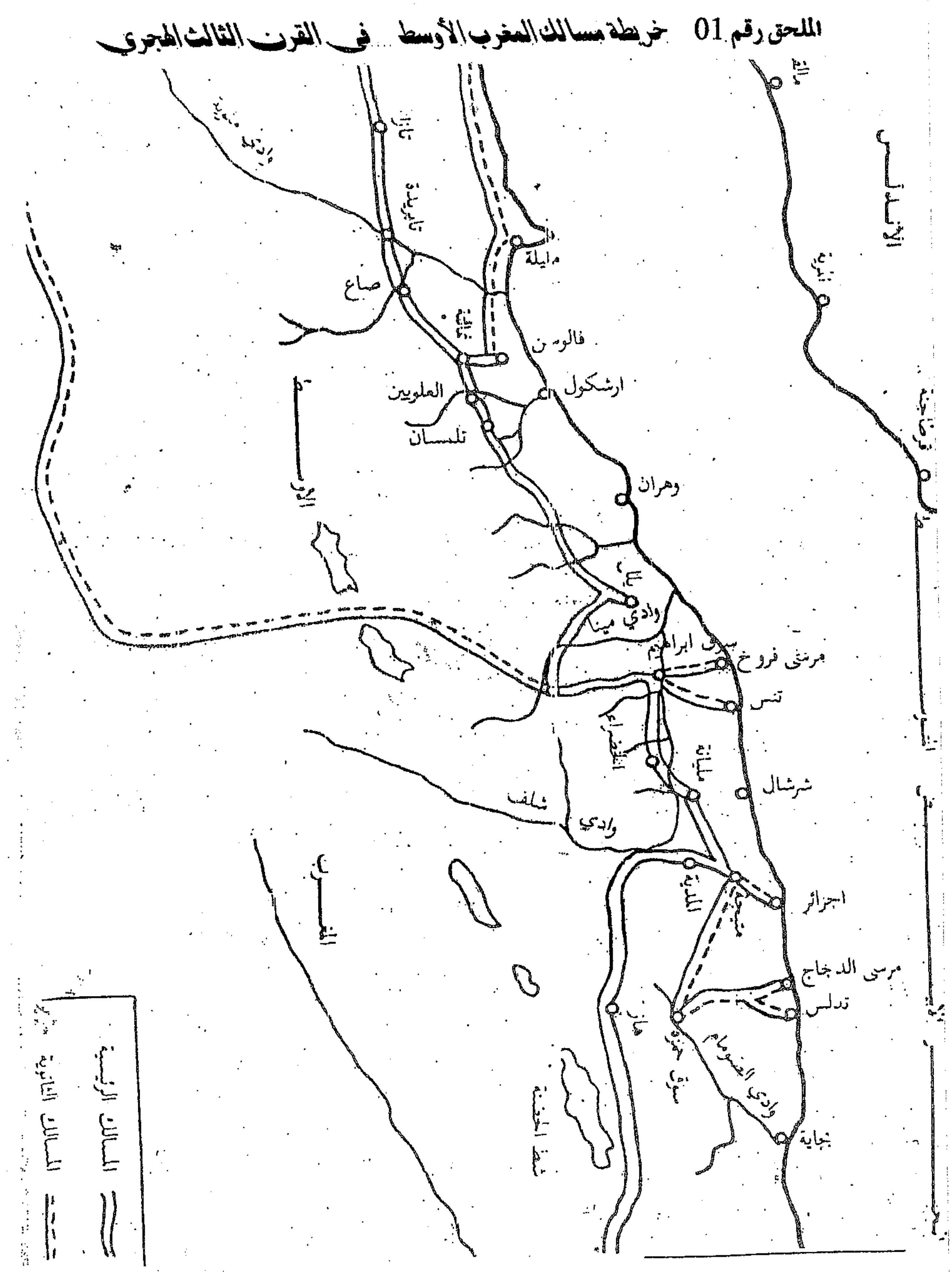
ومن خلال دراستنا، يبرز أن للمسالك والدروب التجارية في المغرب تأثير واضح على الواقع الحضاري لشعوب الصحراء ونشاط كبير للثقافة والفكر بين المسلمين في مختلف المناطق وأن العمل التجاري لم يكن هدفه ربح المال فقط، بل المساهمة في الحركة الفكرية والثقافية، ونشر الإسلام في كامل أنحاء الأرض.

إن اهتمام سكان المغرب، بتأمين أسواق السودان والأسواق الأخرى، تنظيم المواصلات على أساس تجاري أولا تطور عبر الفترات اللاحقة حاملا معه مجموعة من التنظيمات الاجتماعية والدينية والحضارية التي ساهمت في تطور الدول والممالك.

الملاحق

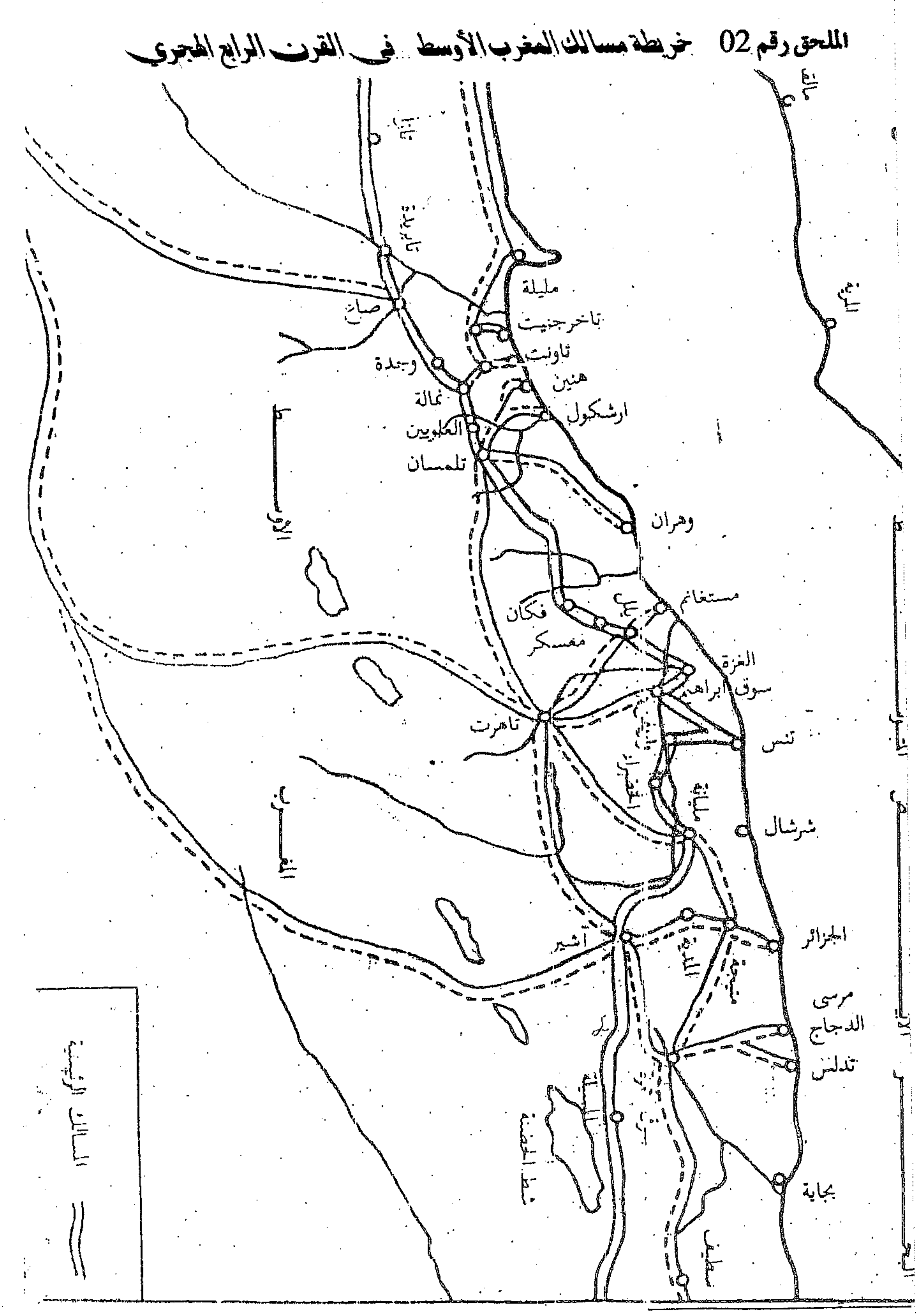


الملحق رقم 01 خريطة مسالك المغرب الأوسط ... في القرن الثالث الهجري



عبد الحميد حاجيات : المسالك والدروب في المغرب الوسط، ص 103.

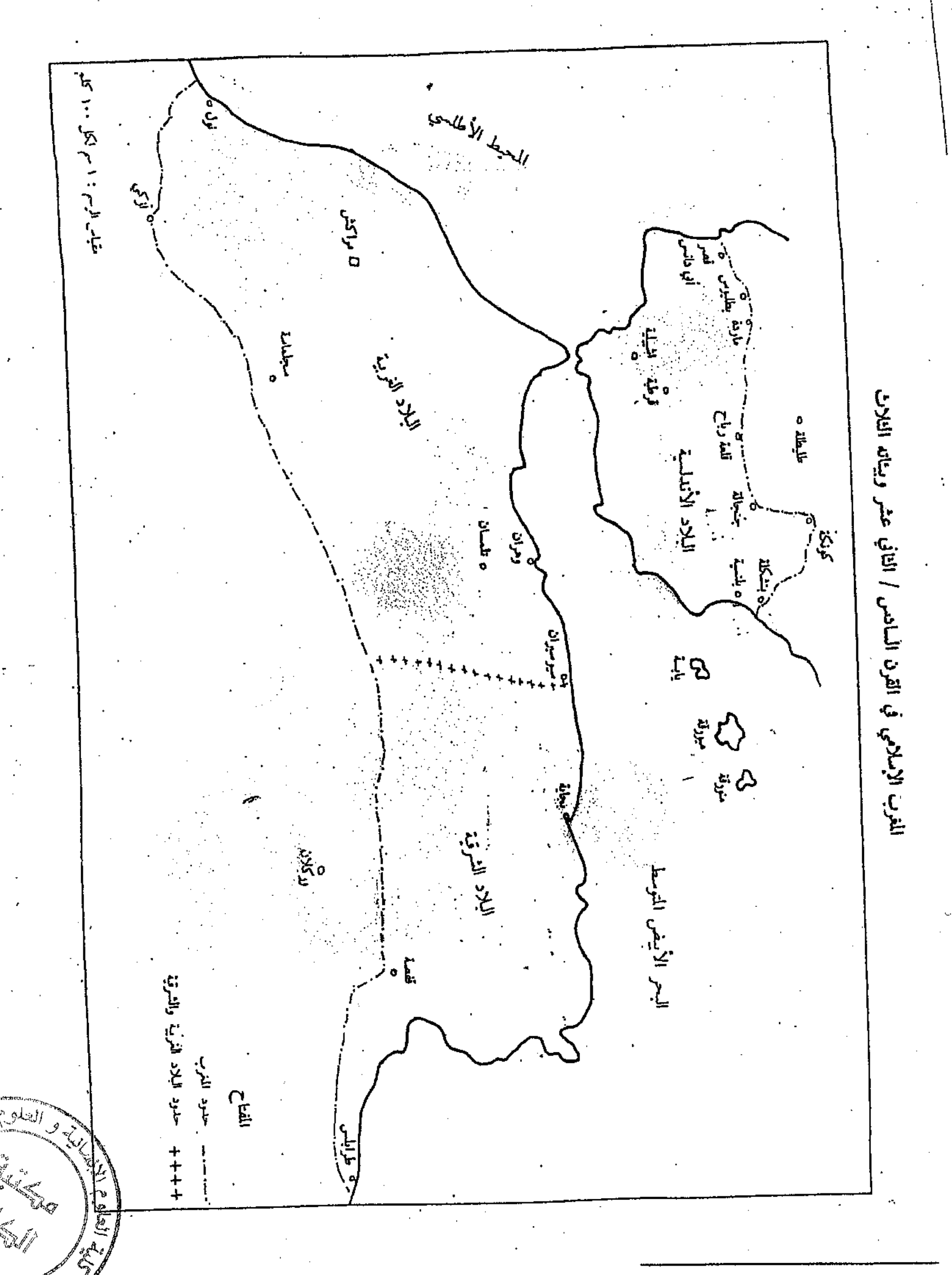
الملحق رقم 02 خريطة مسالك المغرب الأوسط في القرن الرابع الهجري



عبد الحميد حاجيات : المسالك والدروب في المغرب الوسط، ص 104.

الملحق رقم 03

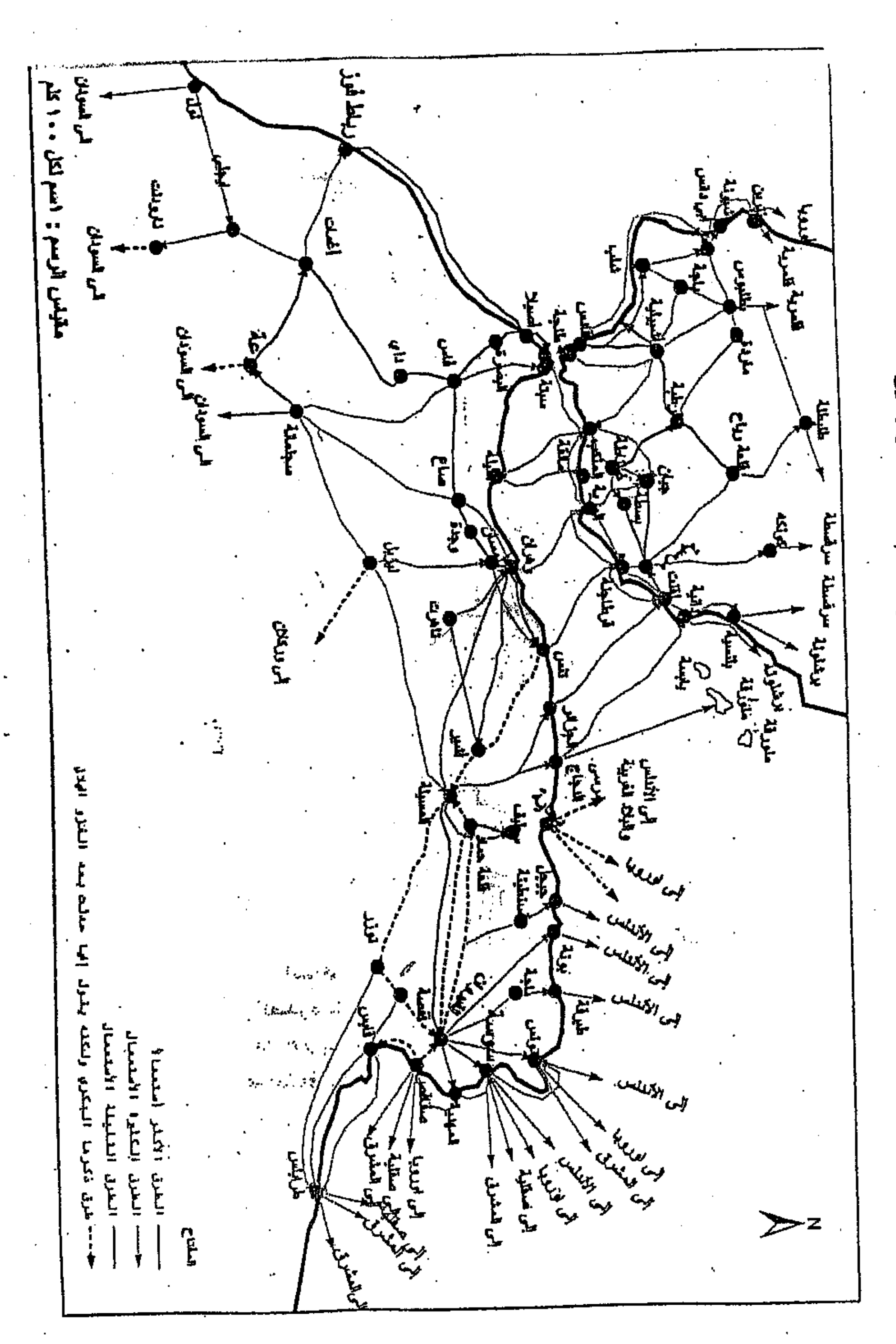
المغرب الإسلامي في القرن 6هـ/12م وبيئاته الثلاث



عمر عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص 40.

الملحق رقم 04

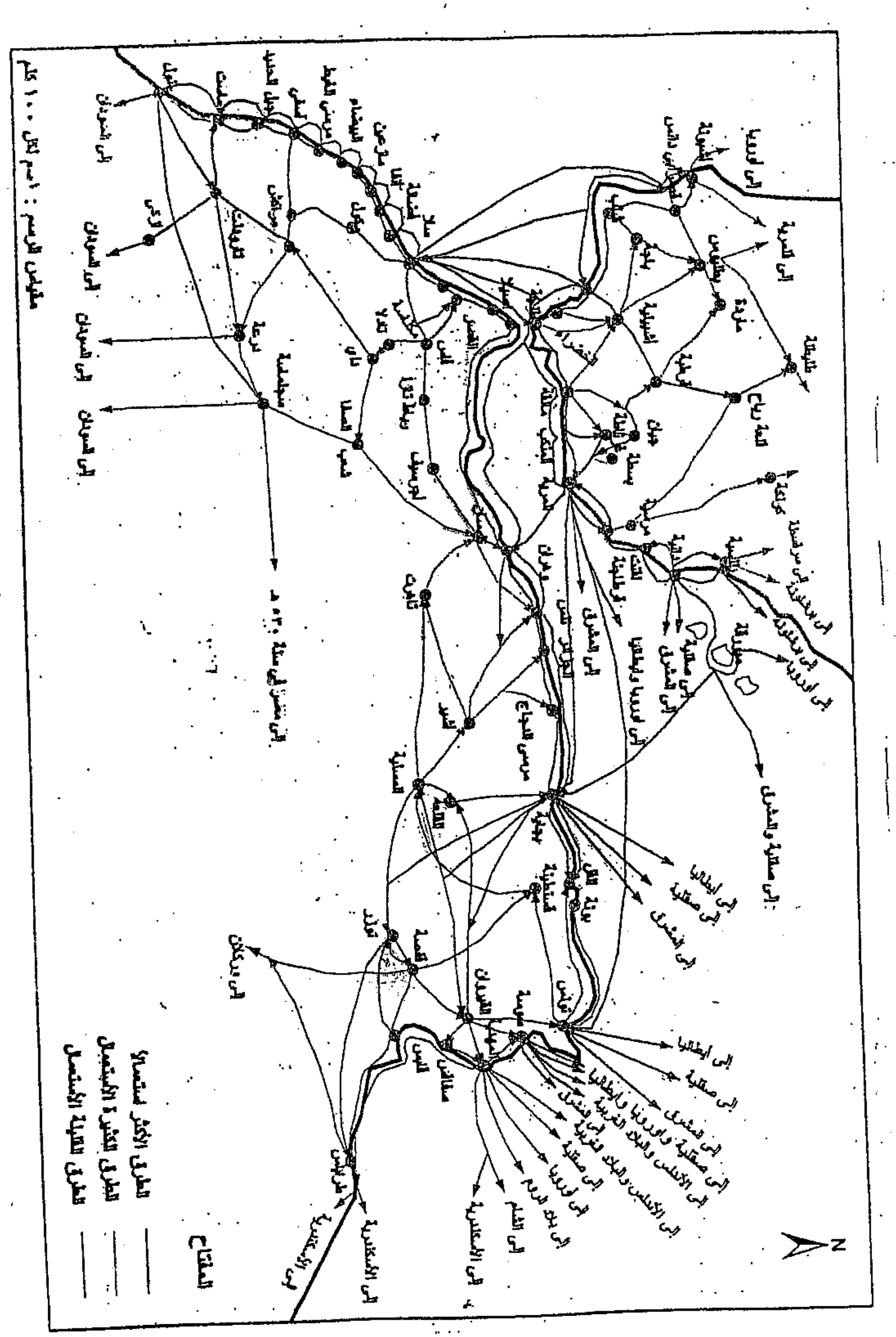
الطرق التجارية قبل الغزو الهلالي وقيام دولة المرابطين



عمر عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص 307.

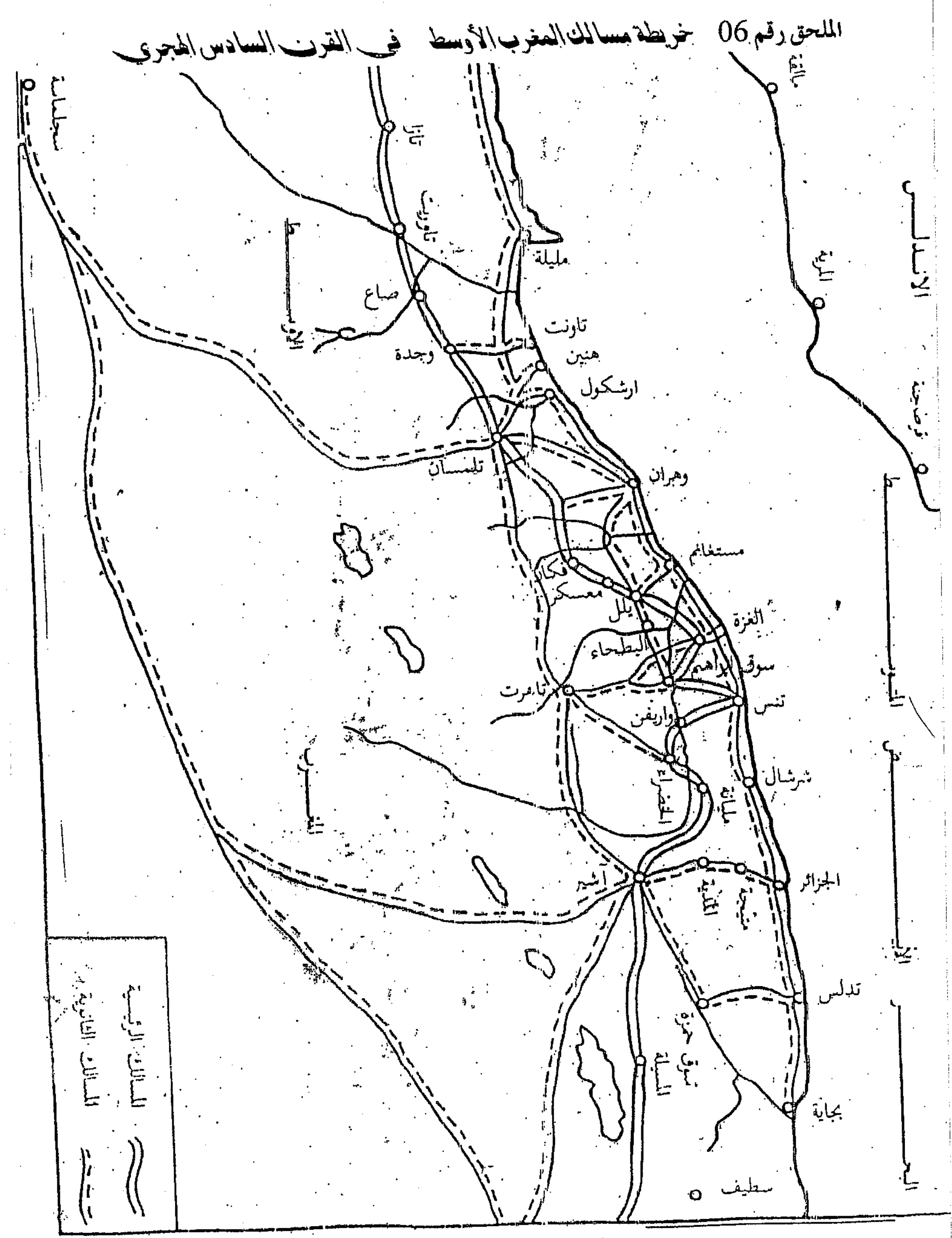
الملحق رقم 05

الطرق التجارية في النصف الأول من القرن السادس



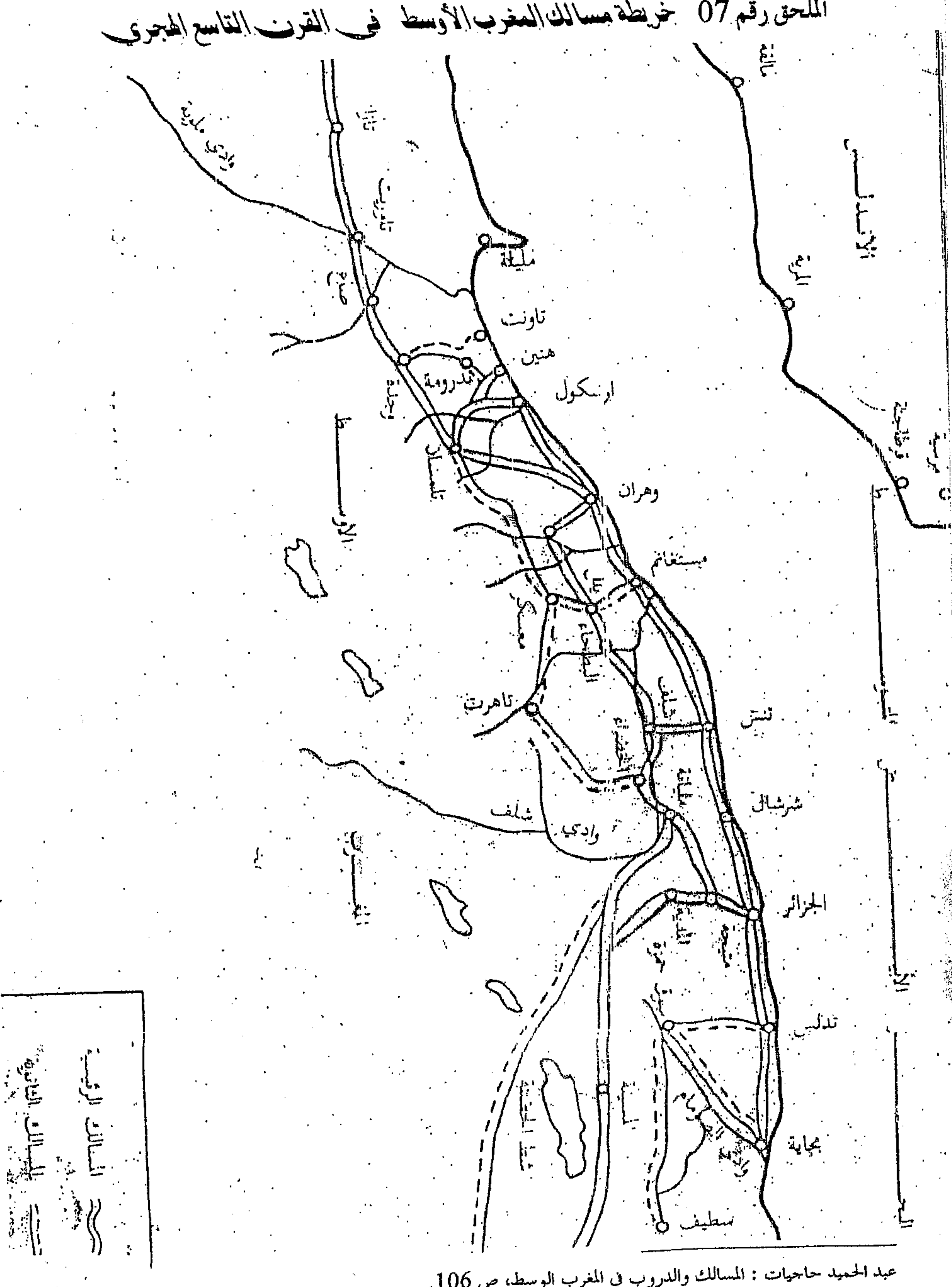
عمر عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص 309.

الملحق رقم 06 خريطة مسالك المغرب الأوسط في القرن السادس الهجري



عبد الحميد حاجيات : المسالك والدروب في المغرب الوسط، ص 105.

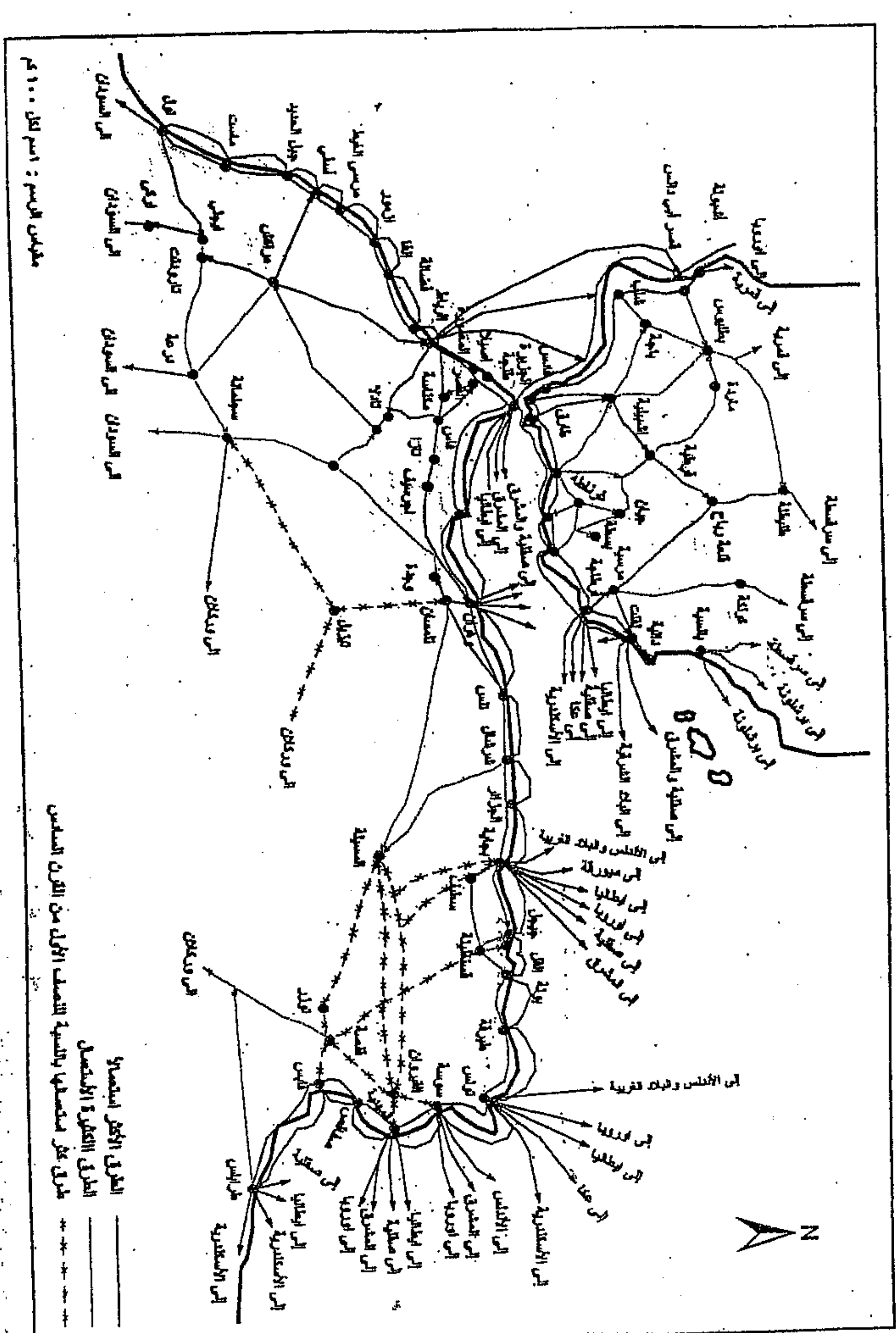
الملحق رقم 07 خريطة مسالك المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري



عبد الحميد حاجيات : المسالك والدروب في المغرب الوسط، ص 106.

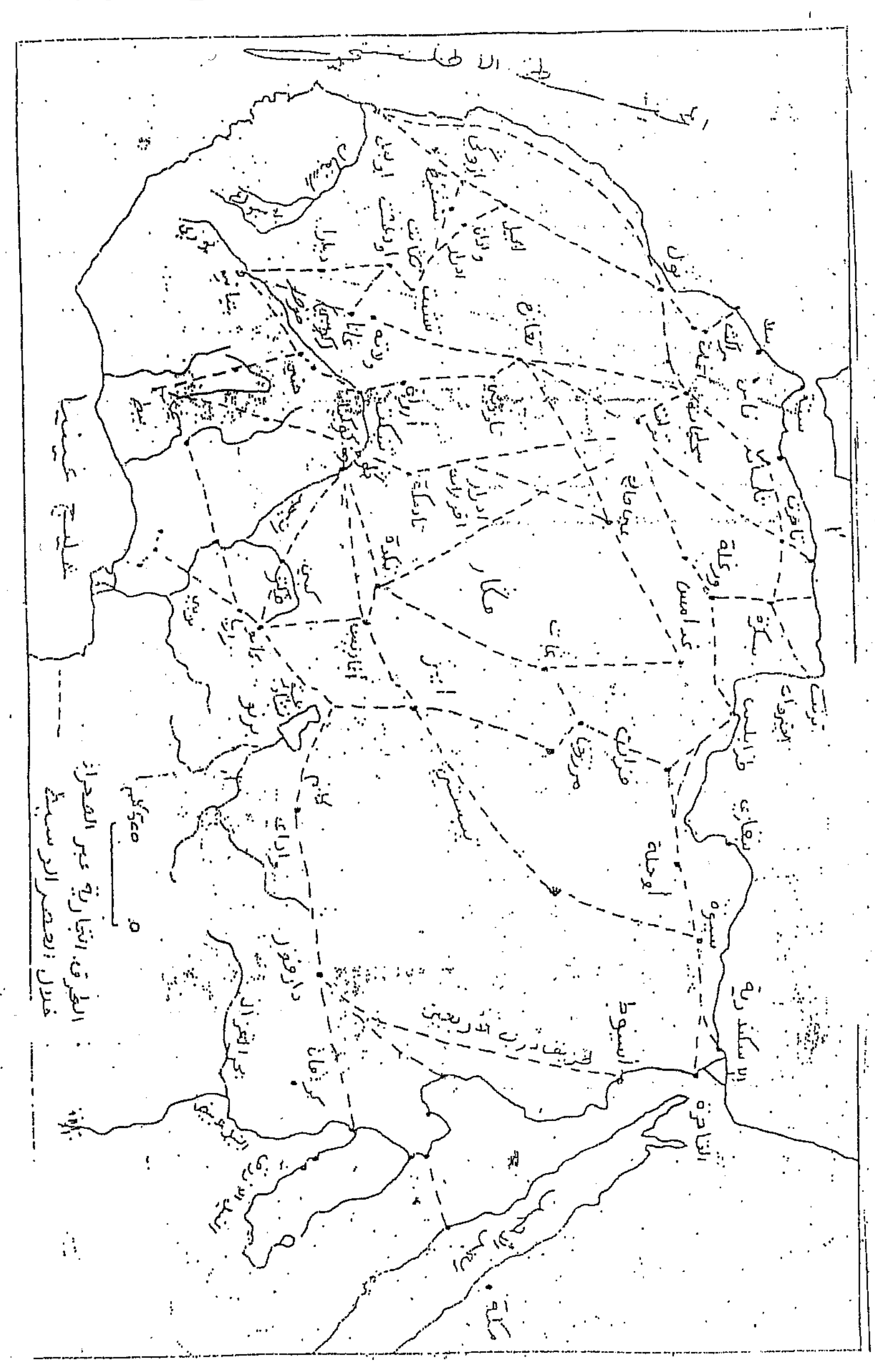
الملحق رقم 08

الطرق التجارية في العصر الموحدي



عمر عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص 310.

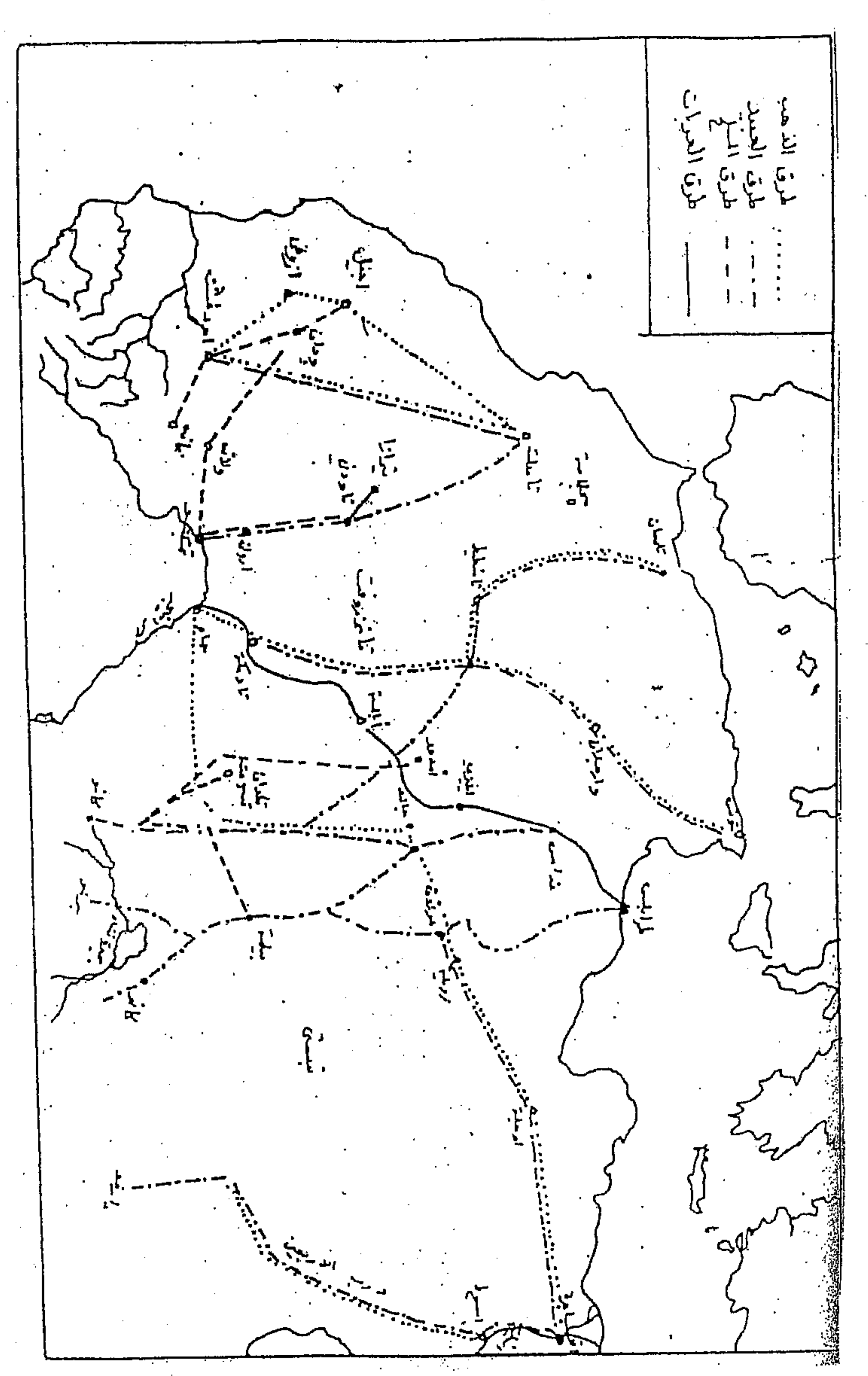
الملحق رقم 09 الطرق التجارية عبر الصحراء خلال العصر الوسيط



ميخوت بودواية: العلاقات....، المرجع السابق، ص 377.

الملحق رقم 10

الطرق التجارية نحو الصحراء



مبخوت بودواية: العلاقات....، المرجع السابق، ص 375.

الملحق رقم 11

الطرق التجارية في بداية القرن السادس عشر

مبخوت بودواية: العلاقات....، المرجع السابق، ص 376.

الملحق رقم 12

البيوت التجارية المغربية بالقاهرة خلال القرن السادس عشر

تمهيـــــد :

شهد القرن السادس عشر، تدفقا مغربيا كبيرا على مصر، نتيجة لاستقرار السوق المصرية، وعودة الحركة التجارية الدولية لهذه السوق، بعد دخول العثمانيين مصر، وإسقاط الدولة المملوكية، وحلول الحكم العثماني، محل هذه الدولة، مما جذب العدد الكبير من التجار المغاربة الذين مارسوا نشاطا تجاريا كبيرا استيرادا وتصديرا، حتى أصبحوا يشكلون بيوتا تجارية كبرى، أصبحت بمثابة منظمات تجارية ضخمة، وسنرصد حركة بعض هذه البيوت، ودورها في تاريخ مصر الاقتصادي وفي تاريخ بلدان المغرب العربي، على النحو التالـــــي :

I- بيت الخواجا عبد الكريم بن عبد العزيز بن يحيى المغربي الفهمي التجاري

يبدو أن أصل أسرة عبد الكريم يعود إلى "جزيرة جربة" التونسية، فالوثائق تصفه "المغربي الشهير بالجربي" وعبد الكريم يمثل الجيل الثاني من أسرة الفهمي التي عملت بالتجارة، وثابت من الوثائق أن أسرة الفهمي كانت تعمل بالتجارة في الحرير والقطنيات البغدادي وعود البخور وغير ذلك من السلع التي كانت رائجة في القاهرة والموانئ المصرية للتصدير وأصبح عبد الكريم يقوم بكل احتياجات الأسرة، ويشرف على تجارتها، ويتعامل مع وكلاء الأسرة في الموانئ المصرية السويس والإسكندرية ويقوم بعمليات الإستيراد والتصدير، وقد ازداد نفوذ أسرة الفهمي في السوق المصرية، وأصبحت هذه الأسرة تمثل منظمة تجارية كبرى في السوق المصرية في القرن السادس عشر.

يبدو أن وجود أسرة الفهمي في مصر سابق على العصر العثماني، فالأب يحمل لقب "خواجا" وهو لقب يحمله كبار التجار، ثم يحمل ابنه عبد الكريم لقب "الخواجكي" وهو لقب يحمله أعيان التجار وأثرياؤهم، ونحن نجد الخواجكي الزيني عبد الكريم بن المرحوم الخواجا عبد العزيز بن يحيى المغربي الفهمي، بعد وفاة أخيه لأبيه هو : المرحوم الشمسي محمد بن عبد العزيز الذي أقام

أخاه عبد الكريم وصيا على ابنه محمد القاصر، وبدأ عبد الكريم يقوم بمطالبة من عليهم ديون لأخيه، بحصة القاصر في هذه الديون، فادعى على عبد الفتاح بن إبراهيم بن محمد العتال، بخط باب الزهومة بالديار المصرية بمبلغ دينار واحد ونصف دينار، وربع دينار، ذهبيا جديدا، فاعترف عبد الفتاح بالمبلغ، ولكنه طلب البينة على أنه عين وصيا على القاصر، فأتي الخواجكي عبد الكريم بالبينة التي شهدت له، فأمر القاضي المدعى عليه عبد الفتاح، بدفع المبلغ المدعى به عليه، فقام بدفع المبلغ المدعى به، وقد كانت أسرة الفهمي، تعمل بتجارة عود البخور والسلع الهندية، وتعمل على احتكار هذه السلع، بدليل أن الخواجا الأصيل- كما تنعته الوثائق – عبد الكريم بن المرحوم الخواجا عبد العزيز بن الشرفي يحيى المغربي الفهمي، اشترى بماله لنفسه من الخواجا جلال الدين بن جمال بن عز الدين، الشهير بابن الفلاحة الدمشقي الذهبي، ثمانية وعشرين رطلا، بالوزن المصري، من عود البخور، ابن الفلاحة قد اشتراها من مخلفات الشمسي، محمد أخي الخواجا عبد الكريم، فاشتراها عبد الكريم واستعادها، بثمن مبلغه عن ذلك من الذهب السلطاني الجديد، التام الوزن والعيار، معاملة تاريخه بالديار المصرية، سبعون دينارا على حكم الحلول، واعترف المشتري المذكور، بتسلم ما اشتراه، تسلما شرعيا، وهكذا عمل عبد الكريم على ألا ينافسه أحد في تجارة أسرته، فاسترجع ما اشتراه ابن الفلاحة من مخلفات أخيه، كذلك قام الزيني الخواجكي عبد الكريم بن الخواجا عبد العزيز ابن الشرفي يحيى المغربي الجربي، بطريق وصايته على ولد أخيه لأبيه، المرحوم الشمسي محمد هو القاصر محمد، بتسلم ما كان تحت يد الخواجا جلال الدين بن جمال الدين بن عز الدين الشهير بابن الفلاحة الدمشقي الذهبي، على سبيل الرهن، على مائة دينار وثلاثين دينارا ذهبا جديدا، وهو جميع صندوق خشب، ضمن عود بخور، الوزن عن ذلك، ظرفا ومظروفا بالوزن المصري، خمسة وخمسون رطلا، تسلما شرعيا، وقام جلال الدين بشراء جميع ما وجد ضمن المذكور، من العود، فباعه له الخواجكي عبد الكريم الفهمي نيابة عن ولد أخيه، وزوجته بالوكالة بثمن قدره سبعون دينارا، واعترف المشتري بتسلم العود المذكور التسلم الشرعي، وصدق على تلك الخواجكي عبد الكريم الفهمي، البائع المذكور التصديق الشرعي، وهكذا كان الخواجكي عبد الكريم، يسير أمور الأسرة التجارية، ويستخلص لهم حقوقهم، ويخلص ما عليهم من ديون، وقد لعبت الأسرة دورا تجاريا واقتصاديا كبيرا في تاريخ مصر في القرن السادس عشر، والفترات اللاحقة له.

2- بيت الحصري المغربي التجاري:

من البيوت المغربية التجارية التي أصبح لها نفوذ كبير في مصر في القرن السادس عشر، ويبدو أن هذه الأسرة استقرت في مصر في ثلاثينات القرن السادس عشر، وكانت هذه الأسرة تعمل بالتجارة في السلع الهندية "البهارات" على نطاق واسع استيرادا وتصديرا، فعندما توفى الخواجا سعيد بن سعيد المغربي الجربي الشهير بالحصري، ترك تركة كبيرة كان من بينها ديون كانت له على التجار الآخرين، فقد كان يستحق في ذمة الخواجا سعيد بن قاسم بن أمغار المغربي الجربي، ما جملته من الذهب الجديد، سبعة آلاف دينار، وثلاثمائة دينار، وثلاثون دينارا، مثبت ذلك بمستند شرعي من محكمة السادة المالكية بالصالحية النجمية، وأنه وصل للمتوفي، قبل موته نقدا، وثمن بضايع، تسعمائة دينار وتسعون دينارا ذهبا جديدا، وتأخر بعد ذلك للورثة من المبلغ المذكور، ستة آلاف دينار، وثلاثمائة دينار، وثلاثون دينارا ذهبا جديدا، وقد قام وكيل الخواجا سعيد بن أيوب، وهو المرصفوي رضي الدين بن علاء الدين بن تاج الدين، ببيع سلع للحرمة هيفاء زوجة سعيد بن سعيد الحصري المتوفي، والوصية على أولاده القصر، باع لها كحلا ولبانا شمري وفلفلا أسمر وياقوتا وريحانا، وخيزرانا بكامل المبلغ المتبقي على موكله، وخلصت ذمته، وقد بلغت ثروة الخواجا سعيد بن سعيد، الشهير بالحصري حدا كبيرا، فقد ورثت ابنته صالحي، قدرا من الخشب،ماية قطعة وأربعة عشر قطعة بلغ وزنها سبعة وثلاثون قنطارا، ونصف قنطار، بيعت بمائة دينار، وخمسون دينارا ذهبا جديدا، وهذا كله جزء من حصة المصونة صالحي من مخلفات أبيها، مما تسلمته والدتها من الخواجا سعيد بن أيوب، مما كان في ذمته للمرحوم سعيد الحصري كما أشهد عليه الزيني عبد اللطيف بن المرحوم الخواجا سعيد بن سعيد المغربي، الشهير بالحصري، أنه قبض وتسلم من زوجة أبيه المذكور، الحرمة هيفاء، ما جملته من الذهب الجديد سبعة وسبعون دينارا على ما بين فيه، ما هو قبل تاريخه، ثلاثة وعشرون دينارا، وما قبضه في يوم تاريخه، بحضرة شهوده، بمناولة وكيلها النوري علي بن فراكور، من مستحفظان القلعة، بثغر اسكندرية بالبرج المنسوب للمرحوم السلطان قايتباي، ثلاثة وخمسون دينارا ذهبا جديدا، مما وضعت يدها عليه من مخلفات ابنه، وصار الزيني عبد اللطيف القابض المذكور، لا يستحق على زوجة ابنه هيفاء المذكورة، ولا في عهدتها، ولا في أمانتها حقا مطلقا، واتسع نطاق نشاط أسرة الحصري التجاري في المواد الهندية استيرادا وتصديرا، ولعبة دورا اقتصاديا كبيرا في تاريخ مصر في القرن السادس عشر، وما تلاه في القرنين السابع والثامن عشر .

3- بيت النصفي المغربي التجاري:

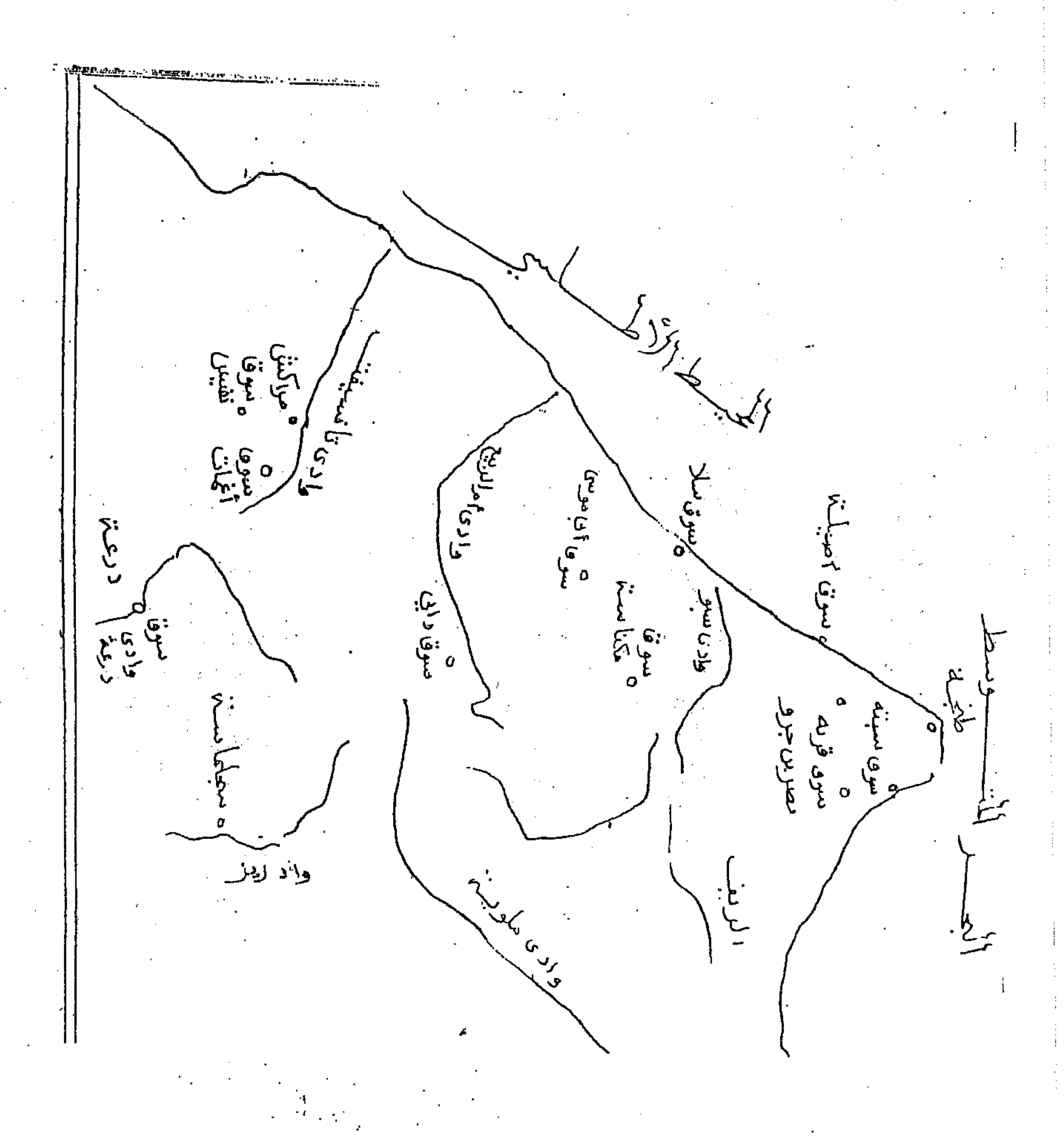
تبرز هذه الأسرة في مجال التجارة ورأس المال، بداية من الحاج محمد بن المرحوم الجمالي جمال الدين عبد الله بن المرحوم الحاج محمد المغربي المهدوي الشهير بالنصفي، الذي كان له وكيل لينوب عنه في عقد العقود، وإنجاز الصفقات بدلا منه، وكان هذا الوكيل هو الشمسي محمد بن الشهابي أحمد، المغربي التونسي، والذي قام بإتمام صفقة شراء جميع المكان الكائن خارج باب الشعرية، بخط الكراشين، وبين الحيضان المعروف بإنشاء الزيني عبد المنعم بن المرحوم وفا العامل بديوان بيت المال المعمور بالديار المصرية، ووقع عقد الشراء مع مندوب والي مصر مسيح باشا، وهو علي بن عبد الله من المتفرقة، المعروف بأقبكجي باشي، بمبلغ قدره من الذهب السلطاني الجديد، ثلاثمائة دينار، وخمسة وخمسون دينارا، يعدل ذلك من الفضة السلمانية بالديار المصرية أربعة عشر ألف نصف ومائة نصف، وقد قبض البائع هذا المبلغ وحمله للخزانة العامرة، ومن وصف المكان في مستند البيع الذي يدل على اتساع المكان الملحق به حقيقة فواكه، وما به من رخام وغيره، يدل بلا شك على ثراء من يمتلك هذا المكان، وقد قام الحاج محمد النصفي بوقف هذا المكان على بنيته : فاطمة، وستيته المدعوة ست الكل، وعلى عتيقته الحرمة جرير، المرأة ابنة عبد الله الحبشية زوج الحاج علي بن عبد الله بن داود، عرف بالجراحي الجزيرى، بالسوية بينهن، لكل واحدة الثلث، وإذا ماتت عتيقته جرير المذكورة، وجعت حصتها لبنتي الواقف المذكورين، ثم لذريتهما من بعدهما، ثم أقر الحاج عمر بن علي بن عمر المغربي المهدوي، الشهير بكرنية، التاجر بوكالة الكتان ببولاق القاهرة، وهو آخر الأوصياء المختارين، من قبل المرحوم محمد بن عبد الله بن جمال الدين، المغربي المهدوي الشهير بالنصفي، على ابنته سيدة الكل القاصرة التي رزقها من زوجته وعتيقته الحرمة مرجانة المرأة ابنة عبد الله الحبشية، الإقرار الشرعي، أن في ذمته لسيدة الكل، القاصرة اليتيمة المذكورة مبلغا قدره من الذهب السلطاني الجديد السليماني، أربعمائة دينار وثمانية وخمسون دينارا، ونصف ذلك، حفظا لأصله وتحقيقا لجملته مائتا دينار وتسعة وعشرون دينارا على حكم الحلول الشرعي، مقرا بالملاءة، والقدرة على ذلك، وذلك هو القدر الذي خصها بحق الثلث في مخلفات والدها، مما شمله الضبط، وأبيع من زيت طيب، وكتان، وزلع فخار، ونقد، وإطمار، ودقيق، وغير ذلك على حكم ما هو مفصل بالدفتر، وتعهد بالإنفاق على سيدة الكل، ما دام المبلغ المذكور في ذمته متبرعا بذلك، من غير رجوع بشيء منه عليها، كذلك قام مولانا وسيدنا الشريف، القسام، بتنصيب الحاج سليمان بن أحمد بن سليمان المغربي المهدوي، وصيا ومتحدثا على أخت زوجته لأبيها، الحرمة فاطمة ابنة الحاج محمد بن عبد الله بن محمد المغربي النصفي، هي : ست الكل، القاصرة الذي رزقها من مستولدته : مرجانة، المرأة ابنة عبد الله الحبشية، والمشمولة بوصيين غائبين، وتعطلت مصالح القاصرة المذكورة، واحتاج الأمر بسبب ذلك إلى نصب الوصي المذكور، لينظر في مصالحها بالحظ والمصلحة، ويتصرف لها وعليها، ويضبط حصتها في مخلفات أبيها المذكور، ونمت أسرة النصفي وأصبحت أسرة تجارية كبيرة لعبت دورا إقتصاديا كبيرا في تاريخ مصر في القرن السادس عشر وما بعده

أ د عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم
قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة الكويت

عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: المقال السابق، ص ص 89-93.

الملحق رقم 13

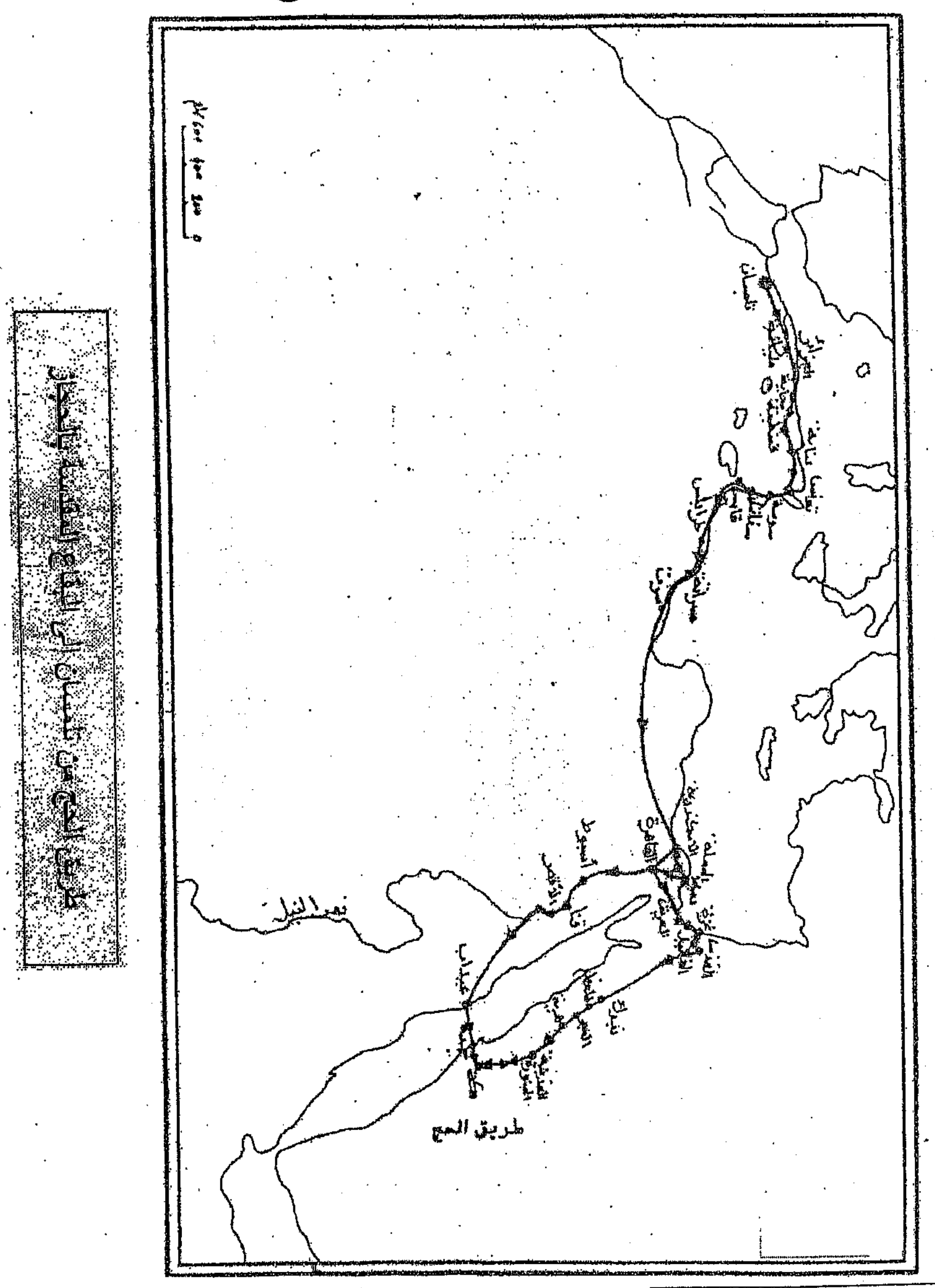
خريطة تبين انتشار الأسواق في المغرب الأقصى



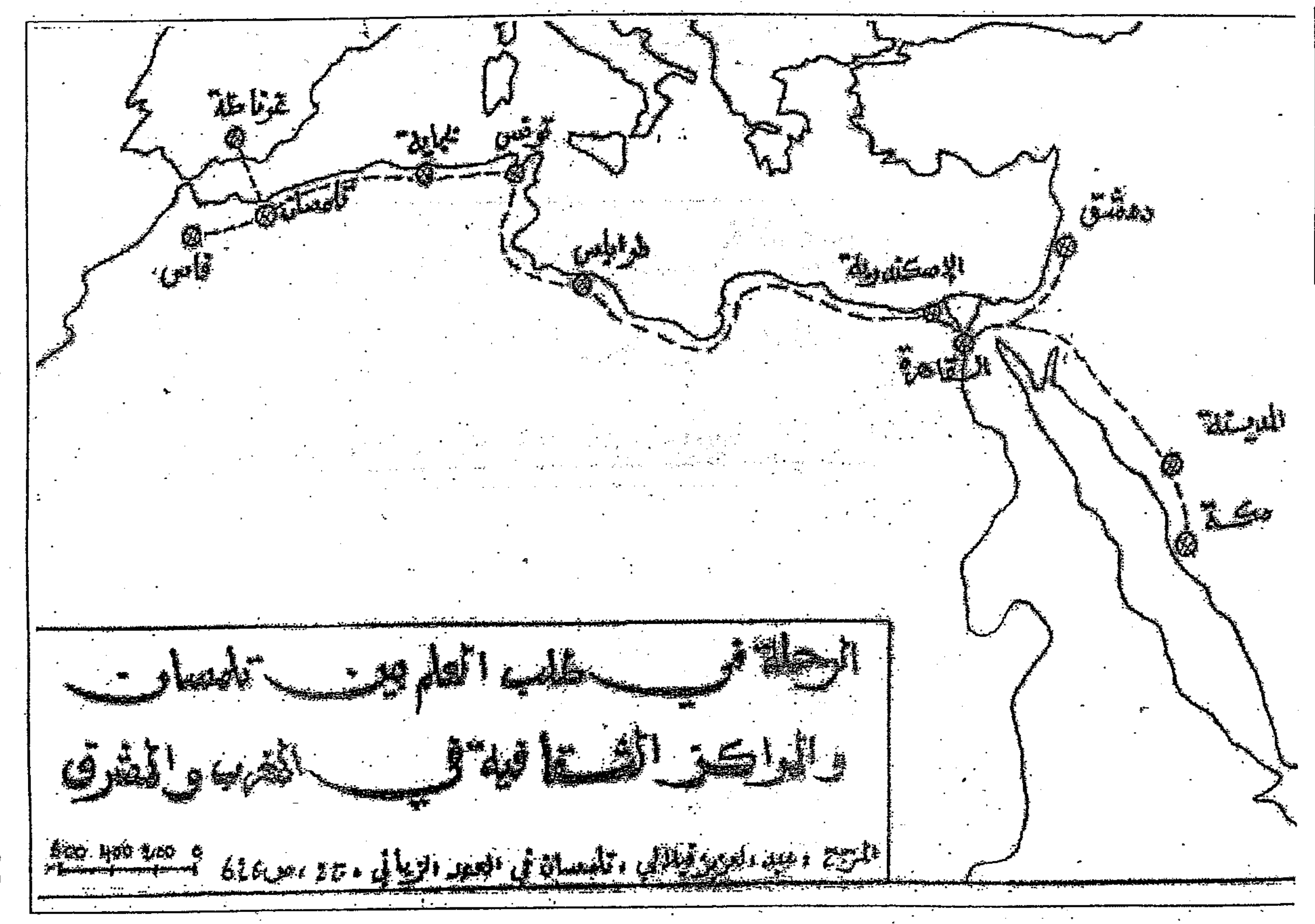
عيسى بن الذيب: التجارة في عصر الدولة المرابطية، ص 324.

الملحق رقم 14

طريق الحج من تلمسان إلى البقاع المقدسة بالحجاز



عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج2، ص 630.



عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج2، ص 626.



البيبليوغرافيا

1- المصادر:

🕮 ابن أبي دينار (أبو عبد الله بن أبي القاسم الرعيني القيرواني): **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، تحقيق: محمد شمام ، ط2،تونس، 1967.

🕮 (ـــــــــــــ) :**المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، تحقيق: محمد شمام، ط3،المكتبة العتيقة، (د.م)، (د.ت).

🕮 ابن أبي زرع (علي الفاسي): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تحقيق: محمد الهاشمي الفيلالي،دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط، 1936.

🕮 (ـــــــــــــ): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972 .

🕮 ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن الجزري): **الكامل في التاريخ**، ج11، ط2، ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967.

🕮 ابن الخطيب (لسان الدين): **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج1، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973.

🕮 (ـــــــــــــ):**تاريخ إسبانيا الإسلامية**، تحقيق: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006.

🕮 (ـــــــــــــ): **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام وما يجر ذلك من شجون الكلام**، تحقيق: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2000.

🕮 ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق: محمد الناصر وإبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، 1986.

📖 ابن القاضي (أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المكناسي): **جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس**، فاس،(د.ط)، (د.ت).

📖 ابن بطوطة(محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي): **رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار صادر ودار بيروت، 1960.

📖 ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد البلنسي): **رحلة ابن جبير**، دار بيروت للنشر، بيروت، 1959.

📖 ابن حوقل(أبو القاسم محمد النصيبي): **كتاب صورة الأرض**،ج1،ج2، ط2، ليدن دار صادر، بيروت، 1938.

📖 ابن خلدون (أبي زكريا يحيى): **بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد** ، تقديم وتعليق: عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980.

📖 ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن) :**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج6، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1968.

📖 (ـــــــــ): **المقدمة**، تحقيق: علي عبد الواحد، ج1، ط1، دار صادر، بيروت، 1981.

📖 (ـــــــــ):**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج7، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971.

📖 ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس،ج7، دار الثقافة، بيروت،1970.

📖 ابن سعيد (علي بن موسى بن محمد الغرناطي الأندلسي): **المغرب في حلي المغرب**، تحقيق خليل منصور، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

📖 ابن سعيد (أبي الحسن المغربي): **كتاب الجغرافيا**،تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970.

📖 ابن سعيد (علي بن موسى بن محمد الغرناطي الأندلسي): **المغرب في حلي المغرب**، تحقيق: خليل منصور، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

📖 ابن صاحب الصلاة (أبي مروان):**المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين**، السفر الثاني، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الأندلس، 1964.

📖 (ـــــــــــ): **المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين**، تحقيق: عبد الهادي التازي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

📖 ابن عبد الحكم: **فتوح إفريقية والأندلس**، تحقيق: عبد الله أنيس الصباغ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964.

📖 ابن عذارى المراكشي (أبو الحسن): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق: إحسان عباس،ج1،ج2، ج4، دار الثقافة، بيروت،1980.

📖 ابن مريم (أبو عبد الله بن أحمد المليتي التلمساني): **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق: محمد بن أبي شنب، نشر : عبد الرحمان طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

📖 أبو بكر الزهري:**كتاب الجغرافيا**، اعتنى به: محمد حاج الصادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

📖 الإدريسي (أبو عبد اله الشريف): **صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس** مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المطبعة الشرفية، ليدن أمستردام، 1969.

📖 (ـــــــــــ): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مج1، ط1، عالم الكتب، بيروت 1989.

📖 البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز): **المغرب في ذكر إفريقية وبلاد المغرب**،تحقيق: البارون دي سلان، الجزائر، 1857.

📖 (ـــــــــــ): **المغرب في ذكر إفريقية وبلاد المغرب**، مطبعة المثنى، بغداد، (د.ت).

📖 البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي): **أخبار المهدي بن تومرت**، تقديم وتعليق: عبد الحميد حاحيات، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

📖 التنبكتي (أبو العباس أحمد بن أحمد بابا): **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، طبع على هامش الديباج لا بن فرحون، مصر، 1351هـ.

📖 التنسي (محمد بن عبد الجليل): **تاريخ بني زيان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

📖 الحموي ياقوت (شهاب الدين): **معجم البلدان**،ج2، دار صادر، بيروت،1986.

📖 الحميري (محمد بن عبد المنعم): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.

📖 السعدي(عبد الرحمن): **تاريخ السودان**، تحقيق: هوداس، باريس، مطبعة بردين، 1964.

📖 السلاوي الناصري، **الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق: الناصري جعفر والناصري محمد، ج1، دار الكتاب، الدار البضاء، 1954.

📖 العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (قبائل الحرب في القرنين 7و8ه)**،تحقيق: دوريتا كدا فرنسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، 1985.

📖 القلصادي(أبو الحسن علي بن محمد بن محمد القرشي البسطي):**رحلة القلصادي تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب**، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.

📖 القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**،ج5، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، (د .ت).

📖 الكعتي (محمود): **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، طبعة السيد هوداس، مطبعة بردين،باريس،1913،

📖 المراكشي (محيي الدين): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ضبطه: محمد سعيد العريان، محمد العلمي، مطبعة الاستقامة، (د.م)، 1949.

📖 المقديسي(أبو عبد الله محمد بن أحمد): **أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم**، دار الكتب العالمية، لبنان، 2002.

📖 المقري (أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج2، ط1 ، دار الفكر ، بيروت، 1988.

📖 (ـــــــــــ): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، ج3، دار صادر ، بيروت، 1968.

📖 الورداني(علي بن سليم): **الرحلة الأندلسية**،تحقيق: عبد الجبار الشريف، 1984.

📖 الوزان (الحسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي): **وصف إفريقيا**، ترجمة: حجي محمد، الأخضر محمد، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

📖 اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب الواضح)، **كتاب البلدان**، طبع بمطبعة بريل، ليدن، 1891.

📖 مؤلف مجهول: **الإستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، العراق، 1968.

🕮 مؤلف مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق: سهيل زكار ، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1979.

🕮 مؤلف مجهول: **رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، تحقيق: ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941.

2- المراجع باللغة العربية:

🕮 إبراهيم فخار: **تجارة القوافل في العصر الوسيط ودور التجار الليبيين في حضارة الصحراء الكبرى**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد، 1984.

🕮 ابن الخوجة محمد الحبيب: **اليهود في المغرب العربي**، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، 1973.

🕮 ابن قربة صالح: **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

🕮 أبو زهر محمد: **مالك، حياته وعصره، آراءه وفقهه**، ط2، دار الفكر العربي، (د.ت).

🕮 أبو ضيف مصطفى: **أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصري الموحدين وبني مرين (524- 876ه/1130-1472م)**، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، (د.ت).

🕮 (ـــــــــــــ): **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا**، ط1، 1365ه.

🕮 أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، ط2، دار المعارف، الجزائر، 1963.

🕮 أحمد توفيق عياد: **التصوف الإسلامي تاريخه ومدارسه وطبيعته وأثره** ، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 1970.

🕮 إسماعيل العربي: **دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

🕮 البارودي رضوان: **أضواء على المسيحية والمسيحيين في المغرب في العصر الإسلامي**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1990.

🕮 الجنحاني الحبيب: **دراسات في التاريخ الاقتصادي للمغرب الإسلامي**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

🕮 الجيلالي عبد الرحمن: **تاريخ الجزائر العام**،ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

🕮 السبتي عبد الأحد، سليمة فرحات: **المدينة في العصر الوسيط**، ط1، المركز الثاقفي العربي، 1994.

🕮 السيد أبو مصطفى كمال: **تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين**، مركز الإسكندرية، القاهرة، (د ت).

🕮 (ـــــــــــــــ): **دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة**، مؤسسة الإسكندرية، القاهرة، 1997.

🕮 الشيّال جمال الدين: **أثر الإسلام والعرب في النهضة الأوروبية**، القاهرة، 1970.

🕮 الطمار محمد بن عمرو: **تلمسان عبر العصور**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.

🕮 العبادي أحمد مختار: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، نشر محمد بسيوني، ط1، مطبعة المصري، الإسكندرية، 1983.

🕮 العروي عبد الله: **مجمل تاريخ المغرب**، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2007.

🕮 الفيلالي عبد العزيز: **تلمسان في العهد الزياني**، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

🕮 الميلي مبارك:**تاريخ الجزائر القديم والحديث**، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ت).

🕮 براهامي نصر الدين ، نقادي سيدي محمد: **تلمسان الذاكرة**، منشورات تالة، الجزائر، 2007.

🕮 بن يوسف سليمان داود: **حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي**، مطبعة أبو داود، الجزائر، 1993.

🕮 بوتشيش إبراهيم القادري:**إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2002.

🕮 بورويبة رشيد وآخرون: **الجزائر في التاريخ – العهد الإسلامي– من الفتح إلى بداية العهد العثماني**، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

🕮 بوعزيز يحيى: **الموجز في تاريخ الجزائر**،ج1،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999.

🕮 (ـــــــــــ): **تاريخ إفريقيا الغربية من مطلع القرن 16م إلى 20م**، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، (د.ت).

🕮 (ـــــــــــ): **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009.

🕮 بونار رابح: **المغرب العربي، تاريخه وثقافته**،ط3، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1968.

🕮 جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3و4هـ/ 9–10م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت).

🕮 حسن أحمد محمود: **الإسلام والثقافة العربية في إفريقية**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963.

📖 (ـــــــــ):**قيام دولة المرابطين (صفحة مشرفة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى)**، ط2، دار الكتاب الحديث، بيروت، 1996.

📖 حسن علي حسن:**الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس**، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980.

📖 حمدي عبد المنعم محمد حسين: **تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، – دولة علي بن يوسف المرابطي–** ، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، (د.ت).

📖 خطاب محمود شيت: **قادة الفتح الإسلامي في المغرب العربي**،ط1،دار الفكر العربي، بيروت 1966.

📖 دبوز محمد علي: المغرب الكبير، ج3، ط1، طبع بدار الإحياء للكتب العربية، عيسى البابلي الحلبي وشركاءه ،1981.

📖 دندش عصمت عبد اللطيف: **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430-515ه/1038-1121م)**، مع نشر وتحقيق: رسائل أبي بكر بن العربي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1988.

📖 دهينة عبد الله: **دول الغرب الإسلامي في القرون 6م،7م،8م**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1984.

📖 ذنون جمال أحمد طه: **مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دراسة سياسية وحضارية(448ه/1056م إلى 668ه/1269م)** ، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، 2002.

📖 روكسين جب هاملتون أليكساندر: **تراث الإسلام**، بيروت، 1972.

📖 زبادية عبا لقادر: **مملكة سنغاي على عهد الأسقيين(1493–1591م)**، الجزائر، 1972.

📖 زعرور فتحي: **العلاقة بين الفاطميين والأمويين**، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 2005.

📖 زغلول سعد عبد الحميد: **المغرب العربي، دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين**، ج2، منشأة المعارف،الإسكندرية، القهرة، 1993.

📖 زيتون محمود: **الحافظ السلفي أشهر علماء الزمان**، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ت).

📖 سعد عباس نصر الله: **دولة الأدارسة في المغرب – العصر الذهبي 172- 223ه/ 788- 835م**)، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1987.

📖 سعدون نصر الله: **تاريخ العرب السياسي في المغرب منذ الفتح الغربي حتى سقوط غرناطة (640/798ه-1492م**)، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).

📖 طرخان إبراهيم علي: **دولة مالي الإسلامية، دراسات في التاريخ القومي الإفريقي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973.

📖 عاشور سيد عبد الفتاح: **العصر المماليكي في مصر والشام**، ط2،دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1972.

📖 (—————): **الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية**، عالم الفكر، المجلد 11، العدد الأول، عالم الفكر، 1980.

📖 عبد العزيز سالم: **المغرب الكبير**، ج2 ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.

📖 (—————): **تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1985.

📖 (—————): **تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية – قاعدة الأسطول الأندلسي**– ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1984.

- (ـــــــــــ): **محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2004.

- عمار هلال: **الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا**، الجزائر، 1988.

- عمر رضا كحالة : **معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية**،مج10، مطبعة الشرقي، دمشق، 1957.

- عمر موسى عز الدين: **النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.

- غوستاف لوبون: **حضارة العرب**، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، 1964.

- فرج محمود فرج: **إقليم توات خلال القرنين 18 و 19 م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.

- كريدية سعيد إبراهيم، محمد فاضل علي داري: **المسلمون في غرب إفريقيا، تاريخ وحضارة**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.

- لقبال موسى: **المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر الفرن حتى انتهاء ثورات الخوارج**،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.

- مؤنس حسين: **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح إلى الغزو الفرنسي**، ط1، مج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1992.

- (ـــــــــــ): **فتح العرب للمغرب**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

- مبخوت بودواية وآخرون: **كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، مطبعة الديوان، الجزائر، 2007.

🕮 مظهر جلال: **أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، نماية عصر الظلام وتأسيس الحضارة الحديثة**، بيروت، 1967.

🕮 موريس لومبار: **الإسلام في مجده الأول**، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1979.

🕮 نعيم قداح: **إفريقيا الغربية في ظل الإسلام**، مراجعة عمر الحكيم: مكتبة أطلس، دمشق، 1960.

🕮 نفزة تمامي: **القيروان عبر العصور**، طبع كتابة الدولة للشؤون الثقافية والإرشاد، 1964.

🕮 هونكة زيغريد: **شمس العرب تسطع على الغرب، وأثر الحضارة العربية في أوروبا** ، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، 1964.

3-المراجع باللغة الأجنبية:

- Corne vin Robert, Histoire de l' Afrique des origines au XVI siècle, Tome 1.
- Goitien,Jews and Arabs : Zheir contacts through the Ages, New York, Schocken, 1955.
- Levi .Provincal ; L'Espagne musulmane six ème siècle , paris ,1931.
- Mateu, F.Y.Liopis, Glosario hispanico se numismaticas Barcelona, 1946.

4- الموسوعات:

- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مج2 ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1981 -1982.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط2، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، 1989.

- الموسوعة العربية العالمية، مج 13، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1996.

- جوامع تومبكتو: الموسوعة العربية العالمية، مج 8، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1996.

5-الرسائل الجامعية:

📖 ابن الذيب عيسى: **التجارة في عصر دولة المرابطين**، رسالة ماجستير، القاهرة، 1990.

📖 بالأعرج عبد الرحمن: **العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك**، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2007- 2008.

📖 بشاري لطيفة: **التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين(13- 14م)** ، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1406- 1407هـ/ 1986- 1987م.

📖 بكاي هوارية: **العلاقات الزيانية المرينية- سياسيا وثقافيا-** ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، الجزائر، 2007- 2008.

📖 بودواية مبخوت: **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بين زيان**، رسالة دكتوراه دولة ، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2005- 2006.

📖 عبدلي لخضر: **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان**، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005.

6- المقالات:

- الزوادي رشيد: **التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي**، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول، أفريل، 1993.
- بلهواري فاطمة: **التبادل التجاري بين مدن بلاد المغرب خلال القرن 4هـ/10م**، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، العدد 42، وهران، 2008.
- بن عميرة لطيفة: **الرحلة التجارية بين تلمسان وممالك بلاد السودان الغربي**، حولية المؤرخ، العدد 5، دار الكرامة للطباعة والنشر، جوان، 2005.
- حاجيات عبد الحميد: **المسالك والدروب في المغرب الأوسط**، المجلة العربية للثقافة، العدد 5، تونس، 1983.
- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: **البيوت التجارية المغربية بالقاهرة في القرن 16م**، المجلة التاريخية، العدد 119، السنة 32، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، جوان 2005.
- عمر موسى عز الدين: انتشار الإسلام في غرب إفريقيا حتى القرن 16م، مجلة ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية، بغداد، 1985.
- عوض الله الأمين: **تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى نهاية القرن 16م** ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1983.

7- المواقع الالكترونية:

- **www.azwad.jeeran.com**
- **www.timbuktufondation.org**


الفهرس

الفصل الأول: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لبلاد المغرب الاسلامي

الفصل الثاني: المسالك والدروب التجارية بين حواضر المغرب الاسلامي

الفصل الثالث: المسالك والدروب التجارية بين مدن المغرب والعالم المجاور

